

سلسلة تفسير القرآن الكريم (١٢)

التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ الحجِّ - نِهايَةِ سُورَةِ النُّورِ

تأليف

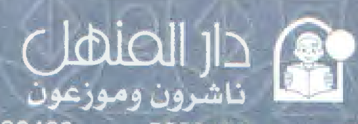
الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الاردن

http:\www.dmanhal.com

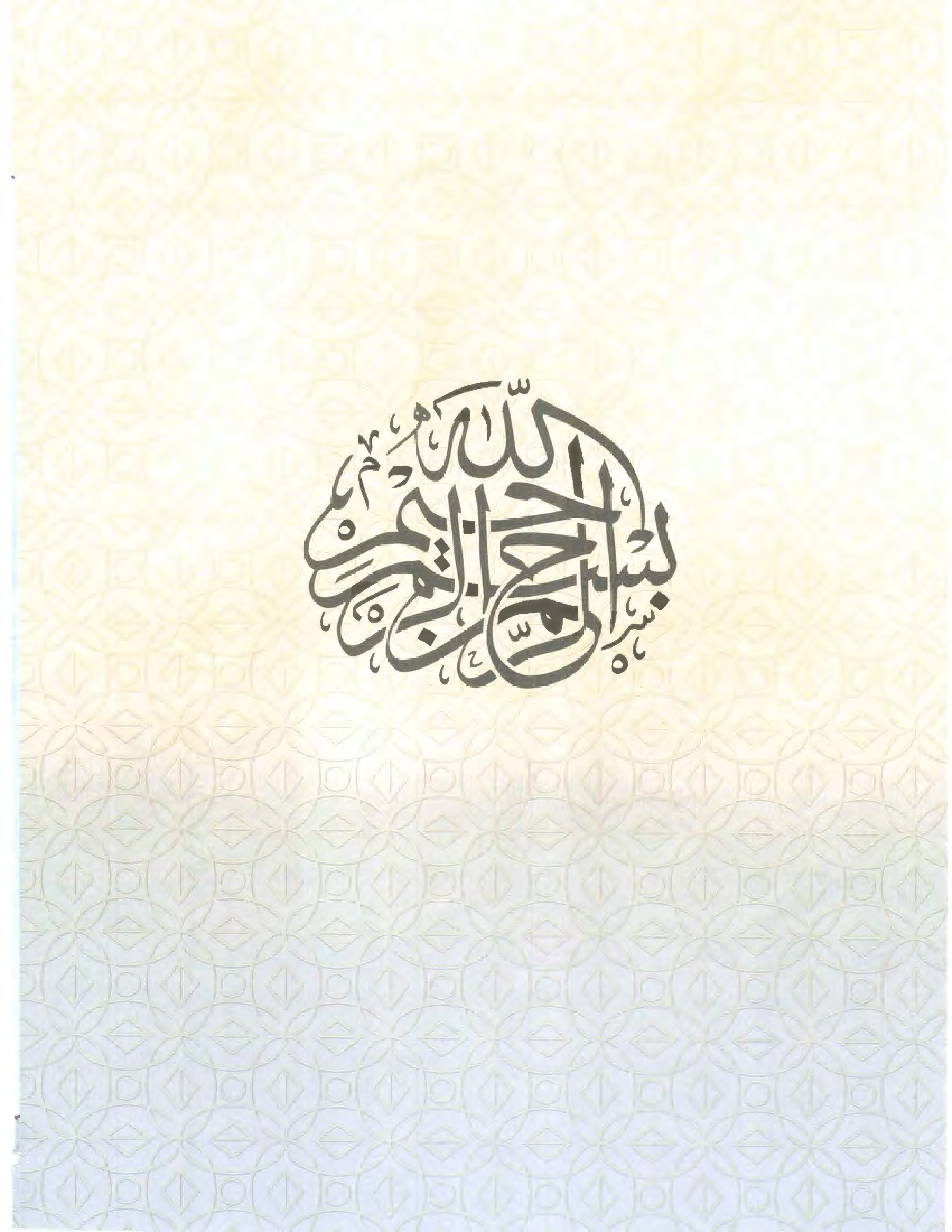
الطبعة الأولى

2005

رقم الإجـــازة : 2087 / 8 / 2004
رقم الإيـــداع : 2194 / 9 / 2004
التصنيف الدولي : 0-391-08-9957

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتـور أحـمـد نوفل
- الدكتـور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتـور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبيّنا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّم القرآنِ ومُدارَستِهِ ، ومِنْ ذَلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيْرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائِكَةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَواليَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بين هذه الجهودِ ما يتعَلّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرِها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ ميزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

وميزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ ليكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارِسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .

* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .

* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

❊ تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

❊ الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

❊ اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

❊ الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

❊ إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

❊ إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

❊ خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

❊ تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

❊ تخَريجُ الأحاديثِ النَّبويَّةِ وروايات أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العمل خالصاً لِوَجْههِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبْولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ الحَجِّ مَكِّيَّةٌ في مُعْظَمِ آياتِها ، وفيها عَدَدٌ مِنَ الآياتِ المَدَنِيَّةِ . وُسمِّيتْ بهذا الاسْمِ لِحَديثِها المُفَصَّلِ عَنْ أَحْكامِ الحَجِّ . بَدَأَتِ السُّورَةُ بالحَديثِ عَنْ يومِ القيامَةِ ، وَعَنْ أدلَّةِ البَعْثِ ، وَعَرَضَتْ مَشاهِدَ مِنْ يَوْمِ القيامةِ ، وانْتَقَلَتْ بَعْدَ ذلِكَ لِلْحَديثِ عَنِ الحِكْمَةِ مِنَ الإِذْنِ بقتالِ الكُفَّارِ ، وَبَيانِ سُنَّةِ اللهِ في نَصْرِ المُؤْمنينَ وإِهْلاكِ المُكَذِّبينَ ، ثُمَّ وَصَفَتْ حالَ الكافِرينَ إذا تُلِيَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ ، وَسَفَّهَتْ عُقولَ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبدونَ آلِهَةً عاجِزَةً عَنْ خَلْقِ مَخْلوقٍ ، وخُتِمَتِ السُّورَةُ بِالأَمْرِ بالصَّلاةِ ، والزَّكاةِ ، والجِهادِ في سَبيلِ اللهِ ، وفِعْلِ الخَيْرِ ، والاعْتِصامِ باللهِ ، نِعْمَ المَوْلى وَنِعْمَ النَّصيرُ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

زَلْزَلَةَ السّاعَةِ	الزَّلْزَلَةُ هي الحَرَكَةُ الشّديدةُ والاضْطِرابُ ، وَهِيَ مِنْ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ .
تَذْهَلُ	تَغْفَلُ وتَنْشَغِلُ مِنَ الهَوْلِ .
يُجادِلُ	يُخاصِمُ .
مَريدٍ	مُتَمَرِّدٍ مُتَجَرِّدٍ لِلْفَسادِ .
مَنْ تَوَلَّاهُ	مَنِ اتَّبَعَهُ .

التَّفْسيرُ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (١) ﴾

تبدأُ السُّورَةُ بهذا المَطْلَعِ المُخيفِ العَنيفِ ، الَّذي تَرْتَجِفُ لَهُ القلوبُ ، وتَطيشُ لِهَوْلِهِ العُقولُ ، فَبَعْدَ الأَمْرِ بِتَقْوى اللهِ ، والتَّحْذيرِ مِنْ عِقابِهِ ، والعَمَلِ بطاعَتِهِ ، يَنْتَقِلُ الحَديثُ مُباشَرَةً إلى زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ ، المَوْصوفةِ بأنّها شَيْءٌ عظيمٌ ، لا يَكادُ يُتَصَوَّرُ لِهَوْلِهِ وَعَظَمَتِهِ .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ .

هذا تَفْصيلٌ لِبَعْضِ الأَحْداثِ الحاصلَةِ بِسَبَبِ الزَّلْزَلَةِ ، فإنَّ مِنْ مَظاهِرِ شِدَّتِها ورَهْبَتِها ، أنَّ الأُمَّ المُرْضِعَةَ الَّتي أَلْقَمَتْ ثَدْيَها لِوَليدِها تَذهَلُ عَنْهُ ؛ بِمَعْنى أنَّها تَتْرُكُهُ ، وتَنْشَغِلُ عَنْهُ بِسَبَبِ الخَوْفِ والفَزَعِ ، وأنَّ كلَّ حامِلٍ مِنْ إنْسانٍ أوْ حَيوانٍ تَضَعُ حَمْلَها قَبْلَ تَمامِهِ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ ، وأنَّ النّاسَ جَميعاً تَكونُ هيئَتُهُمْ كَهَيْئَةِ السُّكارى مِنْ قُوَّةِ الرُّعْبِ والرَّهْبَةِ ، وماهُمْ على الحَقيقةِ بِسُكارىٰ ، لأنَّهُمْ لَمْ يَشْرَبوا ما يُسْكِرُهُم ، وَلكنَّ الخَوْفَ مِنْ شِدَّةِ العذابِ وَرَهبَةِ الحالِ جَعَلَهُمْ بهذِهِ الحالَةِ التي تُشْبِهُ حالَ السُّكارىٰ في الذُّهولِ والاضْطِرابِ .

واخْتيارُ لَفْظِ (مُرْضِعَةٍ) دُونَ مُرْضِعٍ ، لأنَّ المُرْضِعَةَ هي الَّتي أَلْقَمَتْ رَضيعَها الثَّدْيَ . والمُرْضِعُ : الَّتي مِنْ شَأْنِها الإرْضاعُ وإِنْ لَمْ تُباشِرْهُ حالَ وَصْفِها بِهِ ، وفي هَذا دَلالَةٌ على شِدَّةِ الهَوْلِ والفَزَعِ والانْشِغالِ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ ﴾

ومِنَ النّاسِ ، بالرَّغْمِ مِمّا ذُكِرَ مِنْ وَعيدِ يَوْمِ القيامَةِ وأَهْوالِهِ مَنْ يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللهِ ، وَيَتطاوَلُ على ذاتِ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وأَفْعالِهِ ويُخاصِمُ في صِفاتِهِ وَوَحْيِهِ ؛ أَحْكامُهُ بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ مِنْ عِلْمٍ عَقْليٍّ أو نَقْليٍّ وَبِغَيْرِ دَليلٍ ، أَوْ مايُشْبِهُ الدَّليلَ ، قَدِ اسْتَولى عَلَيْهِمُ الجَهْلُ والعِنادُ ، يَتَّبِعونَ في جِدالِهِمْ وَخُصومَتِهِمْ كُلَّ شَيْطانٍ بَعيدٍ عَنِ الخَيْرِ ، مُتَجَرِّدٍ لِلْفَسادِ لا يَعْرِفُ الحَقَّ ولا الصَّلاحَ ، قَدْ أَخْلَصَ نَفْسَهُ لِلشَّرِّ والمُنْكَرِ مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ . ويَدْخُلُ في لَفْظِ (شيطانٍ) رؤوسُ الكُفْرِ الصّادِّينَ عَنِ الحَقِّ مِنَ الإِنْسِ ، كَما يَدْخُلُ فيهِ شَياطينُ الجِنِّ .

وتَقْييدُ الجِدالِ بِكَوْنِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الجِدالَ بِعِلْمٍ لإِحْقاقِ الحَقِّ ، وإِبْطالِ الباطِلِ ، سائِغٌ مَحْمودٌ ، كما قالَ تعالىٰ : ﴿وجادِلْهُمْ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ ﴾

تُبَيِّنُ هَذهِ الآيَةُ سُوءَ عاقِبَةِ هَذا المُجادِلِ بالباطِلِ ، والمُتَّبِعِ لِكُلِّ شَيْطانٍ مَريدٍ ، بأَنَّ اللهَ قَضىٰ وَحَكَمَ أَنَّ مَنْ يَتولّى هَذا الشَّيْطانَ وَيَتَّخِذُهُ قُدْوَةً لَهُ فإنَّهُ يُضِلُّهُ وَيُبْعِدُهُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَيَسوقُهُ إلى الطَّريقِ الَّتي تُوصِلُهُ إلى عَذابِ السَّعيرِ في النّارِ .

والتَّعْبيرُ بِـ (يَهديهِ) على سَبيلِ التَّهَكُّمِ ، لأَنَّ الهِدايَةَ لا تَكونُ إلى عَذابِ جَهَنَّمَ ، بَلْ تَكونُ إلى سَبيلِ الخَيْرِ والفَلاحِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَحْداثُ يَوْمِ القيامَةِ رَهيبَةٌ مُذْهِلَةٌ .

٢ـ حُرْمَةُ الجِدالِ بالباطِلِ وَبِغَيْرِ عِلْمٍ .

٣ـ مُوالاةُ الشَّياطينِ تَقودُ إلى جَهَنَّمَ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماأهَمُّ مَوْضوعاتِ سُورَةِ الحَجِّ ؟

٢ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ أثَرَ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ على النَّاسِ ؟

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ المُرْضِعَةِ والمُرْضِع ؟ وما الحِكْمَةُ مِنْ وُرودِ لَفْظِ المُرْضِعَةِ في الآيةِ ؟

٤ـ مَنْ هُمُ المَذْمومونَ في الآيةِ الثَّالِثَةِ ؟

٥ـ ما مَعْنى (شَيطانٍ مَريدٍ) ؟ اذْكُرْ أَسْماءَ بَعْضِ شَياطينِ اليَهودِ والمُشْرِكينَ في عَهْدِ الرَّسولِ ﷺ .

٦ـ ما فائِدَةُ التَّعبيرِ بـ (يهديهِ) بَدَلاً مِنْ (يَقودُهُ) ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأْ سورَةَ الزَّلْزَلَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَحْداثَ المُرافِقَةَ لِلزَّلْزَلَةِ أَوِ التابِعَةَ لَها .

٢ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في حُدودِ الصَّفْحَةِ عَنْ أَهْوالِ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَضَعْهُ في مَجلَّةِ المَدْرَسَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الثّاني

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **نُطْفَةٍ** : قَطْرَةِ مَنِيٍّ .
- **عَلَقَةٍ** : قِطعةِ دَمٍ جامدٍ ، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّها تَعْلَقُ بالرَّحِمِ .
- **مُضْغَةٍ** : قطعةِ لَحْمٍ قَدْرَ مايُمْضَغُ ، أَوْ على شَكْلِ لُقْمَةٍ مَمْضوغَةٍ .
- **مُخَلَّقَةٍ** : مُصَوَّرَةٍ .
- **لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ** : كَمالَ قُوَّتِكُمْ وَعَقْلِكُمْ .
- **أَرْذَلِ العُمُرِ** : أَخَسِّهِ وأَسوئِهِ وَهُوَ الهَرَمُ والخَرَفُ .
- **هامِدَةً** : يابِسَةً قاحِلَةً .
- **رَبَتْ** : ازْدادتْ ونَمَتْ .
- **زَوْجٍ بهيجٍ** : صِنْفٍ حَسَنٍ نَضيرٍ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ مَنْ يُجادِلُ في قُدْرَةِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَبِخاصّةٍ في شَأْنِ البَعْثِ والحَشْرِ ، ذَكَرَ دَليلينِ واضِحَيْنِ على ذَلِكَ ، أوّلُهُما في الإنْسانِ وابْتداءِ خَلْقِهِ ، وَثانيهما في الأَرْضِ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ﴾ .

المُرادُ بالنَّاسِ هُنا : المُشْركونَ ، ومَنْ كانَ على شاكِلَتِهِمْ في إنْكارِ البَعْثِ ، فإنْ كُنْتُمْ تَشُكُّونَ في أَمْرِ إعادَتِكُمْ إلى الحَياةِ مَرَّةً أُخْرىٰ ، فَتَفَكَّروا في مَبْدَأ خَلْقِكُمْ لِيزولَ عَنْكُمْ هذا الشَّكُّ ، فإنَّ مَنْ أوْجَدَكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ قادرٌ على إعادَتِكُمْ إلى الحَياةِ ، إذْ الإعادَةُ أيْسَرُ مِنَ ابْتداءِ الفِعْلِ .

ولِيكونَ الدَّليلُ أَوْضحَ ، ذَكَرَ اللهُ سُبْحانَهُ أطْوارَ خَلْقِ الإنْسانِ وهِيَ :

ـ ﴿مِنْ تُرابٍ ﴾ ، فَقَدْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ تُرابٍ . وآدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَصْلُ الإنْسانِ ، والفَرْعُ يَتْبَعُ الأصْلَ ، فَأَصْلُ الإنْسانِ خُلِقَ مِنْ تُرابٍ . وبَعْدَ ذلِكَ قَدَّرَ اللهُ أنْ يَكونَ الخَلْقُ مِنْ هَذهِ النُّطَفِ ، حَيْثُ يَبْدَأُ تَكَوُّنُ الجَنينِ في رَحِمِ الأُمِّ مِنَ الْتِقاءِ ماءِ الرَّجُلِ وَهُوَ المَنِيُّ بماءِ المَرْأَةِ وَهُوَ البُوَيْضَةُ . والنُّطْفَةُ في اللُّغَةِ تَعْني الماءَ القَليلَ الّذي يَسيلُ ويَتقاطَرُ .

ـ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وبَعدَ ذلكَ يُصْبِحُ عَلَقَةً ، ايْ قِطْعَةً مِنَ الدَّمِ جامِدَةً تَعْلَقَ بِجدارِ الرَّحِمِ .

ـ ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ ثُمَّ تتحَوَّلُ إلى قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ بِمِقْدارِ اللُّقْمَةِ الَّتي تُمْضَغُ ، وَتَكونُ هذهِ المُضْغَةُ على نَوْعَيْنِ :

﴿مُخَلَّقَةٍ وغيرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ تامَّةِ الخَلْقِ سالِمَةٍ مِنَ العُيوبِ الخَلْقِيَّةِ ، وَغَيرِ تامَّةِ الخَلْقِ ، فَيكونُ في الجَنينِ عَيْبٌ في الصُّورَةِ ، أَوْ في تَمامِ خَلْقِهِ ، وَقَدْ لا يَسْتَمِرُّ فَيَسْقُطُ قَبْلَ تَمامِ تَكَوُّنِهِ .

وهذا التَّكوينُ ﴿نُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ قُدْرَتَنا على الخَلْقِ والبَعْثِ ، فإنَّ مَنْ قَدرَ على خَلْقِ الإنْسانِ بِهذِهِ المَراحِلِ قادِرٌ على إعادَةِ ما بَدأَهُ ﴿وَنُقِرُّ في الأَرْحامِ ما نَشاءُ إلى أجَلٍ مُسَمّى ﴾ أيْ ونُثْبِتُ في الرَّحِمِ تِلْكَ المُضْغَةِ إلى وَقْتِ الوِلادَةِ ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ لا عِلْمَ لَكُمْ ، ولا قُدْرَةَ على الاعْتِناءِ بِشُؤونِكُمْ فَنُنَمِّيكُمْ ونُرَبِّيكُمْ ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ ﴾ أيْ كَمالَ أبْدانِكُمْ ، وتَمامَ عُقولِكُمْ عِنْدَ بُلوغِ القُدْرَةِ

الجسْمِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ إمّا أنْ تَستمرَّ حَياةُ الفَرْدِ أو يَتُوَفّاهُ اللهُ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ﴾ أيْ يُعَمّرُ حتَّى يَصِلَ إلى الشَّيْخوخَةِ والهَرَمِ وَضَعْفِ القُوَّةِ والخَوْفِ ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴾ حَيْثُ يُصْبِحُ كالطِّفْلِ مِنْ حَيْثُ ضَعْفُ البُنْيَةِ ، وضَعْفُ العَقْلِ وَضَعْفُ الذّاكِرَةِ ، فَيَنْسى ما كانَ يَعْمَلُهُ ، وَيَعْجَزُ عَمّا كانَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ الدَّليلَ الثّاني على القُدْرَةِ على إعادَةِ الخَلْقِ وبَعْثِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، فقالَ :

﴿وترى الأرضَ هامِدةً ﴾ أيْ مَيِّتَةً يابِسَةً ﴿فإذا أَنْزَلْنا عَلَيْها الماءَ اهْتَزَّتْ ﴾ تَحَرَّكَتْ بالنَّباتِ ، وانتفخَتْ بِسَبَبِ ما يَتَخَلَّلُها مِنَ الماءِ والنَّباتِ ، وأَنْبَتَتْ بَعْدَ ذلِكَ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ حَسَنٍ نَضيرٍ ، فَفي إحْياءِ الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِها دَليلٌ على إحْياءِ النّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِقُدْرَةِ اللهِ وإرادَتِهِ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾

ذلكَ الَّذي ذَكَرْناهُ لَكُمْ دَليلٌ واضِحٌ عَلى أنَّ اللهَ تَعالىٰ هُوَ الإلَهُ الحَقُّ الَّذي يَجِبُ أنْ نُخْلِصَ لَهُ الطّاعَةَ والعِبادَةَ ، وأَنَّهُ الَّذي يُعيدُ الحَياةَ بَعْدَ المَوْتِ والفَناءِ ، وَهُوَ الَّذي لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، وَهُوَ القادِرُ على ما أَرادَ .

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾

وفيما سَبَقَ ذِكْرُهُ دَليلٌ على حُصولِ يَوْمِ القيامَةِ دونَ رَيْبٍ ولا شَكٍّ ، وعلى أنَّ اللهَ تَعالىٰ يَبْعَثُ الأَمْواتَ مِنْ قُبورِهِم في ذَلِكَ اليَوْمِ لِيُجازِيَهُمْ على أَعْمالِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إرْشادُ اللهِ عِبادَهُ إلى مُحاجَّةِ المُكَذِّبينَ بالأَدِلَّةِ والبَراهينِ .

٢ـ تَبيينُ مَراحِلِ خَلْقِ الإنْسانِ في الرَّحِمِ دَليلٌ على أنَّ القُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالىٰ .

٣ـ عَظيمُ قُدْرَةِ اللهِ وتَصَرُّفِهِ في الخَلْقِ بما يُريدُ ، فاللهُ قادِرٌ على إحْياءِ الأَمْواتِ يَوْمَ البَعْثِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ مَراحِلَ تَكَوُّنِ الجَنينِ في الرَّحِمِ .

٢ـ ما مَعْنى الرَّدِّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ ؟

٣ـ كَمْ مِثالاً ذُكِرَ في هَذهِ الآياتِ على قُدْرَةِ اللهِ على الإحْياءِ ؟

٤ـ بَيّنْ معنى ما يلي :

- مُضْغَةٍ .
- مُخَلَّقَةٍ وَغيْرِ مُخَلَّقةٍ .
- هامِدَةً .
- رَبَتْ .
- زَوْجٍ بهيجٍ .
- اهْتَزَّتْ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ دَليلاً مِنْ مُشاهَداتِكَ عَلى قُدرَةِ اللهِ على البَعْثِ .

٢ـ نَظِّمْ مَعَ طُلابِ صَفِّكَ رِحْلَةً إلى أَرْضٍ جَرداءَ في شَهْرِ أَيْلولَ ، ثُمَّ عودوا إلَيْها في شَهْرِ آذارَ ، واذْكُرِ الفَرْقَ بَيْنَ ما تَرَوْنَ في كُلِّ مَرَّةٍ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورةُ الحجِّ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ثانيَ عِطْفِهِ : مُعْرِضاً بجانِبِه .

خِزْيٌ : ذُلٌّ وَهوانٌ .

على حَرْفٍ : على حافَةٍ .

المَوْلَى : النّاصِرُ .

العشيرُ : الصَّاحِبُ المُعاشِرُ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ ببيانِ صِنْفَينِ مِنَ النَّاسِ ، أَحَدُهُما مُتَكَبِّرٌ مَغْرورٌ ، والآخَرُ مُتَذَبْذِبٌ غَيْرُ مُسْتَقِرٍ على عَقيدةٍ ، وكُلٌّ مِنْ هذينِ الصِّنْفَينِ إلى خُسرانٍ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ﴾

الصِّنْفُ الأَوَّلُ مَنْ يُجادِلُ في وُجودِ اللهِ وَصِفاتِهِ بالباطِلِ ، دُونَ أَنْ يَكونَ مَعَهُ أيُّ مُسْتَنَدٍ مِنْ عَقْلٍ صَحيحٍ ، أوْ مِنْ نَقْلٍ صَريحٍ ، بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ والهَوىٰ ، وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ مَغْرورٌ .

﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴾

وهُوَ مِنْ شِدَّةِ تَكبُّرِه تراهُ مُعْرِضاً مُتَكَبِّراً عَنْ قَبولِ الحَقِّ مُصِرّاً على باطِلِهِ لِيُضِلَّ ، غَيْرَهُ عَنْ دينِ اللهِ تعالى ، وَعَنْ سَبيلِ الهُدىٰ والرَّشادِ ، هذا المُتَكَبِّرُ المُضِلُّ لَهُ هوانٌ وَذُلٌّ في الحياةِ الدُّنْيا ، وَيَوْمَ القيامةِ سيَصْطلي بنارِ جَهَنَّمَ المُحْرِقَةِ .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾

هذا المُتَكَبِّرُ المُضِلُّ قَدِ اسْتَحَقَّ المَذَلَّةَ في الدُّنْيا ، والعَذابَ في الآخِرَةِ ، وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لَهُما بسببِ ما اقْتَرَفَ مِنَ الكُفْرِ والضَّلالِ والإضْلالِ لِغَيْرِهِ ، فَعَذابُهُ نتيجةٌ طبيعيّةٌ لِما قَدَّمَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عادِلٌ لا يَظْلِمُ أحداً مِنْ خَلْقِهِ .

وفي هذه الآيةِ الْتِفاتٌ مِنَ الغَيْبَةِ إلى الخطابِ لِتأْكيدِ الوَعيدِ ، وأُسْنِدَ الفِعْلُ إلى اليَدَيْنِ لأنَّهما آلةُ الكَسْبِ ، وبِهِما تُزاوَلُ مُعْظَمُ الأَعْمالِ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ .

أمّا الصِّنْفُ الثّاني مِنَ النّاسِ فَهُوَ الَّذي يَعْبُدُ اللهَ على قَلَقٍ وغَيْرِ اطْمِئنانٍ ، شَبَّهَهُ اللهُ تعالىٰ بِمَنْ يقِفُ على حافةِ صَخْرَةٍ ، تحْتَها وادٍ عميقٌ ، وَهَذا التَّشْبيهُ لِكَوْنِهِ غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ في عِبادَتِهِ ، فَهُوَ قَلِقٌ مُضْطَرِبٌ ، فإنْ أصابَهُ خَيْرٌ مِنْ صِحّةٍ وَسَعَةٍ وَمَنافِعَ دُنيويَّةٍ ثَبَتَ على ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةٍ ظاهرياً . وإنْ أصابَتْهُ مُصيبةٌ أَوْ شَرٌّ ارْتَدَّ وَرَجَعَ عَنْ عبادَتِهِ وَدينِهِ إلى الكُفْرِ والمَعاصي ، ومَنْ كانَ هذا حالُهُ فقد خسر الدّنيا بسَبَبِ عَدَمِ حُصولِهِ على مايُريدُ مِنْها ، وخسرَ الآخِرَةَ بِسَبَبِ ارتدادِهِ إلى الكُفْرِ ، وَذلكَ الّذي جَمَعَهُ على نَفْسِهِ مِنْ خُسرانِ الدّنيا والآخِرَةِ هُوَ الخُسْرانُ الواضِحُ الظّاهِرُ الَّذي لا يَخْفَى على أحدٍ .

ومِنْ أسْبابِ خُسْرانِ هذا الإنسانِ أنّهُ :

﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ ﴾

أيْ أنّهُ يَعْبُدُ مِنْ دونِ اللهِ أَوْثاناً وأَصْناماً ، إنْ تَرَكَ عِبادَتَها ، وإنْ عَبَدَها فَلَنْ تَضُرَّهُ ولن تَنْفَعَهُ ، وَذلكَ الّذي يفْعلُهُ هذا الشَّقيُّ هُوَ الضَّلالُ البعيدُ بُعْداً كَبيراً عَنْ كُلِّ صَوابٍ وَرَشادٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ عِبادَةَ هذهِ الأَصْنامِ لاتَجرُّ لِصاحِبِها إلاَّ الضَّرَرَ فَقالَ :

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾

فَهْوَ يَعْبُدُ ما يَجْلِبُ لَهُ الضُّرَّ في الدُّنْيا بالخِزْيِ والذُّلِّ ، وفي الآخِرَةِ بِدُخولِ النَّارِ ، ولَمْ يَأْتِ مِنهُ نَفعٌ أصْلاً . واسْتِعْمالُ صيغَةِ التَّفضيلِ (أقربُ) مَعَ عَدَمِ حُصولِ النَّفْعِ مُطْلَقاً لِلْمبالَغَةِ في تَقْبيحِ حالِهِ ، وَلَبِئسَ أنْ يكونَ هذا الصَّنَمُ مَوْلى وناصِراً ، وأنْ يَكونَ مُخالِطاً مُعاشِراً .

وَيَصِحُّ أنْ يُرادَ بالمَعْبودِ في هذهِ الآيةِ : الطَّواغيتُ مِنَ البَشَرِ الَّذينَ يَجْلِبونَ لِعابديهِمْ نوعاً مِنَ المَنْفَعَةِ حينَ يُعطونَهُمُ الأَمْوالَ ، ويَرْفعونَهُمْ في المَناصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَلكنَّ هذا النَّفْعَ الدُّنيَوِيَّ لا يُعَدُّ شَيْئاً إزاءَ ما سَيُلاقوْنَهُ مِنْ عذابٍ شديدٍ على شِرْكِهِمْ ، فالضُّرُّ الذي يَجْلِبُهُ هذا المَعْبودُ لِعابِدِهِ أقْرَبُ وأَعْظَمُ مِنْ نَفْعِهِ بشيْءٍ مِنْ حُطامِ الدُّنيا ، وَحينَ يَرى هذا العابِدُ المُشْرِكُ سوءَ حالِهِ يَعْلَمُ أنَّ مَنْ عَبَدَهُ كانَ بِئْسَ النَّاصِرُ ، وبِئْسَ الصاحِبُ لَهُ ، وذلكَ حينَ لا يَنْفَعُهُ هذا العِلْمُ . ومِمَّا يُؤَيِّدُ هذا المَعْنى لِلآيةِ اسْتِعْمالُ (مَنْ) الَّتي هِيَ لِلعاقِلِ ، في حينِ اسْتَعْمَلَ في الآيَةِ السابِقَةِ (ما) التي هِيَ لِغَيْرِ العاقِلِ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ مآلِ ذَيْنِكَ الصِّنْفَيْنِ مِنَ النَّاسِ ، بَيَّنَ هُنا ما أَعَدَّهُ لِعبادِهِ المُؤْمنينَ الَّذينَ صَدَقوا في إيمانِهِمْ ، وَعَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ بأنَّ لَهُمُ الجَنَّاتِ ذاتَ النَّعيمِ المُقيمِ الَّتي تَجْري مِنْ تَحْتِ أَشْجارِها وَقُصورِها الأنْهارُ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَفْعَلُ ما يُريدُ حَسَبَ ما تَقْتَضيهِ حِكْمَتُهُ وَمَشيئَتُهُ لا يُنازِعُهُ في ذلِكَ مُنازِعٌ ، ولا يُعارِضُهُ مُعارِضٌ ، فَهُوَ سُبْحانَهُ لا يُسْأَلُ عمَّا يَفْعَلُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الجدالُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَمْرٌ قَبيحٌ سَيِّءٌ .

٢ـ التَّكَبُّرُ خُلُقٌ مَذْمومٌ ، وَسُلوكٌ مَشينٌ .

٣ـ ذمُّ التَّرَدُّدِ في أمْرِ الدينِ والقَلَقِ في العِبادَةِ .

٤ـ مآلُ عِبادَةِ الأصْنامِ الضَّرَرُ والعَذابُ .

٥ـ لا يَجوزُ دُعاءُ غَيْرِ اللهِ ، فاللهُ وَحْدَهُ الَّذي يَسْتَحِقُّ أنْ يُدْعى .

٦ـ المُؤْمِنونَ الَّذين يَعْمَلونَ الصَّالِحاتِ هُمُ الَّذينَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّاتِ .

التَّقويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا ذَمَّ اللهُ مَنْ يُجادِلُ بغَيْرِ عِلْمٍ ؟

٢ـ ماالعُقوبَةُ الّتي ذَكَرَتْها الآياتُ لِمَنْ يُجادِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ؟

٣ـ ذَكَرتْ آياتُ الدَّرسِ صِنْفَيْنِ مَذمومَيْنِ مِنَ النَّاسِ ، بَيِّنْ ذلِكَ مَعَ الدَّليلِ .

٤ـ كَيْفَ صَوَّرَتِ الآياتُ الكريمةُ حالَةَ القَلَقِ في عِبادَةِ المُتَرَدِّدِ في دينِهِ ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿يَدْعو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ ؟

٦ـ ما فائِدَةُ ذِكْرِ نَعيمِ المُؤْمنينَ بَعْدَ ذِكْرِ عَذابِ الكافرينَ ؟

فائدةٌ :

عَنِ ابنِ عبّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كانَ الرَّجُلُ[١] يَقْدمُ المَدينةَ ، فإنْ وَلَدَتِ امْرأتُهُ غُلاماً . ونَتَجَتْ خَيْلُهُ قالَ : هذا دِينٌ صالِحٌ ، وإنْ لَمْ تَلِدِ امْرأتُهُ ولَمْ تُنْتجْ خَيْلُهُ قالَ : هذا دِينٌ سوءٍ[٢] .

نَشاطٌ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ المُرادِ بالآياتِ (٨ـ١٠) ، والمُرادِ بالآيةِ الثّالثةِ مِنْ هذِهِ السُّورَةِ ، وبَيِّنْ وَجْهَ الاخْتِلافِ بَيْنَهُما .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ لماذا يَكونُ الواقِفُ عَلى حافَةِ الشَّيْءِ قَلِقاً غَيْرَ مُطْمَئِنٍّ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ شَخْصٍ دعا قَوْمَهُ لِعبادَتِهِ مِنْ دونِ اللهِ ، وبَيِّنْ ماذا أصابَهُ وَقَوْمَهُ في هذهِ الدُّنْيا مِنَ العذابِ .

* * *

---

(١) أَيْ من ضعيفي الإيمانِ أو مِنَ المنافقينَ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التفسيرِ ، باب وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعبُدُ اللهَ على حَرْفٍ . رقم الحديثِ ٤٤٦٥ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورةُ الحَجِّ - القِسْمُ الرّابِعُ

مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بِسَبَبٍ : بِحَبْلٍ .

إلى السَّماءِ : سَقْفِ بَيْتِهِ .

ثم لْيَقطَعْ : ثُمَّ لِيَخْتَنِقَ بِشَنْقِ نَفْسِهِ .

كَيْدُهُ : فِعْلُهُ وحِيلَتُهُ .

الصَّابئينَ : عَبَدَةَ الكواكِبِ .

المَجوسَ : عَبَدَةَ النَّارِ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتَقريرِ نَصْرِ اللهِ تعالىٰ لِنَبيهِ ﷺ وَلَوْ كَرِهَ الكارِهونَ لِذَلِكَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ .

مَنْ كانَ يَظُنُّ مِنَ الكافرينَ الكارهينَ لِلْحَقِّ الَّذي جاءَ بِهِ مُحمّدٌ ﷺ أَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ نَبيَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَمَنْ كانَ يَغيظُهُ ذَلِكَ ولا يُعْجِبُهُ ، فَلْيَقُمْ بتَعْليقِ حَبْلٍ في سَقْفِ بَيْتِهِ ، والعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ ما يَعْلو الإنسانَ سَماءً ، ثُمَّ ليَخْنُقَ نَفْسَهُ بهذا الحَبْلِ ، بأنْ يَشُدَّه حَوْلَ عُنُقِهِ وَيَتَدَلَّى مِنَ الحَبْلِ المُعَلَّقِ بالسَّقْفِ حتَّى يَموتَ ، وَلْيَنْظُرْ وليَتَأَمَّلْ هذا الكافرُ هَلْ سَيُزيلُ هذا الفِعْلُ مِنْ نفسهِ ماامْتَلأَتْ بهِ مِنْ غَيْظٍ ؟ وَهَلْ سَيُؤَخِّرُ نَصْرَ اللهِ لِنَبيِّهِ ﷺ . قطعاً لا . فَمَقصودُ الآيةِ الكريمةِ بيانُ أنَّ ما قَدَّرَه اللهُ تعالىٰ مِنْ نَصْرِ نَبيِّهِ ﷺ لَنْ يَحولَ دونَ حصولِهِ حائلٌ مَهْما فَعَلَ الكافرونَ ، وإنْ قَتَلوا أَنْفُسَهُم غَيْظاً وكَراهِيةً لِنَصْرِ اللهِ .

وَسَمّى اللهُ تعالىٰ هذا الفِعْلَ مِنَ الكافِرِ الكارهِ كَيْداً على سَبيلِ التَّهَكُّمِ بِهِ ، فإنَّهُ لَمْ يَكِدْ إلاَّ نَفْسَهُ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

هذهِ الآيةُ وَصْفٌ لِلْقُرْآنِ الكَريمِ ، أيْ ومثلَ هذا الإنْزالِ البَديعِ العَظيمِ ، أنْزَلْنا القُرْآنَ كُلَّهُ آياتٍ بيِّناتٍ واضحاتٍ ، لِنَهْدِيَ بِهِ إلى طَريقِ الحَقِّ مَنْ أرادَ الهِدايةَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ الهادي لا هادِيَ سِواهُ ، يَهْدي مَنْ يَشاءُ إلى صراطٍ مُسْتَقيمٍ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ .

بَيَّنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيةِ أنَّ مَرَدَّ الفَصْلِ بَيْنَ الفِرَقِ المُخْتَلِفَةِ المَوْجودَةِ حال تَنَزُّلَ القُرْآنِ إليْهِ وَحْدَهُ ، فَهُوَ العَليمُ بما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ أَوْ باطِلٍ ، وَذَكَرَتْ الآيةُ سِتَّ فِرَق ، وهي :

ـ الَّذين آمَنوا : والمُرادُ بِهِمُ المُؤْمِنونَ باللهِ تعالىٰ وَبِرَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَقَدْ بَدَأَتِ الآيةُ بالمُؤْمِنينَ إشارَةً إلى أنَّ دينَهُمْ هُو الحَقُّ ، وَهُوَ الأَوْلىٰ بالاتِّباعِ .

ـ والَّذين هادوا : هُمُ اليَهودُ أَتْباعُ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ، الَّذين رَفَضوا الإيمانَ بِما أُنْزِلَ إلى محمد ﷺ .

ـ والصّابِئونَ عَبَدَةُ النُّجوم والكواكِبِ .

ـ والنَّصارى الَّذين يَزْعُمون أَنَّهُمْ أَتْباع عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ـ والمَجوسُ عَبَدَةُ النَّارِ .

ـ والمُشْرِكونَ عَبَدَةُ الأَصْنامِ والأَوْثانِ .

إنَّ اللهَ يَحْكُمُ بيْنَ هؤلاءِ جَميعاً بحُكْمِهِ العادِلَ يَوْمَ القيامَةِ ، وَهُوَ الشَّهيدُ على أعْمالِهِمْ ، فَهْو يَعْلَمُها ، وَلا يَغيبُ عَنْهُ شَيْءٌ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ لِلتَّقْريرِ ، والرُّؤْيَةُ بِمَعنى العِلْمِ ، وَسُجودُ مَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرْضِ سُجودٌ حَقيقيٌّ ، وَسُجودُ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ، واللهُ أعْلَمُ بكَيْفيَّتِهِ ، كَما كُلُّ شَيْءٍ يُسبِّحُ اللهَ ، ولا نَدْري كَيْفيَّتَهُ ، وَمَعْنى الآيَةِ : أَلَمْ تَعْلَمْ أيُّها المُخاطَبُ عِلْماً يَقومُ مَقامَ الرُّؤْيَةِ أنَّ اللهَ تعالى يَسْجُدُ لَهُ ، ويَخْضَعُ لِسُلطانِهِ جَميعُ مَنْ في السَّماواتِ ومَنْ في الأرْضِ . وأُفْرِدَتِ الشَّمْسُ والقَمَرُ والنُّجومَ بالذِّكْرِ مَعَ انْدِراجِها ضِمْنَ مَنْ في السَّماواتِ ، كما أُفْرِدت الجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ مَعَ انْدراجِها ضِمْنَ مَنْ في الأرْضِ لأنَّهامِمّا عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ ، فَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّها عابِدَةٌ وساجِدَةٌ لَهُ ، ولَيْسَتْ مَعْبودَةً .

وَيَسْجُدُ للهِ تَعالىٰ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ ، سُجودَ طاعَةٍ وعِبادَةٍ ، وَثَبَتَ العَذابُ على كَثيرٍ مِنَ النّاسِ بِسَبَبِ عَدَمِ سُجودِهِمْ للهِ وإيثارِهِمْ سَبيلَ الغِوايَةِ على سَبيلِ الهُدىٰ ، فَسَجدوا لِغَيْرِ اللهِ تَعالىٰ مُتَّبِعينَ شَياطِينَهُمْ . فاسْتَحَقُّوا الإهانَةَ والعَذابَ ، وَكُلُّ مَنْ أهانَهُ اللهُ وأخزاهُ ، فَلَنْ يُكْرِمَهُ أحَدٌ ، وَلَنْ يُنْقِذَهُ مُنْقِذٌ مِمّا هُوَ فيهِ مِنْ شَقاءٍ وهَوانٍ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يَفْعَلُ ما يَشاءُ دونَ حَسيبٍ يُحاسِبُهُ ، أوْ مُعْتَرِضٍ على حُكْمِهِ ، لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ ناصِرُ رَسولِهِ حَقّاً وَصِدْقاً في الدُّنْيا والآخِرَةِ بالرَّغْمِ مِنْ أَنْفِ الكافِرينَ .

٢ـ نَصْرُ اللهِ لِرَسولِهِ دَليلُ صِدْقِهِ ، فَلَوْ كانَ كاذِباً لَخَذَلَهُ وَلَمْ يَنْصُرْهُ .

٣ـ كُلُّ الأدْيانِ بَعْدَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ضالَّةٌ كافِرَةٌ إلاّ الَّذينَ آمَنوا بِهِ واتَّبَعوهُ .

٤ـ كُلُّ فَريقٍ مِنَ النّاسِ يَدَّعي أنَّهُ على الحَقِّ ، واللهُ يَفْصِلُ بينَهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَنِ الَّذي على الحَقِّ مِمَّنْ هُوَ في ضَلالٍ مُبينٍ .

٥ـ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِنْ مَخْلوقاتٍ طائِعٌ لأَمْرِ اللهِ ساجِدٌ لَهُ إلاّ الكفارَ من الإنسِ والجِنِّ .

٦ـ إذا قَرَأْتَ آيةَ سَجْدَةٍ أَوْ سَمِعْتَها فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً واحِدَةً .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماالمُرادُ بالسَّماءِ في الآيةِ الخامِسَةَ عَشْرةَ ؟

٢ـ ما النَّتيجَةُ الَّتي يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إليها المُغتاظُ مِنْ نَصْرِ الدِّينِ إذا خَنَقَ نَفْسَهُ ؟

٣ـ ما مَعْنى قولِهِ تعالى ﴿وَكَذلِكَ أَنْزَلْناهُ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾ ؟ .

٤ـ عَدِّدِ الطَّوائفَ المَذْكورَةَ في الآيةِ السّابِعَةَ عَشْرَةَ .

٥ـ ماذا سَيَفْعَلُ اللهُ يَوْمَ القيامةِ مَعَ أَتْباعِ هَذهِ الطَّوائفِ والأَدْيانِ ؟

٦ـ عَدِّدْ أَسْماءَ المَخْلوقاتِ الَّتي ذُكِرَتْ في آيةِ السَّجْدَةِ .

٧ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ ذِكْرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجومِ مِنْ مَخلوقاتِ السَّماءِ ؟

٨ـ ضَعِ اللَّفْظَ المُناسِبَ في مَكانِهِ في كُلٍّ مِمَّا يَلي ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ :

أـ فليَمْدُدْ . . . . إلى السَّماءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ . . . . هَلْ يُذْهِبَنَّ . . . . كَيْدُهُ ما يَغيظُ .

ب ـ إنَّ الَّذينَ آمَنوا . . . . والصَّابِئينَ . . . . والمَجوسَ .

ج ـ والجِبالُ . . . . والدَّوابُّ . . . . مِنَ النّاسِ .

فائِدَةٌ :

مِنَ المَعْبوداتِ الَّتي عُبِدَتْ مِنْ دونِ اللهِ ، الشَّمْسُ : عَبَدَتْها حِمْيَرُ ، والقَمَرُ : كِنانَةُ ، والشِّعرى : لَخْم ، والثُّريّا : طَيء ، والأَصْنامُ المُتَّخَذَةَ مِنْ حجارةِ الجبالِ : قبائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ ، والشَّجَرُ : غَطَفانُ ، والبَقَرُ : قُدَماءُ المِصريينَ والهنودُ ، والكِلابُ : عَبَدَها أَقْوامٌ مُتَعَدِّدونَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائِلَ سُورَةِ الانْشقاقِ ، وبَيِّنْ طاعةَ السَّماءِ والأَرْضِ للهِ ربِّ العالَمينَ .

الدَّرسُ الخامِسُ

سُورَةُ الحَجِّ - القِسْمُ الخامِسُ

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَصْمانِ : فريقانِ متنازعانِ .

قُطِّعَتْ : قُدِّرَتْ .

الحَميمُ : الماءُ البالغُ أَعْلى دَرجاتِ الحَرارَةِ .

يُصهَرُ بِهِ : يُذابُ بِهِ .

مَقامِعُ : مَطارِقُ .

أَساوِرَ : جَمْعُ سِوارٍ ، وَهُوَ ما يُلْبَسُ في المِعْصَمِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنْ أَبي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّه كانَ يُقْسِمُ - أَنَّ الآيَةَ ﴿هَذانِ خَصْمانِ اخْتَصموا في رَبِّهِمْ﴾ نَزَلَتْ في الَّذينَ بَرَزوا يَوْمَ بَدْرٍ : حَمْزَةَ وعليٍّ وعُبَيدةَ بنِ الحارثِ ، وَعُتْبَةَ وشيبةَ ابني رَبيعةَ والوَليدِ بنِ

عُقْبَة[1] . ، وَتبقى الآيةُ عامّةً في الكُفّارِ والمُؤْمنينَ ، كَما صَرَّحَتْ الآياتُ بِذَلِكَ ﴿فالّذين كَفَروا . . ﴾ ﴿إنّ الله يُدْخِلُ الّذينَ آمَنوا﴾ .

التفسيرُ :

تُبَيِّنُ آياتُ هذا الدَّرْسِ ما أَعَدَّهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِكُلٍّ مِنَ الكافِرينَ والمُؤْمِنينَ ، الَّذينَ اخْتَصَموا وَتَنازَعوا مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ تَعالىٰ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ (١٩) ﴾ .

هَذانِ فَريقانِ تَنازعا في أَمْرِ رَبِّهِم وَدينِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ المُتَنازِعينَ في هذا الأَمْرِ ، مَنْ نَزَلَتِ الآياتُ فيهِمْ ، وَهُمُ الَّذينَ تبارَزوا يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ يَدَي المَعْرَكَةِ . وَيَدْخُلُ في الآيةِ كُلُّ مَنْ تَخاصَمَ مَعَ غَيْرِه في شَأْنِ اللهِ تَعالىٰ وَدينِهِ ، فالفَريقُ الأَوَّلُ وَهُمُ الكافرونَ سُوِّيتِ وَقُدِّرَتْ لَهُم ثِيابٌ على قَدْرِ أَجْسامِهِمْ مِنْ نارٍ ، فالنَّارُ تُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانبٍ ، كَما يُحيطُ الثَّوْبُ بلابِسِهِ ، وَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِ رُؤوسِهِمُ الماءُ المَغْلِيُّ البالِغُ أَقْصىٰ دَرجاتِ الحَرارَةِ والتّعبيرُ عَنِ الفِعْلِ بِصيغَةِ الماضي لِتَحَقُّقِهِ ، وَتَأْكيدِ وُقوعِهِ حتَّى كأنَّه قَدْ تَمَّ وَحَصَلَ .

﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ (٢٠) ﴾

يُذابُ بهذا الحَميمِ الّذي يُصَبُّ عَلَيْهِم ، ما في بُطونِهِمْ مِنَ الشُّحومِ والأَحْشاءِ والأَمْعاءِ ، وَتُشْوى بِهِ جُلودُهُمْ فَتَتَساقَطُ مِنْ شِدَّةِ الحَرارةِ ، فَتَأْثيرُ هذا الحَميمِ يَشْمَلُ بَواطِنَهُمْ وَظَواهِرَهُمْ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « إنَّ الحَميمَ لَيُصَبُّ فَوْقَ رُؤوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الجُمْجُمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إلىٰ جَوْفِهِ ، فيسْلِتُ[2] ما في جَوْفِهِ حَتّىٰ يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُو الصَّهْرُ ، ثُمّ يُعادُ كما كانَ »[3] .

﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) ﴾

ولِهَؤلاءِ الكُفّارِ مَطارِقُ وَسِياطٌ مِنْ حَديدٍ يُضْرَبونَ بِها ، زيادةً في إذْلالِهِمْ وقَهْرِهِمْ .

---

(١) رواهُ البُخاريُّ في كتاب المغازي ، باب ٧ ، رقم الحديث ٣٧٥١ ، ورواهُ مسلمٌ في كتاب التَّفْسيرِ باب في قولِهِ ﴿هذان خصمان﴾ رقم الحديث ٣٠٣٣ .

(٢) يسلت : يخْرُج .

(٣) رواهُ التّرمذيّ في كتاب صِفَةِ جَهنَّم ، بابُ ما جاء في صِفَةِ شَراب أَهْلِ النّار ، رقمُ الحديث ٢٥٨٢ .

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾

يُحاوِلُ أَهْلُ النَّارِ الكافِرونَ الخُروجَ مِنْ هَذا العَذابِ الرَّهيبِ الَّذي يُقاسونَهُ ، وَلكِنَّهُمْ كُلَّما حاوَلوا الخُروجَ لِيَتَخَلَّصوا مِمّا يَلحَقُهُمْ فيها مِنْ غَمٍّ وَكَرْبٍ أُعيدوا فيها مَرّةً أخرى ، وَرُدُّوا إلى قَعْرِها وَقيلَ لَهُمْ ذوقوا عَذابَ هَذِهِ النَّارِ الَّتي كُنْتُم بها تُكَذِّبونَ ، وَهَذا المَشْهَدُ لِحالِ أَهْلِ النَّارِ يُزَلْزِلُ القُلوبَ ، وَيُفْزِعُ النُّفوسَ ، ويُنَفِّرُ غايَةَ التَّنفيرِ مِنْ سُلوكِ هذا السَّبيلِ المُفْضي لِكُلِّ هذا العَذابِ .

ثُمَّ انتَقَلَ سُبْحانَهُ لِبَيانِ حالِ الخَصْمِ الآخَرِ ، وَهُمْ المُؤْمِنونَ الَّذينَ آمَنوا باللهِ وَحْدَهُ .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

تَغْييرُ أُسْلوبِ الحَديثِ عَنِ المُؤْمِنينَ تَعْظيمٌ لِشأنِهِمْ وإشْعارٌ باخْتِلافِ حالِهِمْ عَنْ خُصَمائِهِمْ الكافِرينَ ، فَفي الكافِرينَ قالَ : ﴿فالَّذينَ كَفَروا قُطِّعَتْ لَهُمْ ﴾ وهنا قال : ﴿إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذينَ آمَنوا . . . ﴾ أيْ أَنَّهُ سُبْحانَهُ بِفَضْلِهِ أكرَمَ عِبادَهُ الَّذينَ آمَنوا بِهِ وامْتَثلوا أَوامِرَهُ فَعَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ واجْتَنَبوا نَواهِيَهُ فأدْخَلَهُمْ جَناتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِ قُصورِها وأَشْجارِها الأَنْهارُ ، يَتَزَيَّنونَ فيها بأَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ خالِصٍ ، وَيَتَزيَّنونَ باللّؤْلُو ، وَلِباسُهُمْ في الجَنَّةِ الحريرُ ، وَهُوَ أَفْضَلُ اللِّباسِ وأَنْعَمُهُ وأَفْخَرُهُ .

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمِنون قَدْ أَرْشَدَهُمُ اللهُ إلى الكلامِ الطَّيِّبِ والقَوْلِ النَّافِعِ ، إذْ لَيْسَ في الجَنَّةِ كَذِبٌ وَلا لَغْوٌ ، وأَرْشَدَهُمْ ـ سُبْحانَهُ ـ وَهَداهُم في الدُّنْيا إلى الطَّريقِ المَحْمودِ والعَمَلِ الصَّالِحِ الموصِلِ إلى الجَنَّةِ دارِ الخُلْدِ والنَّعيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الخُصومَةُ بَيْنَ المُؤْمِنينَ والكُفَّارِ خُصومَةٌ لا تَزولُ ولا تَحولُ ، لأَنَّ المُؤْمِنينَ المُوَحِّدينَ أَوْلياءُ الرَّحْمنِ ، والكُفَّارُ المُشْرِكونَ أَعْداءُ الرَّحْمنِ .

٢ـ المُؤْمِنُ يَكْرَهُ الكُفَّارَ ولا يُحِبُّهُمْ ، وإنْ كانَ يُحِبُّ لَهُمُ الهِدايَةَ .

٣ـ بَيانُ العذابِ العَظيمِ الّذي يَنْتَظِرُ الكافِرَ ، وَهُوَ عَذابٌ مُتَنوِّعٌ يَكونُ داخِلَ الجِسْمِ وَخارِجَهُ .

٤ـ بَيانُ النَّعيمِ المُقيمِ الَّذي يَنْتَظِرُ المُؤْمِنَ ، وَهُوَ يَشْمَلُ الأَجْسادَ والقُلوبَ والأَلْسِنَةَ .

٥ـ يُحَلّي اللهُ الرِّجالَ المُؤْمِنينَ في الجَنَّةِ بالذَّهَبِ والحَريرِ ، وَلكنَّهُ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ لِبْسَهُما في الجَنَّةِ .

٦ـ الطَّيِّبُ مِنَ النَّاسِ لا يَصْدُرُ عَنْهُ إلاّ كُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الأَقْوالِ والأَعْمالِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ التّاسعةَ عَشْرَةَ .

٢ـ اذْكُرْ أَصْنافَ العَذابِ المُهَيّأةَ لِلْكافِرينَ في النّارِ .

٣ـ لِماذا يُحاوِلُ أَهْلُ النّارِ الخُروجَ منْها ؟

٤ـ بِماذا يُحلَّى أَهْلُ الجَنَّةِ ؟ وَماذا يَلْبَسونَ . ؟

٥ـ وازِنْ بَيْنَ حالِ أَهْلِ النّارِ وأَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ خلالِ النِّقاطِ التّاليَةِ :

أـ السَّبَبِ المُوجِبِ لِعِقابِ الكافِرينَ وَنَعيمِ المُؤْمِنينَ .

ب ـ لِباسِ كُلٍّ مِنْهُما .

ج ـ ما يُقالُ لِكُلٍّ مِنْهُما .

٦ـ كَيْفَ يَلْبَسِ الرِّجالُ في الجَنَّةِ الذَّهَبَ والحريرَ مَعَ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ نَهاهُمْ عَنْ لِبْسِهِما ؟

نَشاطٌ :

١ـ وَرَدَتْ بعْضُ أَوْصافِ النَّارِ في سورةِ الهُمَزَةِ ، اكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حُكْمَ لِبْسِ رِجالِ المُسْلِمينَ لِلذَّهَبِ والحَريرِ في الدُّنْيا .

٣ـ اتْلُ الآيَةَ مِنْ سورةِ النَّبَأ الّتي تُبَيِّنُ أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لا يَسْمعونَ فيها اللَّغوَ ولا الكَذِبَ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ السَّادِسُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العاكِفُ	: المُقيمُ .	والبادِ	: القادِمُ غَيْرُ المُقيمِ .
يُرِدْ فيهِ بإلْحادٍ	: يُرِدْ فيه مَيْلاً عَنِ الحَقِّ .	بَوَّأْنا	: بيَّنَّا .
أَذِّنْ	: أعْلِمْ .	رِجالاً	: مُشاةً .
ضامِرٍ	: بَعيرٍ هَزيلٍ .	فَجٍّ عَميقٍ	: طَريقٍ بعيدٍ .

أيامٍ مَعْلوماتٍ : يَومِ النَّحْرِ وأَيَّامِ التّشريقِ الثَّلاثَةِ الّتي بَعْدَهُ .

بهيمةِ الأَنْعامِ : الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ .

ثم لِيَقْضوا تَفَثَهُم : يُزيلوا أَوْساخَهُمْ بالحَلْقِ والتَّحلُّلِ مِنَ الإحْرامِ .

البَيْتِ العتيقِ : الكَعْبَةِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ أَصْنافِ النَّاسِ ، وَمَصيرِ كُلِّ صِنْفٍ ، جاءَ بيانُ مَكانةِ المَسْجِدِ الحَرامِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

أيْ : إنَّ الَّذينَ أصرُّوا على كُفْرِهِمْ بما أَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ على رسولِهِ ﷺ واسْتَمَرُّوا عَلى مَنْعِ غَيْرِهِمْ مِنَ الإيمانِ ، وَعلى مَنْعِ أَهْلِ الحَقِّ مِنْ أَداءِ المَناسِكِ في البَيْتِ الحَرام ، الَّذي يَسْتَوي في حَقِّ زِيارَتِهِ والتَّعَبُّدِ فيهِ جَميعُ النَّاسِ ، مَنْ كانَ مُقيماً عِنْدَهُ وَمَنْ كانَ زائِراً لَهُ قادِماً إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ البوادي أَوِ البلادِ الأُخْرىٰ غَيْرِ مَكَّةَ ، فلا يَمْتازُ فيهِ أَحَدٌ على غَيْرِهِ ، وَمَنْ يَهِمُّ فيهِ بالمَيْلِ عَنْ أَحْكامِ الشَّريعَةِ وآدابِها ظُلْماً مِنْهُ لِنَفْسِهِ فَعِقابُهُ على ذَلِكَ أَليمٌ ، كما هُوَ عِقابُ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَمَنَعَ إِقامَةَ الشَّعائِرِ فيهِ . وَهذا تَهْديدٌ عظيمٌ ، حَيْثُ تَوَعَّدَ ـ سُبْحانَهُ ـ بالعذابِ الأليمِ مَنْ أَرادَ سوءاً أَوْ هَمَّ بِهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَفْعَلُهُ . والوَعيدُ يَشْمَلُ كُلَّ مَيْلٍ عَنِ الحَقِّ قَوْلاً كانَ أَوْ فِعْلاً .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بِمُناسبةِ الحَديثِ عَنِ البَيْتِ الحرام ، ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ قِصَّةَ بنائِهِ ، فَقالَ : واذْكُرْ وَقْتَ أَنْ هَيَّأْنا لإبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَكانَ البَيْتِ وأَرْشَدناهُ إِلَيْهِ لِكَيْ يَبْنِيَهُ ، وأَوْصَيناهُ بِعَدَمِ الإشْراكِ بنا ، وبإخْلاصِ العبادَةِ لَنا ، وَبِأَنْ يُطَهِّرَ هَذا البَيْتَ مِنَ الأرْجاسِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ ، وَيجعَلَهُ مُهَيَّأً لِلطَّائِفينَ بِهِ ، وَلِمَنْ يَقومُ بأداءِ الصَّلاةِ فيهِ ، وَذَكَرَ مِنَ الصَّلاةِ أَرْكانَها الأهَمَّ وَهِيَ : القِيامُ والرُّكوعُ والسُّجودُ ، وَتَخْصيصُ الطَّوافِ والصَّلاةِ بالذِّكْرِ لأنَّهُما عِبادَتانِ مُرْتَبِطتانِ بالبَيْتِ ، فالطَّوافُ حَوْلَهُ والصَّلاةُ إليه .

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ إبراهيمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بناءَ الكَعْبَةِ ، أَمَرَهُ اللهُ تعالىٰ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ بِفَريضَةِ الحَجِّ ، وأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ بَعْدَ الإعْلامِ سَيَأْتونَ مُشاةً على أَرْجُلِهِمْ ، وَراكِبينَ على دَوابِّهِمُ الَّتي أَضْمَرَها طول السَّيْرِ ، لأَنَّهُم قدموا عَلَيْها مِنْ أماكِنَ بَعيدَةٍ .

وإسْنادُ الضَّميرِ في (يَأْتينَ) إلى الرَّواحِلِ بَدَلاً مِنْ إسنادِهِ إلى راكبيها ، لأَنَّها هِيَ سَبَبُ إتْيانِ النَّاسِ مِنْ بُعدٍ لِمَنْ لا يَسْتَطيعُ القُدومَ على رِجْلَيْهِ .

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

الحجُّ مُؤْتَمرٌ عامٌّ لِلْمُسْلِمينَ يَأْتي الحُجّاجُ لِيَشْهَدوا مَنافعَ لَهُمْ ، وَلِيؤَدُّوا عِباداتٍ جَليلةً . والتَنْكيرُ في لَفْظِ (مَنافعَ) للتَّكْثيرِ ، فَهِيَ مَنافعُ كثيرةٌ مُتَعَدِّدَةٌ شامِلَةٌ لأُمورِ الدِّينِ والدُّنْيا ، ويَأْتي الحُجّاجُ لِيَذْكروا اسْمَ اللهِ كَثيراً ، ولِيَشْكروهُ على نِعَمِهِ الَّتي أنْعَمَها عَلَيْهِم ، ومِنْها ما وَفَقَهُمْ اللهُ إليهِ مِنْ ذَبْحِ الهَدْيِ والأَضاحي تَقرُّباً إليْهِ سُبْحانَهُ يَوْمَ النَّحْرِ وأَيّامَ التَّشْريقِ وَهِيَ الأيامُ الثَّلاثَةُ الَّتي تَلي يَوْمَ النَّحْرِ ، فَيَذْكُروا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِها ، ويَأْكلوا مِنْ لُحومِها ما شاءوا ، ويُطْعِموا مِنْها البائِسَ ، وَهُوَ الَّذي ظَهَرَ البُؤْسُ في ثِيابِهِ وفي وَجْهِهِ ، وَهُوَ فقيرٌ مُحْتاجٌ إلى الصَّدَقَةِ .

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

ثُمَّ بَعْدَ أنْ يَنْتَهي الحُجَّاجُ مِنْ قضاءِ مَناسِكِهِمْ فإنَّهُمْ يُزيلونَ ما عَلِقَ بِهِمْ مِنْ أَوْساخٍ وأَدْرانٍ بِحَلْقِ رُؤوسِهِمْ وَتَقْليمِ أَظافِرِهِمْ وَيُؤَدّونَ ما الْتَزموا بِهِ ، وَما أَوْجبوهُ على أَنْفُسِهِمْ مِنْ نَذْرٍ طاعَةً للهِ ويُتِمُّونَ أَعْمالَ حَجِّهِم بِأَنْ يَطوفوا طَوافَ الإفاضَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكانِ الحجِّ فَيَتِمُّ بِهِ تَحَلُّلُهُم وأَداءُ نُسُكِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ المَسْجِدُ الحَرامُ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ لِعِبادةِ اللهِ ، وَقَدْ أَرْشَدَ اللهُ إبْراهيمَ إلى المَوْضِعِ الَّذي بَناهُ فيهِ .

٢ـ فَرَضَ اللهُ الحَجَّ إلى المَسْجِدِ الحَرامِ عَلى كُلِّ المُؤْمِنينَ بَعْدَ إبْراهيمَ .

٣ـ عِظَمُ جَريمةِ المُشْرِكينَ الَّذين قَذَّروا المَسْجِدَ الحَرامَ بِخِلافِ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ إبْراهيمَ مِنْ تَطْهيرِهِ مِنَ الأَوْثانِ .

٤ـ لِلحاجِّ أنْ يَتَّجِرَ في مَواسِمِ الحجِّ .

٥ـ لِكُلِّ مُسْلِمٍ الحَقُّ في عِبادةِ اللهِ في المَسْجِدِ الحرامِ دونَ تَفريقٍ بَيْنَ مُقيمٍ وَوافِدٍ .

٦ـ لا يُؤاخَذُ المَرْءُ بالهَمِّ بالسَّيئةِ إلاّ في المَسْجِدِ الحَرامِ .

٧ـ المُؤْمِنونَ يَحْرِصونَ عَلى أَداءِ فَريضةِ الحَجِّ حَتَّى إنَّهُمْ يَأْتونَ إلَيْهِ مَشْياً على الأَقْدامِ ، وَعَلى الدَّوابِّ الَّتي يُضْنِيها طَويلُ المَسيرِ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا كانَ المُقيمُ والقادِمُ سَواءً في المَسْجِدِ الحَرام ؟

٢ـ بِماذا تَوَعَّدَ اللهُ تعالىٰ مَن يَهِمُّ بالسَّيِّئَةِ في المَسْجِدِ الحَرام ؟

٣ـ كَيفَ يَكونُ تَطْهيرُ المَسْجِدِ الحَرام ؟

٤ـ ما الَّذي يَجْعَلُ النَّاسَ يَشْتاقونَ لِلْحَجِّ مَعَ ما فيهِ مِنْ مَشَقَّةٍ ؟

٥ـ ما هِيَ الأَيَّامُ المَعْلوماتُ ؟

٦ـ بَيِّن مَعنى ما يلي :

أ ـ وأَذِّنْ في النَّاس بالحَجِّ .

ب ـ يَأْتوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ .

ج ـ لِيَشْهَدوا مَنافِعَ لَهُمْ .

د ـ وأَطْعِموا البائِسَ الفَقيرَ .

هـ ـ ثُمَّ لِيَقْضوا تَفَثَهُمْ .

فائدةٌ :

١ـ عَنْ أبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأَرْضِ أَوَّلاً ؟ قالَ : المَسْجِدُ الحَرامُ ، قلتُ : ثُمَّ أيٌّ ؟ قالَ : المَسْجِدُ الأَقْصى ، قُلْتُ : كَمْ كان بَيْنَهُما ؟ قالَ : أَرْبعونَ سَنَةً[١] .

٢ـ سُمِّيتِ الكَعْبَةُ البَيْتَ العَتيقَ لِقِدَمِ بِنائِها فَهِيَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ قَوْلاً أَوْ فِعْلاً فيهِ مَيْلٌ عَنِ الحقِّ إلى الباطِلِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الدَّالَّةَ على وُجوبِ التَّوَجُّهِ إلى بَيْتِ اللهِ الحرامِ عِنْدَ الصَّلاةِ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَسائِلَ النَّقْلِ الحديثَةَ الّتي يَسْتَخْدِمُها المُسْلِمونَ لِلسَّفَرِ إلى بَيْتِ اللهِ الحَرامِ .

---

(١) رواه البُخاريُّ في كتابِ الأنبياءِ ، باب ١٢ رقم لحديث ٣١٨٦ .

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حُرُماتِ اللهِ : تَكاليفَهُ وَأَوامِرَهُ .
الرِّجْسَ : النَجسَ .
الزُّورِ : الكَذِبِ .
حُنَفاءَ للهِ : مائلينَ عَنِ الباطِلِ إلى الحَقِّ .
خَرَّ : سَقَطَ .
تَهوي بِهِ الريحُ : تَقْذِفُهُ .
سَحيقٍ : بَعيدٍ .
شَعائِرَ اللهِ : أعلامُ دينِهِ ، ومِنْها الإبلُ المُهْداةُ للْبَيْتِ المُعظَّمِ .
مَحِلُّها : مَكانُ ذَبْحِها .



تستمرُّ هذه الآياتُ في بيانِ أحكامٍ تتعلّقُ بالحجِّ ، قال اللهُ تعالىٰ :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

الإشارَةُ بـ (ذلك) لِما مَضَى مِنْ أحكام الحَجِّ . وَمَنْ يُعَظِّمْ أَحْكامَ اللهِ وَيُراعِيها ويَحْفَظْها وَيَبْذُلْ جُهدَهُ في عدم انْتِهاكِها فهُو خيرٌ لَهُ عنْدَ ربِّه الّذي لنْ يُضيعَ أَجْرَهُ ، وَسَيَجزيَهُ على عَمَلِهِ خَيْرَ الجَزاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ أحلَّ لِعبادِهِ أنْ يأْكُلوا مِنْ لُحومِ الأنْعامِ بَعْدَ ذَبْحِها ، وَلَمْ يُحَرِّمْ عَلَيْهِمْ مِنْها إلّا ما استُثْني ، وذُكِرَ فيما يُتلىٰ مِنْ آياتٍ ، وذَلِكَ لِحِكْمَةٍ عَظيمةٍ يَعْلَمُها اللهُ . وَلِما في هَذِهِ المُحرَّماتِ مِنْ ضررٍ بالإنسانِ .

ثُمَّ أمرَ ـ سُبْحانَهُ ـ باجْتِنابِ ما يُغضِبُهُ وَيُؤدّي إلى عِقابِهِ ، فَأَمَرَ باجْتِنابِ عِبادَةِ الأَوْثانِ ، فإنَّ عِبادتَها رِجْسٌ وقَذَرٌ مَعنويٌّ . وأمرَ باجتنابِ الكذبِ والافْتِراءِ وشَهادَةِ الزُّورِ وتَحليلِ ما حَرَّمَ اللهُ ، والزَّعمِ بأنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ ، وهذا كُلُّهُ مِنَ الكذبِ المُؤَدّي إلى غَضَبِ اللهِ .

وفي عطفِ الزُّورِ على الأَوْثانِ إشارَةٌ إلى عِظَمِ جَريمةِ الكَذِبِ حَتَّى قُرِنَتْ بِعِبادَةِ الأَوْثانِ ، وفي الحديثِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قامَ خطيبًا ، فقال : « يا أيُّها النَّاسُ عَدَلَتْ شَهادَةُ الزُّورِ الإشْراكَ باللهِ ، ثُمَّ قرَأَ ﴿فاجتَنِبوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثانِ واجْتَنِبوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ »[1] .

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

أي كونوا ثابتينَ على الحَقِّ مُسْتَسلِمينَ لأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ مُخْلِصينَ لَهُ العِبادَةَ ، مُبْتَعِدينَ عَنِ الشِّرْكِ ، فإنَّ مثلَ المُشْرِكِ باللهِ كمَنْ سقطَ مِنَ السماءِ إلى الأَرْضِ فاخْتَطَفَتْهُ جوارِحُ الطَّيْرِ فَمزَّقَتْهُ وابْتلعَتْهُ ، أوْ حمَلَتْهُ الرِّيحُ ، فسَقَطَ في مكانٍ بعيدٍ ، ولَمْ يُعْثَرْ لَهُ على أثرٍ ، والمقْصودُ مِنْ هذا المَثَلِ التَّنْفيرُ مِنَ الشِّرْكِ ، وتَقْبيحُ حالِ المُشْرِكين ، وبَيانُ أنَّهُ يُؤَدي بِصاحِبِهِ إلى الهَلاكِ .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب شهادة الزور ، رقم الحديث ٣١٢٤ ، ورواه التِّرمذيُّ في كتاب الشَّهادات ، باب ما جاء في شهادة الزور ، رقم الحديث ٢٢٢٢ .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾

الإشارةُ بـ (ذلكَ) لِما مَضى مِنَ الأَوامرِ والنَّواهي . وَشَعائرُ اللهِ : هِي الأَوامرُ الظَّاهِرَةُ ، فإنَّ الشَّعيرةَ هِيَ العَلامَةُ ، فَكُلُّ أَمْرٍ مِنَ اللهِ تَعالى يَنْدَرِجُ ضِمْنَ الشَّعائِر . وَمِنْها مَناسِكُ الحَجِّ ، وَمِنْها البُدْنُ الّتي تُهْدى لِلْحَرَم ، وَكانوا يُعَلِّمونَها في السَّابِقِ بِعَلامةٍ تُمَيِّزُها عَنْ سائِرِ الإبلِ ، بِأَنْ يَطْعنوها في جانبِ سَنامِها فَيسيلُ مِنْهُ الدَّمُ فَيُسَمّى : إشْعاراً لَها .

وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنَّ فِعْلَهُ مِنْ أَعْمالِ التَّقوى الصَّادرةِ عَنْ ذوي القُلوبِ المُؤْمِنَةِ التي تَمْتَثِلُ أَمْرَ اللهِ وتطيعُهُ .

وَتَعْظيمُ شَعائِرِ اللهِ بِمَعْناها العامِّ يَكونُ بالْتِزامِ أَمْرِ اللهِ فيها والعَمَلِ وَفْقَ ما يُرضيهِ ، وتعظيمُها على مَعنى أنَّها مَناسِكُ الحَجِّ بِأَدائِها تامَّةً على الوَجْهِ المَطْلوبِ دونَ تَقْصيرٍ ولا تَأْخيرٍ ولا إيذاءٍ لِلآخرينَ ، وَتَعْظيمُها عَلى مَعْنى أنَّها البُدْنُ المُهْداةُ لِلْبيتِ يَكونُ باخْتِيارِها حِساناً سِماناً غاليةَ الأَثْمانِ .

وَفي إضافةِ لَفْظِ (شعائِرَ) إلى (اللهِ) تَعالىٰ حضٌّ عَلى الاهْتِمامِ بِها ، وإضافةُ (التَّقوىٰ) إلى (القُلوبِ) لأنَّ حَقيقةَ التَّقوى في القَلْبِ .

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

الضَّميرُ في (فيها) يَعودُ على الأَنْعامِ المَذْكورةِ في قَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعامُ﴾ فَيُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ أَباحَ لِلْمُؤمنينَ أَنْ يَنْتَفِعوا مِنْ هذهِ الأَنْعامِ مَنافِعَ مُتَعَدِّدَةً . كالرُّكوبِ واللَّبَنِ والنَّسْلِ ، إلى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ وَقْتُ ذَبْحِها أَيّامَ النَّحْرِ ، بَعْدَ أَنْ تَصِلَ إلى البَيْتِ العَتيقِ ، والمَقْصودُ بِهِ : الحَرَمُ كُلُّهُ ، لأَنَّ الهَدْيَ لا يُنْحَرُ في الكَعْبَةِ أَوْ حَوْلَها ، وَأَكْثَرُ ما يَكونُ النَّحْرُ والذَّبحُ في مِنىً . وَهِيَ مِنَ الحَرَمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ وُجوبُ تَعْظيمِ حُرُماتِ اللهِ لِما في تَعْظيمِها مِنَ الأَجْرِ العَظيمِ .

٢ ـ عَظيمُ حُرْمَةِ قَوْلِ الزُّورِ وَشَهادَةِ الزُّورِ حتىٰ إنَّها قُرِنَتْ بالشِّرْكِ .

٣ ـ شَعائرُ اللهِ نَوْعانِ : نَوْعٌ يُتَعَبَّدُ اللهُ بِهِ كالبُدْنِ الّتي يُتَقَرَّبُ بِهِ إلى اللهِ أُضْحِيَةً وَهَدْياً ، والآخَرُ الصَّفا والمَرْوَةَ الّتي يُسْعى بَيْنَهما .

٤ـ التَّنفيرُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَبَيانُ خَسارَةِ المُشْرِكِ .

٥ـ إباحَةُ الانْتِفاعِ بالأَنْعامِ المُشْعَرَةِ والمُقَلَّدةِ بِركوبِها وشُرْبِ لَبَنِها حتَّى يَحينَ مَوْعِدُ ذَبْحِها في المَكانِ المُحَدَّدِ شَرْعاً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنِ المَقْصودَ بِحُرُماتِ اللهِ وشعائِرِ اللهِ .

٢ـ ما الشَّيْئانِ المَأْمورُ باجتنابِهِما ؟ وما الدَّلالةُ في الجَمْعِ بَيْنَهُما كما جاءَ في آياتِ الدَّرْسِ ؟

٣ـ ما الْمَثَلُ الَّذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالىٰ لِلْمُشْرِكِ ؟

٤ـ ماسَبَبُ إضافةِ التَّقوى إلى القُلوب ؟

٥ـ ما حُكْمُ الانْتِفاعِ بالأنْعامِ قَبْلَ ذَبْحِها ؟

٦ـ لِنَحْرِ ما يُهْدَى إلى البَيْتِ الحَرامِ مِنَ الأَنْعامِ وَذَبْحِهِ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ ، ومَكانٌ مُخَصَّصٌ ، بَيِّنْهما .

٧ـ اذْكُرِ الآيةَ الكَريمَةَ الَّتي تُبَيِّنُ كُلاً مِمَّا يلي :

أ ـ أَحَلّ اللهُ لنا الأَنْعامَ إلاّ ما اسْتُثْنِيَ .

ب ـ سوءِ عاقِبَةِ الشِّرْكِ باللهِ .

ج ـ تُذْبَحُ الأَنْعامُ في مَكَّةَ .

د ـ إباحَةُ الانْتِفاعِ بالأَنْعامِ قَبْلَ ذَبْحِها في الحَرَمِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يُبَيِّنُ الكَبائرَ مِنَ الذُّنوبِ .

٢ـ اذْكُرْ حَديثاً نَبَوِيّاً يُبَيِّنُ أَنَّ مَحَلَّ التَّقْوى القَلْبُ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الذَّبْحِ والنحْرِ ، واذْكُرِ اسْمَ حَيوانٍ يُذْبَحُ ، وآخَرَ يُنْحَرُ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مَنْسَكاً** : عِبادةً فيها التَّقَرُّبُ إلى اللهِ بالذَّبْحِ .
- **المُخْبِتينَ** : المُتَواضِعينَ للهِ الخاشِعينَ لِجلالِهِ .
- **وَجِلَتْ** : خافتْ .
- **البُدْنَ** : الإبلَ ، سُمِّيَتْ بذلكَ لِضخامَةِ بَدَنِها .
- **شَعائِرِ اللهِ** : أَعْلامِ شَريعَتِهِ في الحَجِّ .
- **صَوافَّ** : قائمةً قَدْ صَفَّتْ قوائِمَها .
- **وَجَبَتْ جُنوبُها** : سَقَطَتْ على الأَرْضِ بَعْدَ النَّحْرِ أيْ ماتَتْ .
- **القانِعَ** : الرَّاضيَ بما عِنْدَهُ ، الَّذي لا يَسْأَلُ النَّاسَ .
- **المُعْتَرَّ** : الَّذي يَسْأَلُ النَّاسَ .



التَّفسيرُ :

تُبيِّنُ الآيةُ الأُولىٰ أنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ شَرَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ ما يَتَقَرَّبونَ بِهِ إليْهِ مِنَ الذَّبائحِ لِيَشكُروهُ ، ولِيَنْتَفِعوا بِها ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ شَرَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَرْسَلَ إليها رُسُلَهُ ، وأَنْزَلَ عَلَيْها وَحْيَهُ ، مَوْضِعَ نُسُكٍ ، والنُّسُكُ الذَّبْحُ ، لِيَتَقَرَّبوا بِهِ إلى اللهِ ، وَيكونُ ذَلِكَ بأنْ يَذْكُروا اسْمَ اللهِ عِنْدَ ذَبْحِ هَذهِ الأَنْعام ، وَيَجْعَلوها خالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ قاصِدينَ شُكْرَهُ على ما أنْعَمَ عَلَيْهِم مِنْ هَذهِ الأَنْعام ، وَسَخَّرَ لَهُمْ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الإِلهُ المَعْبودُ بِحَقٍّ المُسْتَحِقُّ لأنْ تُسْلِمَ لَهُ الوُجوهُ وَيُخْلَصَ لَهُ في العِبادَةِ والطّاعَةِ . وَيَكونَ الذَّبْحُ باسْمِهِ تقرُّباً لَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ ـ سُبْحانَهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أنْ يُبَشِّرَ المُخْبَتينَ ، أي المُتواضِعينَ للهِ والمُطْمَئِنينَ إلى عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ . المُخْلِصينَ في عِبادَتِهِمْ لَهُ . وَلَمْ يَذْكُرِ المُبَشَّرَ بِهِ لِعَظَمَتِهِ وَهُوَ : رِضوانُ اللهِ وَجَنّاتُ النَّعيم .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآيةُ الكَريمَةُ أرْبَعاً مِنْ صِفاتِ المُخْبَتينَ :

﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

الصِّفَةُ الأُولىٰ مِنْ صِفاتِ المُخْبَتينَ أنَّهُمْ إذا ذَكَروا اللهَ أَوْ سَمِعوا ذِكْرَهُ ارْتَعَشَتْ لِذِكْرِهِ قُلوبُهُمْ خَشْيَةَ أنْ تَكونَ قَصَّرتْ في طاعَتِهِ أَوْ خالَفَتِ أَمْرَهُ .

والصِّفَةُ الثّانِيَةُ أَنَّهُم يَصْبِرونَ على ما يُصيبُهُمْ مِنْ مَصائِبَ وَمِحَنٍ وَمَكارِهَ .

والثّالِثَةُ أَنَّهُمْ يُداوِمونَ على الصَّلاةِ ، وَيُؤَدونَها في أَوْقاتِها بإخْلاصٍ وَخُشوعٍ .

والرّابِعَةُ أنَّهم يُنْفِقونَ مِمّا رَزَقَهُمْ اللهُ في وُجوهِ الخَيْرِ والبِرِّ .

فَخَشْيَةُ اللهِ تعالىٰ ، ومُراقَبَتُهُ ، والصَّبْرُ على بَلائِهِ ، والمُحافَظَةُ على فَرائِضِهِ تُؤَدّي إلى رِضا اللهِ والفَوزِ بِجَنّاتِهِ .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ شَيْئاً مِنْ آدابِ الذَّبْحِ وأَحْكامِهِ في الحَجِّ ، فقالَ :

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) ﴾ .

البُدْنَ : جَمْعُ بَدَنَةٍ ، وهِيَ الإبلُ الَّتي شرعَ اللهُ لَنا نحرَها عِنْدَ البَيْتِ الحرام تقرُّباً للهِ تعالىٰ . وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ شَعائِرِ الدِّينِ ، وأخبرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّ في هذهِ البُدْنِ خيْرا للنّاسِ في الدُّنْيا بالانْتِفاعِ بِها وبِأَلْبانِها وَوَبَرِها ، وخَيْراً في الآخِرَةِ بالثّوابِ الجَزيلِ على نحرِها تقرُّباً إليهِ .

ثُمَّ أَرْشَدَ ـ سُبْحانَهُ ـ إلى ذِكْرِ اسْمِ اللهِ عِنْدَ نَحْرِها ، وإلى هيئتِها عند النَّحْرِ ، فهِيَ تُنْحرُ حال كَونِها قائمةً قَدْ صَفَتْ أَيْدِيَها وأرجُلَها ، وعُقِلَتْ يَدُها اليُسرى اسْتِعْداداً لِلنَّحْرِ ، فإذا سقطتْ على الأرْضِ على جَنْبِها بَعْدَ النَّحْرِ ، وأُعِدَّتْ لِلأَكْلِ فَكُلوا مِنْها ، وأَطْعِموا الفقيرَ القانعَ الذي لا يَسْأَلُ ، والفَقيرُ المُعْتَرَّ الَّذي يَسْأَلُ حاجَتَهُ ، ويَطْلُبُ مُساعَدَتَهُ .

ثُم بَيَّنَ سُبْحانَهُ فَضْلَهُ على خَلْقِهِ بِتَسْخيرِ الأَنْعامِ لَهُمْ وَتَذْلِيلِها ، وَجَعْلِها مُنْقادةً لِيشْكُروا اللهَ على إنْعامِهِ وَفَضْلِهِ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٧) ﴾ .

أيْ لَنْ يَصِلَ إلى اللهِ تَعالىٰ لُحومُ هذِهِ الأَنْعامِ ودِماؤُها . فاللهُ غَنِيٌّ لا يحتاجُ إلى خَلْقِهِ ، ولكِنَّ الَّذي يَصِلُ إليْهِ ويُثيبُكُمْ عليهِ هُوَ تَقْواكُمْ وَتَقوى اللهِ في البُدْنِ التَقرُّبُ بذَبْحِها خالِصةً للهِ وَحْدَهُ ، واخْتيارُها سَمينةً ثَمينةً سَليمةً لا عَيْبَ فيها .

ثُمَّ امْتَنَّ سُبْحانَهُ مرّةً أُخرىٰ بتَسْخيرِ الأنْعامِ لِعبادِهِ فقالَ : ﴿كَذلكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكبروا الله على ما هَداكُمْ﴾ أي كهذا التَّسْخيرِ العَجيبِ الَّذي تَرَوْنَهُ سَخَّرنا لَكُمْ هذهِ الأَنْعامَ وجعلناها طائِعةً لكُمْ مُنْقادَةً لِلذَّبْحِ والنَّحْرِ ، مُسْتَسْلِمَةً لَكُمْ ، وَلَوْلا تَسْخيرُ اللهِ لها لَمْ تَكُنْ كذلك ، وَهذهِ من نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ عَلَيْكُمْ لِتُكَبِّروهُ ، وتُعَظِّموهُ على نعَمِهِ ، وَعَلى هِدايتِكُمْ لِلإيمانِ .

وخُتِمَتِ الآيَةُ بأمْرِهِ ﷺ أَنْ يُبَشِّرَ المُحْسنينَ في أَعْمالِهِم ، القائمينَ على أعْمالِهِمْ بأحْسنِ وجهٍ ، وَحُذِفَ المُبَشَّرُ بِهِ هُنا كَما حُذِفَ في تبشيرِ المُخْبِتينَ لِتَذْهبَ النُّفوسُ فيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ ، وَهُوَ : الجزاءُ الحَسَنُ ، والنَّعيمُ المُقيمُ في جَنَّاتِ عَدْنٍ خالِدينَ فيها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذَبْحُ القرابينِ تقرُّباً للهِ تعالىٰ مَشْروعٌ في جَميعِ الشَّرائعِ ، وَهُوَ دَليلٌ على وَحْدَةِ المُشَرِّعِ سُبْحانَهُ .

٢ـ وُجوبُ ذِكْرِ اسْمِ اللهِ عِنْدَ الذَّبْحِ ، وحُرْمَةُ ذَبْحِها لِلأَصْنام أَوْ ذِكْرِ اسْمِ الأَصْنامِ عَلَيْها .

٣ـ فَضيلَةُ التَّواضُعِ للهِ تَعالىٰ والتَّخَلُّقِ بالصِّفاتِ المَذْكورةِ في الآياتِ .

٤ـ بَيانُ كَيْفِيّةِ نَحْرِ الإبلِ ، وَعَدَمُ جَوازِ تَقْطيعِها قَبْلَ اكْتِمالِ خُروجِ روحِها .

٥ـ الاسْتِفادَةُ مِنَ الذَّبائحِ بالأَكْلِ مِنْها وإِطْعامِ المُحْتاجينَ مِمّنْ يَسْأَلونَ النّاسَ ، وَمَنْ لا يَسْأَلونَ .

٦ـ اللهُ لا يَحْتاجُ إِلى دَمِ الذَّبائِحِ وَلَحْمِها ، والَّذي يُريدُهُ مِنّا عِبادَتُنا لَهُ بالتَّقَرُّبِ إِليْهِ بِنَحْرِها ، واخْتِيارِها ثَمِنيةً سَليمةً وَهذهِ هِيَ التَّقْوىٰ .

٧ـ شُكْرُ اللهِ تَعالىٰ على نِعَمِهِ ، وَتَكبيرُ اللهِ تعالىٰ أَيّامَ التَّشْريقِ على تَوْفيقِهِ وَهِدايَتِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماالدَّليلُ على تَشْريعِ ذَبْحِ الأَنْعامِ للأُمَمِ السَّابِقَةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ صِفاتِ المُخْبِتينَ المَذْكورَةَ في الآياتِ .

٣ـ أ ـ ما المُرادُ بالبُدْنِ ؟

ب ـ كَيْفَ تُنْحَرُ الإِبلُ ؟

٤ـ ماالفَرْقُ بَيْنَ القانِعِ والمُعْتَرِّ ؟

٥ـ ماالآيةُ الَّتي تُبَيِّنُ أَنَّ هَدَفَ الذَّبْحِ هُوَ تَعظيمُ شعائِرِ اللهِ ، وطاعةِ أَمْرِهِ ، وَلَيْسَ وُصولَ اللُّحومِ والدّماءِ إلى اللهِ ؟

٦ـ ما أَوْجُهُ تَسْخيرِ الأَنْعامِ للإنْسانِ ؟

٧ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنَ العِبَرِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ آياتِ الدَّرسِ .



آيامُ التَّشريقِ هِيَ الأَيّامُ الثَّلاثَةُ التي تَلي يَوْمَ النَّحْرِ وَهِيَ (الحاديَ عَشَرَ ، الثّاني عَشَرَ ، الثّالِثَ عَشَرَ) مِنْ شهرِ ذي الحِجَّةِ .

نَشاطٌ :

١ـ ما حُكْمُ الذَّبحِ تَعْظيماً لِغيرِ اللهِ وذكرِ اسم غَيْرِ اسمِ اللهِ تعالىٰ عِندَ الذَّبْحْ ؟ وما حُكْمُ مَنْ ذَبَحَ ونَسيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ سهواً دونَ قَصْدٍ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِك .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ نَوْعَيْنِ آخرَيْنِ مِنَ الأَنْعامِ الَّتي تُذْبَحُ في الحَجِّ تَقَرُّباً للهِ تعالىٰ .

٣ـ ابْحَثْ مَعَ زُملائِكَ في سَبَبِ تَسْمِيتِها بأيّام التَّشْريقِ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ . .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَوّانٍ : كَثيرِ الخيانَةِ لِلأَماناتِ .

صوامِعُ : مَعابِدُ رُهبانِ النَّصارىٰ .

بيعٌ : كنائسُ النَّصارى .

صلواتٌ : كنائسُ اليَهودِ .

التَّفسيرُ :

تَتَحدَّثُ آياتُ هذا الدَّرْسِ عَنْ إذنِ اللهِ تعالىٰ لِلْمُؤْمنينَ بالقِتالِ لِلدِّفاعِ عَنْ دينِهِ وَشَعائِرِهِ ، وتَبْدَأُ الآياتُ بِتَبشيرِ المُؤْمنينَ بدفاعِ اللهِ عَنْهُم ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

إنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ يَنْصُرُ المُؤْمنينَ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ أَذَى المُشْرِكينَ ، وَهَذِهِ بِشارةٌ

لِلْمُؤْمنينَ لِتَقْوِيَةِ عزائِمِهِمْ ، وَلْيُقْبِلوا على ما شَرَعَهُ اللهُ لَهُمْ مِنْ جِهادِ أَعْدائِهِمْ بِثَباتٍ وأَمَلٍ بِنَصْرِ اللهِ ، فإِنَّ اللهَ يَبْغُضُ الكافِرينَ المَوْصوفينَ بِكَثْرَةِ الخيانَةِ وشِدَّةِ الكُفْرِ .

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَذِنَ اللهُ لِلْمُؤْمنينَ ، وَرَخَّصَ لَهُم أَنْ يقاتِلوا أَعْداءَهُمُ الَّذينَ ظَلَموهُمْ ، بَعْدَ أنْ صَبَرَ هَؤلاءِ المُؤْمنونَ على أَذى أَعْدائِهِمْ صَبْراً طويلاً .

وَبَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ قادِرٌ على نَصْرِ عِبادِهِ أنْ يَبْذُلوا جُهْدَهُمْ في طاعَتِهِ لِيَنالوا الأَجْرَ . والجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِـ (إنَّ) واللّام ، وَصيغَةِ المبالَغَةِ في (قدير) .

وهذِهِ هي الآيَةُ الأُولىٰ في مَشروعيَّةِ القِتالِ بَعْدَ أنْ مُنِعَ المُسْلِمونَ مِنْ رَدِّ الأَذى ، وأُمِروا بالكَفِّ عَنِ القِتالِ طوالَ الفَتْرَةِ المَكِّيَّةِ ، حَيْثُ كانوا مُسْتَضْعَفينَ فيها ، وَكانَ المُشْرِكونَ أَكْثَرَ عَدَداً ، فَلَمّا اسْتَقَرَّ المُسْلِمونَ بالمَدينَةِ شَرَعَ اللهُ الجِهادَ بالقِتالِ .

وبَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ في الآيَةِ التّالِيةِ بَعْضَ الأَسْبابِ الَّتي مِنْ أَجْلِها شَرَعَ الجِهادَ في سَبيلِهِ :

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هَؤلاءِ المُؤْمنونَ الَّذينَ أَذِنَ اللهُ لَهُمْ بالقِتالِ ، وبَيَّنَ قُدْرَتَهُ على نَصْرِهِمْ ، هُمُ الَّذينَ أَخْرَجَهُمُ الكافِرونَ مِنْ ديارِهِمْ بِمَكَّةَ ظُلْماً ، وَبِغيرِ سَبَبٍ ، سِوى أَنَّهم كانوا يُوَحِّدونَ اللهَ ، ويَعْبُدونَهُ ، وهَذا مُوجِبٌ لإِقرارِهِمْ لا لإِخْراجِهِمْ ، وَلَوْلا أَنَّ اللهَ تَعالى أَباحَ لِلْمُؤْمنينَ قِتالَ المُشْرِكينَ ، لعاثوا في الأَرْضِ فَساداً ، وَلهدّموا أماكِنَ العِبادَةِ ، في مُخْتَلِفِ العُصورِ . وَهذا يَدُلُّ على حُرْمَةِ الاعْتِداءِ عَلى أَماكِنِ العِبادَةِ ، سَواءً أَكانت لِلْيَهودِ وهِيَ الصَّلواتُ ، أَمْ للنَّصارَى وهي البِيَعُ والصَّوامِعُ ، أَوْ لِلْمُسْلِمينَ وَهِيَ المَساجِدُ ، فَشَرَعَ القِتالَ لإِحْقاقِ الحَقِّ وإِزْهاقِ الباطِلِ ، وَلَوْلا ذَلِكَ لاخْتَلَّ نِظامُ هذا العالَمِ ، وانْتَشَرَ فيهِ الفَسادُ .

وَوَصَفَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المَساجِدَ بِأَنّها يُذْكَرُ فيها اسْمُهُ كَثيراً ، مَدْحاً لها ، ودَلالَةً على فَضْلِها وفَضْلِ أَهْلِها ، ولأَنَّها أَماكِنُ العِبادَةِ الحَقَّةِ . وَقُدِّمَتِ الصَّوامِعُ والبِيَعُ والصَّلَواتُ على المَساجِدِ لأَنَّها أَقْدَمُ مِنْها في الوُجودِ ، أَوْ لِلانْتِقالِ مِنَ الشَّريفِ إلى الأَشْرَفِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ التي لا تَتَخَلَّفُ ، وَهِيَ وَعْدُهُ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَنْصُرونَ دينَهُ وَرَسولَهُ ، فإِنَّهُ تَعالىٰ قادِرٌ على كُلِّ شَيْءٍ ، عَزيزٌ لا يُقْهَرُ ولا يُغْلَبُ ، وَقَدْ صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ فَنَصَرَ عِبادَهُ المُؤْمِنينَ على أَعْدائِهِم ، وَوَعْدُ اللهِ لا يَتَخَلَّفُ ، وإِنْ تَأَخَّرَ النَّصْرُ عَنّا في هذا الزَّمانِ فَلِعَدَمِ

صِدْقِ الإيمانِ ، وَعَدَمِ القيامِ بِنَصْرِ دينِ اللهِ تعالىٰ على الوَجْهِ اللازِمِ . وفي الآيةِ التّالِيَةِ وَصَفَ اللهُ تعالى المُؤْمنينَ الّذينَ وَعَدَهُمْ بِنَصْرِهِ بِأَكْرَمِ الصِّفاتِ ، فقالَ :

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

فَهُمُ الّذينَ إنْ جَعَلْنا لَهُمْ سُلْطاناً في الأَرْضِ وَتَمَكُّناً وَتَمَلُّكاً وَنَصْراً على أَعْدائِهِمْ شَكروا لَنا ما أنعَمْنا بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَقاموا الصَّلاةَ في أَوْقاتِها ، وأَخْرجوا زكاةَ أَموالِهِمْ لِلْمُسْتَحِقّينَ لَها ، وأَمَروا غَيْرَهُمْ بالمَعْروفِ ، وَنَهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ، فهؤلاءِ أَوْلى النّاسِ بِنَصْرِ اللهِ ، وَللهِ وَحْدَهُ مَرْجِعُ الأُمورِ وَمَرَدُّها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وَعْدُ اللهِ المُؤْمنينَ بالدِّفاعِ عَنْهُمْ وَنَصْرِهِمْ على الكافرينَ الخائنينَ .

٢ـ الإذنُ بالقِتالِ لِرَفْعِ الظُّلْمِ ونُصْرَةِ المَظلومِ .

٣ـ الأُمَّةُ المُسْلِمَةُ هَدَفُها في الدُّنيا إقامةُ سُلطانِ اللهِ في الأرْضِ .

٤ـ حُرْمَةُ هَدْمِ أَماكِنِ العِبادَةِ والعُدْوانِ عَلَيْها ، وإنْ كانَ دينُ أَصْحابِها باطِلاً .

٥ـ بَيانُ الحِكْمَةِ مِنْ شَرْعِ القِتالِ ، وَهُوَ كَفُّ أَيْدي الطُّغاةِ عَنِ الإفسادِ في الأرْضِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ دفاعِ اللهِ تَعالىٰ عَنِ المُؤْمنينَ ؟

٢ـ ما مَعنى (خَوّانٍ كَفورٍ) ؟

٣ـ مَتى كانَ الإِذْنُ لِلْمُؤْمنينَ بالقِتالِ ؟

٤ـ أ ـ ما معنىٰ : صوامعُ ، بِيَعٌ ، صَلواتٌ ، مَساجدُ ؟

ب ـ لِماذا خُصِّصَتْ المساجدُ بِأَنَّها يُذْكَرُ فيها اسْمُ اللهِ كثيراً ؟

٥ـ اسْتَخْرِجِ المُؤَكِّداتِ مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ .

٦ـ ما الصِّفاتُ التي ذَكَرَها اللهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ نَصْرَهُ ؟

٧ـ امْلأ الفَراغَ بِما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ القُرْآنيةِ الكَريمةِ ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ .

أـ أُذِنَ لِلَّذينَ . . . . بأَنَّهُمْ ظُلِموا .

ب ـ الَّذينَ . . . . مِنْ ديارِهِمْ .

ج ـ الَّذين . . . . في الأَرْضِ .

٨ـ ضَعْ أمامَ كُلِّ دِيانَةٍ اسْمَ المَكانِ الخاصِّ بالعِبادَةِ فيها :

أـ الإسْلامُ (   ) .

ب ـ النَّصْرانيّةُ (   ) .

ج ـ اليَهوديّةُ (   ) .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ وَسائِلَ لِلْجِهادِ في سَبيلِ اللهِ تَعالىٰ غَيْرَ القِتالِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أصْحابُ مَدْيَنَ	: قَوْمُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .
فأَمْلَيْتُ لِلْكافرينَ	: أمْهَلْتُهُم بالعُقوبةِ .
نكير	: عذابي وإهلاكي لَهُمْ .
فكأَيِّنْ	: فَكَثيرٌ .
خاوِيَةٌ على عُروشِها	: خَرِبَةٌ مُتَهَدِّمَةٌ ، والعُروشُ : السُّقوفُ .
مُعَطَّلَةٍ	: مَهْجُورَةٍ .
وقَصْرٍ مَشيدٍ	: مَرفوعِ البُنيانِ مُجَصَّصٍ بالشِّيدِ .



في هذهِ الآياتِ تَسْليةٌ للرَّسولِ ﷺ عمّا أَصابَهُ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ بِسببِ تَكْذيبِ المُشْركينَ لهُ ، وتوبيخٌ لِلْمُشْركينَ على عَدمِ اعْتِبارِهِمْ بِمَنْ سَبَقَهُمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

وإنْ يُكذِّبْكَ أيُّها الرّسولُ هؤلاءِ المُشْركونَ ويَفْتَروا عَلَيْكَ وعَلى أصْحابِكَ المُؤْمنينَ ، ويُؤْذوهُمْ فلا تَحْزَنْ لِذَلِكَ ، فَتِلْكَ عادَةُ المُشْرِكينَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ كَذَّبُوا رُسُلَهم وَمِنْ هؤلاءِ : قومُ نوحٍ ، وعادٌ قومُ هودٍ ، وَثَمودُ قومُ صالحٍ ، كلُّهُمْ كَذَّبوا رُسُلَهُم .

﴿ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

ومِنَ الّذين كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ أَيْضاً قَوْمُ إبْراهيمَ ، وَكذلِكَ قَوْمُ لوطٍ .

﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾

وَكَذَّبَ أَصْحابُ مَدْيَنَ وهُمْ قَوْمُ شُعَيْبٍ عليهِ السلامُ ، وكَذَّبَ فِرْعَوْنُ ومَنْ مَعَهُ موسى عَلَيْه السلامُ ، معَ وُضوحِ ما جاءَ به وكَثْرَةِ الأَدِلَّةِ على صِدْقِهِ .

هَؤلاءِ الأَقْوامُ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ وَلَمْ يُعاجِلْهُمُ اللهُ تَعالى بالعُقوبَةِ ، بَلْ أَمْهَلَهُمْ ثُمَّ أخَذَهُمْ بالعُقوبَةِ الشَّديدةِ القاسِيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَقَدْ كانَ العَذابُ الَّذي حَلَّ بهِمْ فظيعاً مُهْلِكاً ، تَبَدَّلَتْ فيهِ النِّعْمَةُ إلى نِقْمَةٍ ، والحياةُ إلى هَلاكٍ ، والعَمارُ إلى خَرابٍ ، فلْيَعْتَبِرْ مُشْرِكو مَكَّةَ وَغَيْرُهُمْ بما حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهُمْ بَعْدَ أنْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ ، لِئَلاّ تكونَ عاقِبَتُهُمْ مِثْلَهُمْ .

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

لمْ تَكُنِ الأُمَمُ المَذْكورةُ في الآياتِ السَّابِقَةِ وَحْدَها المُكَذِّبَةَ بالرُّسُلِ ، فإنَّ كَثيراً مِنَ القُرى أُهْلِكَتْ بِسَبَبِ ظُلْمِ أهْلِها وكُفْرِهِمْ ، وأصْبَحَتْ بَعْدَ هَلاكِ أهلِها خالِيَةً خَرِبَةً مُتَهَدِّمَةً ، قَدْ سَقَطَتْ سُقوفُها على جُدْرانِها ، وأَصْبَحَتْ آبارُها غائِرَةَ الماءِ مَهْجورَةً مُعَطَّلَةَ المَنافِعِ ، وأَصْبَحتْ قُصورُها الحَصينةُ المَرْفوعةُ البُنْيانِ المُجَصَّصَةُ بالشّيدِ خاوِيَةً مُتَهَدِّمَةً ، وفي هذا عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرينَ وَوعيدٌ شَديدٌ لِلْمُشْرِكينَ .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ تَقْريعٌ وتَوْبيخٌ لِمُشْرِكي مَكَّةَ الَّذين كانوا يُسافِرونَ ويَمرُّونَ بطريقِهم بقُرى المُهْلَكينَ مثلِ : مدائِنِ صالحٍ ، وقرى قوم لوطٍ ، ولكنَّهُمْ لمْ يَعْتَبروا بهذه الرؤيَةِ ، ولَمْ يَتَّعِظوا بها ، كما لَمْ يَنْتَفِعُوا مِمّا سَمِعوه مِنْ أحاديثَ عَنْ تِلْكَ القُرى المُهْلَكَةِ والآبارِ المُعَطَّلَةِ والقُصورِ الخاليَةِ مِنْ سُكّانِها ، وإنَّ عدمَ انْتِفاعِ المُشْرِكينَ عائِدٌ إلى انْطِماسِ بَصائِرِهِمْ وعَمى قُلوبِهِمْ ، وَهذا هُوَ العمى الحَقيقيُّ فلَيْسَ العَمىٰ عَمىَ الأَبْصار ، ولَكِنَّهُ عَمى البَصائِرِ والقلوبِ .

ووَصْفُ القُلوبِ بأنَّها في الصُّدورِ لِزيادَةِ التأْكيدِ ، ولِبيانِ أنَّ المُشْرِكينَ لَمْ يَنْتَفِعوا مِنْها مَعَ قُرْبِها واتِّصالِها بِهِمْ .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ومِمّا يَدُلُّ على ضَلالِ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ أنَّهُمْ بَدَلاً مِنْ أن يَنْتَفِعُوا مِمّا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَهم ، أَخَذوا يَطْلُبُون مِنَ الرَّسولِ ﷺ نُزولَ العَذابِ بِهِمْ عاجلاً ، على سَبيلِ الاسْتِهزاءِ والاسْتِخْفافِ والتَّكْذيبِ بهِ ، وإنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لنْ يُخْلِفَ ما وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ العَذابِ وسَيَحِلُّ بِهِمْ في الوَقْتِ الَّذي يُحَدِّدُه هُوَ وَلَيْسَ في الوَقْتِ الَّذي يُريدونَهُ هُمْ . وإنَّ العذابَ الَّذي سيَنْزِلُ بِهِمْ سَيكونُ شَديداً طَويلَ الأَمَدِ ، فاليَوْمُ الواحِدُ مِنْ أيّامِ اللهِ بِمِقْدارِ ألفِ سَنةٍ مِنْ سِنيِّ الدُّنْيا .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حُصولَ العذابِ ونُزولَهُ بِأَقْوامٍ سابِقينَ ، فَقالَ تعالى :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾

وكثيرٌ مِنَ القُرى الظّالِمَةِ أَمْهَلْتُ عُقوبَةَ أَهْلِها مَعَ ظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ ، ثُمَّ أَخَذْتُها بَعْدَ ذَلِكَ أَخْذاً عَنيفاً بَعْدَ الإمهالِ ، ومَصيرُهُمْ في الآخِرَةِ إليَّ دونَ غَيْري لِيَجدوا عَذاباً أَشَدَّ وأَبْقىٰ ، فلا تَغْتَرُّوا أيُّها المُشْركونَ مِنْ تَأْخيرِ العَذابِ عَنْكُمْ ، فَقَدْ نَزَلَ بِأُمَمٍ مِنْ قَبْلِكُمْ ، ومِنْهُمْ مَنْ رأيتُم آثارَهُمْ شاهِدَةً على ما حَلَّ بِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ سُنَّةُ اللهِ في المُكَذِّبينَ أَنْ يُمْهِلَهُمْ حَتّى تَقومَ الحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَأْخُذَهُمْ .

٢ـ تَكْذيبُ الرُّسُلِ صِفةٌ لازِمةٌ في الأَقْوامِ ، وَلَيْسَ أَمْراً خاصّاً بِأَهْلِ مَكَّةَ .

٣ـ وُجوبُ الاعْتبارِ مِمّا أصابَ السّابِقينَ مِنْ هَلاكٍ وَدَمارٍ .

٤ـ العَمى الحَقيقيُّ هُوَ عَمى القَلْبِ عَنِ الحَقِّ .

٥ـ مَحَلُّ القُلوبِ التي نَفْقَهُ بها هُو الصُّدورُ .

٦ـ عاقِبَةُ الظُّلْمِ وَخيمَةٌ وَعَذابُ الظّالِمينَ أليمٌ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الأَقْوامَ المَذْكورينَ في هَذهِ الآياتِ مُبَيِّناً اسْمَ الرَّسولِ الَّذي أُرْسِلَ لِكُلٍّ مِنْهُم .

٢ـ كَيْفَ يَكونُ حالُ القُرىٰ بَعْدَ إهْلاكِ قَوْمِها ؟ صِفْ ذَلِكَ مَعَ الدَّليلِ مِنَ الآياتِ .

٣ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ عَمى البَصَرِ وعَمى البصيرةِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ وَصْفِ القُلوبِ بأنَّها الَّتي في الصُّدورِ ؟

٥ـ ما سَبَبُ شُعورِ الكافِرينَ بِطولِ يَوْمِ القيامَةِ ؟

٦ـ اسْتَخْرِجْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ كَمْ مرَّةً وردَ لَفْظُ الإملاءِ ، والظُّلْمِ ، والأَخْذِ ؟ وما دَلالاتُ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

اكتبْ في دَفْتَرِكَ العَذابَ الَّذي أَصابَ كُلاًّ مِنْ : عادٍ ، ثَمودَ ، أَهْلِ مَدْيَنَ ، فِرْعَونَ .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ الحَجِّ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُعاجِزينَ : ظانِّينَ أَنَّهُمْ يَنْجونَ مِنْ عَذابِنا .

تَمَنَّى : رَغِبَ وَأَحَبَّ .

في أُمْنِيَّتِهِ : في طَريقِ ما يَرْغَبُهُ .

فَيَنْسَخُ : فَيُزيلُ .

فَتُخْبِتَ : تَطْمَئِنَّ وَتَسْكُنَ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذِهِ الآياتُ بِتَوجيهِ الرَّسولِ ﷺ إلى أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَهَمَّتَهُ وَعاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِلنَّاسِ إنَّ وَظيفَتي أَنْ أُنْذِرَكُمْ وَأُخَوِّفَكُمْ منْ عَذابِ اللهِ ، دونَ لَبْسٍ وَلا غُموضٍ .

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

فالذينَ آمَنوا بكُلِّ ما يَجبُ الإيمانُ بهِ ، وَعَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ المَفروضَةَ علَيْهِمْ والمَنْدوبَةَ مِنْهم ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لِما وقَعَ منْهُمْ مِنْ ذُنوبٍ ، وَرِزْقٌ كَريمٌ لا يَنْقَطِعُ وَلا يَمْتَنِعُ ، فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ جَمَعَ اللهُ لَه بَيْنَ المَغْفِرَةِ والرِّزْقِ الكريم .

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾

والذينَ بَذَلوا جُهْدَهُمْ لإبْطالِ آياتِنا الدَّالَّةِ عَلى الوَحْدانيَّةِ والقُدْرَةِ ، وَأسْرَعوا في تَكْذيبِها مُحاوِلينَ إظْهارَ المُؤْمنينَ بِمَظْهَرِ العاجِزِ عَنِ الدِّفاعِ عَنْ دينِهِ ، وَظانِّينَ أنَّهُمْ سَيَنْجونَ منْ عَذابِنا ، وَأنَّهُ لا بَعْثَ لَهُمْ وَلا حِسابَ ، أُولئِكَ أَصْحابُ الجَحيمِ المُلازِمونَ لها ، المُصْطَلُونَ بنارِها .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

وَما أرْسَلْنا قَبْلَكَ أيُّها الرَّسولُ منْ رَسولٍ وَلا نَبيٍّ ، إلاّ إذا تَمَنَّىٰ وَرغِبَ هِدايَةَ قَوْمِهِ إلى الدِّينِ الحَقِّ الذي جاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ، أَلْقى الشَّيْطانُ الوَساوِسَ والشُّبَهَ في طَريقِ رَغْبَةِ النَّبيِّ أوِ الرَّسولِ حتّى لا تَتَحقَّقَ . فالرُّسُلُ يتَمَنَّوْنَ دُخولَ أقْوامِهِمُ الإسْلامَ ، والنَّصْرَ عَلَيْهِمْ إنْ هُمْ حارَبوهُمْ ، فَإذا تَطاوَلَ الزَّمانُ دونَ أنْ يَتَحقَّقَ ذلِكَ خالَطَ قُلوبَهُمُ اليَأْسُ مِنْ تَحَقُّقِ ذلِكَ ، فَما أسرَعَ أن يُحَقِّقَ اللهُ نَصْرَهُ لِرُسُلِهِ ﴿حتى إذا استَيْأَسَ الرُّسُلُ وظَنُّوا أنَّهُمْ قد كُذِبُوا أتاهُمْ نَصْرُنا﴾ ، فَيُزيلُ اللهُ بِمُقْتَضى حِكْمَتِهِ وَعَظيمِ قُدْرَتِه ما أَلْقاهُ الشَّيْطانُ مِنَ الوَساوِسِ والأوْهام ، ثُمَّ يُثَبِّتُ اللهُ آياتِهِ في قَلْبِ النَّبيِّ وَأتباعِهِ المُخْلِصينَ ، واللهُ عَليمٌ بِشُؤونِ جَميعِ خَلْقِهِ ، حَكيمٌ في كُلِّ أقْوالِهِ وَأفْعالِهِ .

فَفي هذِهِ الآيَةِ تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ بِأنَّ ما يراهُ مِنْ إعْراضِ قَومِهِ عَنِ الهِدايَةِ حَصَلَ مِثْلُهُ مَعَ الرُّسُلِ والأنْبياءِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَأنَّ ذلِكَ الإعْراضَ بِسَبَبِ تَزْيينِ الشَّيْطانِ وَإغْوائِهِ ، وَأنَّهُ لا يَضِلُّ بِهِ إلاّ مَنْ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَقَسا قَلْبُهُ :

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

لِيَكونَ ما يُلْقيهِ الشَّيْطانُ مِنْ وَساوِسَ وَشُبَهٍ امْتِحاناً واخْتِباراً لِلَّذينَ في قُلوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفاقٌ ، وَلِلمُشْرِكينَ أصْحابِ القُلوبِ القاسِيَةِ ، وَإنَّ هؤُلاءِ الظَّالِمينَ مِنْ أصْحابِ القُلوبِ المَريضَةِ والقاسِيَةِ

لَفي خِلافٍ لِلحَقِّ شَديدٍ بِسَبَبِ نِفاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَهُمْ في غايَةِ البُعْدِ عَنِ الاهْتِداءِ تَأَثُّراً مِنْهُمْ بِكَيْدِ الشَّيْطانِ وَشُبْهَتِهِ .

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

أَمَّا الذينَ أُوتوا العِلْمَ والهِدايَةَ ، فَإِنَّ ما يُلقيهِ الشَّيْطانُ مِنْ وَساوِسَ وَشُبَهٍ لا يُؤثِّرُ فيهِمْ ، وَهُمْ يَعْلَمونَ أَنَّ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ والأَنْبياءُ هُوَ الحَقُّ الثَّابِتُ مِنْ رَبِّكَ فازْدادوا إيماناً بِهِ ، واطْمَأَنَّتْ لَهُ نُفوسُهُمْ وَسَكَنَتْ لَهُ قُلوبُهُمْ . وَإِنَّ اللهَ تعالى لَهادي المُؤْمِنينَ وَمُرْشِدُهُمْ ، فَلا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِمُ الأُمورُ وَلا تَخْتَلِطُ عِنْدَهُمُ الشُّبَهُ بِالحَقائِقِ ، وَلا يَتَرَدَّدُونَ في إبْطالِ إلْقاءِ الشَّيْطانِ وَكَيْدِهِ ، فَهُمْ مُهْتَدونَ إلى صِراطِ اللهِ المُسْتقيمِ .

التَّقْويمُ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيانُ مَهَمَّةِ الرُّسُلِ وَهِيَ التَّبْشيرُ والإِنْذارُ .

٢ـ بَيانُ مَهَمَّةِ الشَّيْطانِ وَهِيَ إلْقاءُ الشُّبَهِ والوَساوِسِ في طَريقِ الحَقِّ .

٣ـ العِلْمُ والإيمانُ سَبَبٌ لِرَدِّ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَتَضْليلِهِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ ما مَهَمَّةُ الرَّسولِ كَما تُظْهِرُها الآيَةُ الكَريمَةُ ؟

٢ـ ما مَصيرُ كُلٍّ مِنَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ؟

٣ـ ما الذي يَتَمَنّاهُ الرَّسولُ أَوِ النَّبِيُّ ؟ وَماذا يَفْعَلُ الشَّيْطانُ بِهذِهِ الأَمانيِّ ؟

٤ـ ما النَّتيجَةُ التي تَحْصُلُ عِنْدَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ إلْقاءِ الشَّيْطانِ الشُّبَهَ والضَّلالاتِ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحْتَهُ خَطٌّ فيما يَلي :

أ ـ والذينَ سَعَوا في آياتِنا معاجِزينَ . . . . .

ب ـ وَما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسولٍ ولا نَبِيٍّ إلاّ إذا تَمَنّىٰ ألْقى الشَّيْطانُ في أُمْنِيَّتِهِ .

ج ـ . . . فَتُخْبِتَ لَهُ قُلوبُهُمْ . . .

٦ـ اذْكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أ ـ مَهَمَّةُ الرَّسولِ .

ب ـ حُسْنُ عاقِبَةِ مَنْ أطاعَ الرَّسولَ وَآمَنَ .

ج ـ النَّبيُّ يَتَمَنَّىٰ وَيَرْغَبُ في هِدايَةِ قَوْمِهِ إلى الحَقِّ .

د ـ يَتَأَثَّرُ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ أصْحابُ القُلوبِ المَريضَةِ والقاسِيَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أوائِلَ سُورَةِ نوحٍ وَبَيِّنْ وَجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَها وَبَيْنَ الآيَةِ (٤٩) .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ النَّبيِّ والرَّسولِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ الحَجِّ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مِرْيَةٍ : شَكٍّ .

يَوْمٍ عَقيمٍ : لا يَوْمَ بَعْدَهُ .

مُهينٌ : مُذِلٌّ .

مُدْخَلاً : مَوْضِعاً .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِتَبْيينِ أَنَّ شَكَّ الكافِرينَ في القُرآنِ سَيَسْتَمِرُّ إلى يَوْمِ القِيامَةِ ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

وَلا يَزالُ الكافِرونَ في شَكٍّ وَرَيْبٍ مِمّا أَوْحاهُ اللهُ تعالى إلى نَبيِّهِ ﷺ مِنْ قُرآنٍ بِسَبَبِ قَسْوَةِ قُلوبِهِمْ

وَعِنادِهِمْ ، وَسَيَسْتَمِرُّونَ عَلى هذِهِ الحالِ حَتَّى يَأْتِيَهُمُ المَوْتُ فَجْأَةً وَهذِهِ السَّاعَةُ التي يُغادِرُ فيها كُلُّ إنْسانٍ الحَياةَ ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمُ القِيامَةِ الذي لا مَثيلَ لَهُ في هَوْلِه وشِدَّةِ عَذابِهِ ، وهُوَ اليَوْمُ الذي لا يَوْمَ بَعْدَهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ . . سُبْحانَهُ بَعْضَ ما يَكونُ في ذلِكَ اليَوْمِ :

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

الحُكْمُ العَدْلُ والسُّلْطانُ المُطْلَقُ للهِ تعالى يَوْمَ القِيامَةِ ، حَيْثُ يَحْكُمُ بَيْنَ الخَلْقِ ، وَيَقْضي بِعَدْلِهِ ، وَيُجازي كُلاًّ بِما كَسَبَ ، فالذينَ آمَنوا باللهِ وعَمِلوا الأعْمالَ الصَّالِحَةَ يَدْخُلونَ في جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

والذينَ كَفَروا باللهِ تعالى وَبِرَسولِه ﷺ وأَعْرَضوا عَنِ الحَقِّ ، وَكَذَّبُوا بآياتِ اللهِ المُحْكَماتِ وَزَعَموا أَنَّها شِعْرٌ وَسِحْرٌ وَكَهانَةٌ ، فَهؤُلاءِ لَهُمْ عَذابٌ مُذِلٌّ جَزاءَ اسْتِكْبارِهِمْ وافْتِرائِهِمْ .

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ حالَ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ، ذَكَرَ جَزاءَ المُهاجِرينَ في سَبيلِهِ ، فَقالَ :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

والذينَ تَرَكوا دِيارَهُمْ وَأَوْطانَهُمْ مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ وإعْلاءِ كَلِمَتِهِ ، وَنُصْرَةِ دينِهِ ، ثُمَّ قَتَلَهُمُ المُشْرِكون في أَثْناءِ جِهادِهِمْ ، أَوْ ماتوا مِنْ غَيْرِ قِتالٍ ، فَإِنَّ اللهَ تعالى سَيَرْزُقُهُمْ رِزْقاً حَسَناً يُرْضيهِمْ وَيَسُرُّهُمْ حينَ يَلْقَوْنَهُ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ خَيْرُ الرَّازِقينَ ، فَإِنَّهُ يَرْزُقُ بِغَيْرِ حِسابٍ ، وما عِنْدَهُ مِنْ رِزْقٍ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ .

﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

وَمِنَ الرِّزْقِ الحَسَنِ لِلْمُهاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُمْ مَكاناً يَسُرُّهُمْ وَيُرْضيهِمْ ، وَهُوَ الجَنَّةُ ذاتُ النَّعيمِ العَظيمِ ، التي فيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ . وَإِنَّ اللهَ لَعَليمٌ بالذي يُرْضي عِبادَهُ ، وَبِما يَسْتَحِقُّهُ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنْ جَزاءٍ عَلى عَمَلِهِ ، حَليمٌ فلا يُعاجِلُ أَحَداً بِالعُقوبَةِ بَلْ يُمْهِلُ وَيَسْتُرُ وَيَعْفو .

وَفي هاتَيْنِ الآيَتَيْنِ تَبْيينُ فَضْلِ الهِجْرَةِ في سَبيلِ اللهِ ، فالمُهاجِرُ يَتْرُكُ بَلَدَهُ وَمَوْطِنَهُ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وَهذا الفِعْلُ ثَقيلٌ عَلى النَّفْسِ ، مُؤَثِّرٌ فيها لِدَرَجَةِ مُعادَلَتِهِ الخُروجَ مِنَ الدُّنيا عِنْدَ بَعْضِ

النَّاسِ ، كما يَشْهَدُ لَهُ قوْلُهُ تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] وَلِذا كانَ أَجْرُ الهِجْرَةِ عَظيماً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الشَّكُّ والرَّيْبُ يُناقِضُ الإيمانَ ، وَعِلَّةُ الكُفّارِ عدمُ إيقانِهِمْ بِصِدْقِ هذا الدّينِ .

٢ـ بَيانُ حُسْنِ عاقِبَةِ الإيمانِ وَسوءِ عاقِبَةِ الكُفْرِ .

٣ـ عِظَمُ فَضْلِ الهِجْرَةِ في سَبيلِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ تَسْمِيَةِ يَوْمِ القِيامَةِ باليَوْمِ العَقيمِ ؟

٢ـ ما حُكْمُ الشَّكِّ في صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ وَفيما جاءَ بِهِ ؟

٣ـ ما المَصيرُ الذي يَنْتَظِرُ المُؤْمنينَ والكافِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٤ـ بماذا وَعَدَ اللهُ تعالى المُهاجِرينَ في سَبيلِهِ ؟

٥ـ امْلأَ الفراغَ بِما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعنى بإيجازٍ :

أ ـ وَلا يَزالُ الذينَ . . . . . في مِرْيَةٍ مِنْهُ .

ب ـ فالذينَ . . . . . . وَعَمِلوا . . . . . . في جَنّاتِ . . . .

ج ـ والذينَ . . . . وَكَذَّبوا بآياتِنا فأُولئِكَ . . . .

د ـ والذينَ . . . . ثُمَّ قُتِلوا أو ماتوا . . . . . رِزْقاً حَسَناً .

نَشاطٌ :

ـ اذكُرْ حَديثاً نَبَوِيّاً يُبَيِّنُ فَضْلَ الهِجْرَةِ واكْتُبْهُ في دفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بُغِيَ عَلَيْهِ : ظُلِمَ واعْتُدِيَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

يُولِجُ : يُدْخِلُ .

الفُلْكُ : السُّفُنُ .

التفسيرُ :

تَبْدأُ هذِهِ الآياتُ بِتَبْشيرِ مَنْ يَقَعُ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ بِنَصْرِ اللهِ لَهُمْ على مَنْ ظَلَمَهُمْ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

المُشارُ إِلَيْهِ بقَوْلِهِ تعالى : (ذلِكَ) ما سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّ المُلْكَ للهِ يَوْمَ القِيامَةِ ، وأَنَّهُ سَيَجْزي

المُؤْمنينَ جَنّاتِ النَّعيم ، وَسَيُجازي الكافِرينَ العَذابَ المُهينَ ، وَما أَعَدَّهُ لِلْمُهاجِرينَ في سَبيلِهِ مِنْ حُسْنِ الثَّوابِ ، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبحانَهُ أَنَّ مَنْ جازى الظّالِمَ بِمِثْلِ ما ظَلَمَهُ ، ثُمَّ اعْتَدى الظّالِمُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرى فإِنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ سَيَنْصُرُ المَظلومَ المُعْتَدى عَلَيْهِ ، وَفي خَتْمِ الآيَةِ بِقَولِهِ سُبْحانَهُ ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفورٌ﴾ دَلالَةٌ عَلى كَثيرِ عَفْوِهِ سُبْحانَهُ عَنْ عِبادِهِ ، وَغُفرانِهِ لِذُنوبِهِمْ ، وَإِشارَةٌ إِلى اسْتِحبابِ العَفْوِ والصَّفْحِ ، فَإِنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ مَعَ كَمالِ قُدْرَتِهِ يَعفو وَيَغْفِرُ .

وَفي الآيَةِ تَسْمِيَةُ جَزاءِ العُقوبَةِ عُقوبَةً لاسْتِواءِ الفِعْلَيْنِ في الصُّورَةِ ، وَمِثْلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿وجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها﴾ [الشورى : ٤٠] . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾﴾ .

المُشارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تعالى (ذلِكَ) ما تَقَدَّمَ مِنْ نَصْرِ مَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ هذا النَّصْرَ بِسَبَبِ أَنَّ قُدْرَةَ اللهِ لا يُعْجِزُها شَيْءٌ ، وَمِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ يُدْخِلُ جُزْءاً مِنَ اللَّيْلِ في النَّهارِ فَيَقْصُرُ اللَّيْلُ ، وَيَزيدُ النَّهارُ ، وَيُدخِلُ جُزْءاً مِنَ النَّهارِ في اللَّيْلِ فَيَطولُ اللَّيلُ ، وَيَقْصُرُ النَّهارُ ، وَهذا مُشاهَدٌ مَلْموسٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ سَميعٌ لِكُلِّ ما مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْمَعَ ، بَصيرٌ بأَحْوالِ عِبادِهِ وَخَلْقِهِ لا يَخْفى عَلَيْهِ مِنْها شَيْءٌ .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ .

ذلِكَ المَذْكورُ مِنْ آياتٍ دالَّةٍ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، بِسَبَبِ أَنَّ اللهَ تعالى هُوَ الإِلٰهُ الحَقُّ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلعِبادَةِ ، وَأَنَّ ما عَداهُ مِنْ مَعْبوداتٍ وَآلِهَةٍ باطِلَةٌ لا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ ، فاللهُ تعالى هُوَ العَلِيُّ عَلى جَميعِ خَلْقِهِ وَكُلِّ شَيْءٍ دونَهُ ، وَهُوَ الكَبيرُ عَنْ أَنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ ، وَلا يُدانيهِ في عَظَمَتِهِ أَحَدٌ .

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾﴾ .

الاسْتِفهامُ للتَّقْريرِ أَيْ : لَقَدْ رَأَيْتَ أَيُّها المُخاطَبُ أَنَّ اللهَ تعالى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ، فَتَصيرُ الأَرْضُ بِسَبَبِه ذاتَ خُضْرَةٍ يانِعَةٍ ، وَثَمَراتٍ طَيِّبَةٍ ، وَهذا مِنْ أَعْظَمِ الآياتِ الدّالَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبادِهِ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَطيفٌ رَفيقٌ بِمَخْلوقاتِهِ ، خَبيرٌ يَعْلَمُ ما دَقَّ وَعَظُمَ مِنَ الأُمورِ .

والتَّعْبيرُ بِالمُضارِعِ في (فَتُصْبِحُ) بَدَلاً مِنَ الماضي لاسْتِحضارِ صُورَةِ الاخْضِرارِ الذي اتَّصَفَتْ بِهِ

الأرْضُ بَعْدَ نُزولِ الماءِ عَلَيْها ، ولإفادَةِ بَقاءِ أثَرِ إنْزالِ المَطَرِ طَويلاً ، ووَصَفَ الأرْضَ بالخُضْرَةِ لأنَّها لَوْنٌ مُمْتِعٌ يُدْخِلُ السُّرورَ في النَّفْسِ .

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾

كُلُّ ما في السَّماواتِ مِنْ نُجومٍ وَكَواكِبَ وَمَخْلوقاتٍ ، وَما في الأرْضِ مِنْ عَوالِمَ وَحَيواناتٍ وَبَشَرٍ وَغَيْرِها مِمّا نَعْلَمُ وَلا نَعْلَمُ للهِ سُبْحانَهُ وَتعالى خَلْقاً وَمُلْكاً وَتَدْبيراً وَتَصَرُّفاً ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الغَنِيُّ الذي لا يَحْتاجُ إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، الذي يَحْمَدُهُ مَنْ في السَّماواتِ والأرْضِ ، وَلا يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ أحَدٌ سِواهُ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

الاسْتِفهامُ لِلتَّقْريرِ أيْضاً ، وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَى خَلْقِهِ أنْ سَخَّرَ لَهُمْ ما في الأرْضِ مِنْ دوابَّ وَشَجَرٍ وَمعادِنَ وَأنْهارٍ وَبحارٍ تَجْري فيها السُّفُنُ بِتَقديرِهِ وَإذْنِهِ ، وَغَيْرِ ذلكَ مِمّا يَحتاجونَهُ لِحَياتِهِمْ . وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الذي يُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلى الأرْضِ فَتُهْلِكَ مَنْ فيها وَلا تَعودَ صالِحَةً لِحَياةِ البَشَرِ ، وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَ السَّماءَ تُطْبِقُ على الأرْضِ فَتُهْلِكَ أهْلَها ، وَلكنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ رؤوفٌ لَطيفٌ بِعِبادِهِ ، لا يُنْزِلُ بِهِمُ الضُّرَّ والسُّوءَ ، رَحيمٌ بِهِمْ بِما هَيَّأَ مِنْ أسْبابِ المَعاشِ وَتَسْخيرِ الأرْضِ والسَّماءِ لَهُمْ وَتَيْسيرِ الانْتِفاعِ بِخَيْراتِهِما .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

وَمِنْ أعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَى النَّاسِ ، أنَّهُ أحْياهُمْ مِنَ العَدَمِ ، وَأوْجَدَهُمْ عَلَى هذهِ الأرْضِ ، لِيَتَمَتَّعوا بِخَيْراتِها ، وَيَتَزَوَّدوا لِدارِ البَقاءِ ، ثُمَّ يُميتُهُمْ إذا انْقَضَتْ آجالُهُمْ ، ثُمَّ يُحْييهِمْ مَرَّةً أخْرى يَوْمَ القِيامَةِ لِيُجازَوْا عَلَى أعْمالِهِمْ ، وَمَعَ كُلِّ هذهِ النِّعَمِ المُحيطَةِ بالإنْسانِ ، والتي تُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرَ المُنْعِمِ ، إلاّ أنَّهُ كَفورٌ جَحودٌ مُنْكِرٌ لِهذهِ النِّعَمِ ، غَيْرُ شاكِرٍ عَلَيْها ، وَهذا الحُكْمُ بِوَصْفِ أكْثَرِ النَّاسِ كَما قالَ ـ سُبْحانَهُ ـ : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَشْروعِيَّةُ مُعاقَبَةِ الظَّالِمِ بِمِثْلِ فِعْلِهِ .

٢ـ الدَّلالةُ عَلى آياتِ اللهِ في الكَوْنِ التي تَدُلُّ على وَحْدانيَّةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَغِناهُ وَلُطفِهِ .

٣ـ مُعْظَمُ النَّاسِ يُقابِلونَ نِعَمَ اللهِ بِالجُحودِ والكُفْرِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما وَجْهُ تَسْمِيَةِ الانْتِصارِ مِنَ العُقوبَةِ : عُقوبَةً ؟

٢ـ ما المَشارُ إلَيهِ بـ : (ذلكَ) في الآيَةِ السِّتينَ ؟

٣ـ ما المقصودُ بإيلاجِ اللَّيلِ في النَّهارِ ؟

٤ـ ما سَبَبُ التَّعبيرِ في (فَتُصْبِحُ) بِالفِعْلِ المُضارِعِ بَدَلاً مِنَ الفِعْلِ الماضي ؟

٥ـ اذكرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ دَليلاً عَلى كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ يَنْصُرُ اللهُ المَظْلومَ الذي يَقعُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ .

ب ـ كُلُّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ .

ج ـ يَخْرُجُ النَّباتُ بَعْدَ نزُولِ المَطَرِ .

د ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ غَيْرُ مُحتاجٍ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ .

هـ ـ كُلُّ ما في الأَرْضِ مُسَخَّرٌ للإنْسانِ .

و ـ يُقابِلُ الإنْسانُ نِعَمَ اللهِ بِالكُفْرِ والجُحودِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ في أيِّ الفُصولِ الأَرْبَعَةِ يَكونُ اللَّيْلُ أَطْوَلَ مِنَ النَّهارِ ؟ وَفي أيِّها يَكونُ النَّهارُ أَطْوَلَ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورَةِ القِيامَةِ الدَّالَّةَ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٣ـ تَأَمَّلْ في خَتْمِ كُلِّ آيَةٍ مِنَ الآياتِ ٥٩ـ٦٥ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْماءِ اللهِ ، واسْتَخْرِجِ الصِّلَةَ بَيْنَ مَوْضوعِ كُلِّ آيَةٍ مِنْها مَعَ الاسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ خُتِمَتْ تِلْكَ الآيَةُ بِهِما ، وَدَوِّنْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ الحجِّ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مَنْسَكاً** : شَريعَةً خاصَّةً .
- **في كِتابٍ** : اللَّوْحِ المَحفوظِ .
- **سُلطاناً** : حُجَّةً وَبُرهاناً .
- **يَسْطونَ** : يَبْطِشونَ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِبَيانِ أنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ شَريعَتَها وَمِنْهاجَها ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الأُمَمِ مَنْهَجاً يَسيرونَ عَلَيْهِ في اعْتِقادِهِمْ ، وَفي طَريقةِ

حَياتِهِمْ وَمُعامَلاتِهِمْ ، وَآخِرُ هذهِ الشَّرائع ما جاءَ في القُرآنِ الكَريمِ وَهُوَ مِنْهاجُ حَياةٍ يَصْلُحُ لِكُلِّ زَمانٍ وَمَكانٍ إلى أنْ يَرِثَ اللهُ الأرْضَ وَمَنْ عَلَيْها ، وَما دامَ الأمرُ كَذلِكَ ، فالْتَزِمْ أيُّها النَّبيُّ أنْتَ وَأتْباعُكَ بِتَعاليمِ هذهِ الشَّريعَةِ ، وَلا تَلْتَفِتْ إلى خُصومَةِ مَنْ يُنازِعُكَ فيها ، وادْعُ هؤُلاءِ الذينَ يُنازِعونَكَ ، وادْعُ غَيْرَهُم كَذلِكَ إلى الدُّخولِ في الإسْلامِ ، والْتِزامِ شَريعَةِ القُرآنِ ، فإنَّكَ عَلَى طَريقِ الحَقِّ المُسْتَقيمِ المُوصِلِ إلى جَنّاتِ النَّعيمِ .

﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

وَإنْ أبَوْا إلاّ مُجادَلَتَكَ بَعْدَ ما بَيَّنْتَ لَهُمْ مِنَ الحُجَّةِ ، فَقُلْ أيُّها الرَّسولُ لَهُمْ عَلَى سَبيلِ التَّهْديدِ والوَعيدِ : اللهُ أعْلَمُ بِحالِكُمْ وَعَمَلِكُمْ وَسَيُجازيكُمْ عَلَى أباطيلِكُمْ وَمُجادَلَتِكُمْ أسْوَأَ الجزاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ مَرَدَّ الجميعِ إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ .

﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

أيْ أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يَفْصِلُ يَوْمَ القِيامَةِ بَيْنَكَ أيُّها النَّبيُّ ، وَمَنِ اتَّبَعَ سَبيلَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، وَبَيْنَ الكافِرينَ الذينَ جادَلوا بالباطِلِ ، وَرَفَضوا الحَقَّ ، فَيَحْكُمُ ـ سُبْحانَهُ ـ الحُكْمَ الحَقَّ فيما كانَ يَحْصُلُ فيهِ الاخْتِلافُ في الدُّنيا ، وَيَظْهَرُ مَنْ هُوَ عَلَى الحَقِّ المُبينِ ، وَمَنْ هُوَ في ضَلالٍ بَعيدٍ .

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

الاسْتِفْهامُ للتَّقْريرِ ، أيْ لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسولُ ، وَتَيَقَّنْتَ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ كُلَّ ما يَكونُ في السَّماءِ والأرْضِ ، وَلا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ ، وَكُلُّ ما يَجري في السَّماءِ أو في الأرْضِ مُدَوَّنٌ في اللَّوْحِ المَحْفوظِ المُشْتَمِلِ عَلَى جَميعِ أحْوالِ الخَلْقِ ، وَإنَّ إحاطَةَ عِلْمِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ بِكُلِّ المَخلوقاتِ وَأحْوالِهِمْ وَإثْباتَهُ في اللَّوْحِ المَحفوظِ سَهْلٌ يَسيرٌ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ .

هذا تَوْبيخٌ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِلكافِرينَ ، الذينَ عَبَدوا غَيْرَ اللهِ ، بالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الأدِلَّةِ عَلَى عَظَمَتِهِ سُبْحانَهُ وَقُدْرَتِهِ ، وَمَعَ ذلِكَ اتَّجَهوا لِعِبادَةِ آلِهَةٍ لا تَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً ، وَلا يَمْلِكونَ هُمْ دَليلاً مِنْ نَقْلٍ أوْ وَحْيٍ عَلَى صِحَّةِ عِبادَتِها ، كَما لا يَمْلِكونَ دَليلاً عَقْليّاً عَلَى صِحَّةِ عِبادَتِها ، فالعَقْلُ السَّليمُ لا يَقودُ صاحِبَهُ إلاَّ إلى تَوْحيدِ اللهِ ، وَهؤُلاءِ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بِتَعطيلِ عُقولِهِمْ ، فَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ ناصِرٍ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذابَ اللهِ .

ثُمَّ يُبَيِّنُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ هؤُلاءِ الظَّالِمينَ ، بِجانِبِ ضَلالِهِمْ ، تَأْخُذُهُمُ العِزَّةُ بالإثْمِ إذا سَمِعوا آياتِ اللهِ . فقالَ تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

وَإذا سَمِعَ هؤُلاءِ الظَّالِمون آياتِ القُرآنِ الكَريمِ البَيِّنَةَ الواضِحَةَ الحُجَّةِ تُتْلى عَلَيْهِمْ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنينَ ظَهَرَتْ عَلَى وُجوهِهِمْ كَراهَةُ الآياتِ وَإنْكارُها ، وَيَكادون يَبْطِشونَ بالمُؤْمِنينَ الذين يَتْلونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا ، فَهُمْ قَدْ بَلَغوا مِنَ الجَهالَةِ حَدّاً لا يَقْتَنِعونَ بِدَليلٍ ، وَلا تَنْفَعُ مَعَهُمْ حُجَّةٌ ، وَهذا شَأنُ الطُّغاةِ الجاهِلينَ حينَ يَعْجزونَ عَنْ مُواجَهَةِ الحُجَّةِ بِمِثْلِها يَلجَؤونَ إلى الإيذاءِ والبَطْشِ والاعْتِداءاتِ عَلَى الدّاعينَ إلى الخَيْرِ .

فَقُلْ أيُّها الرَسولُ لَهُمْ : إنْ كان ما سَمِعْتُموهُ مِنَ الآياتِ قَدْ أزْعَجَكُمْ وَلَمْ يُعْجِبْكُمْ حتَّى كِدْتُّمْ مِنْ شِدَّةِ غَيْظِكُمْ وَسُخْطِكُمْ تُؤْذونَ مَنْ يُسْمِعُكُمْ هذهِ الآياتِ فَإنّي سَأُخْبِرُكُمْ بِما هُوَ أشَدُّ عَلَيْكُمْ مِنْ ذلِكَ ؛ إنَّها النَّارُ التي أعدَّها اللهُ لِلّذينَ كَفَروا وَتَوَعَّدَهُمْ بِها ، وَبِئْسَ هذا المَرْجِعُ والمَوْضِعُ الذي تَصيرونَ إلَيْهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ شَريعَةٌ خاصَّةٌ بها ، أمَّا الدِّينُ فَهُوَ دينٌ واحِدٌ ، وَهُوَ الاسْلامُ لِلنَّاسِ جَميعاً .

٢ـ المَرْجِعُ في التَّشريعِ إلى اللهِ وَحْدَهُ .

٣ـ يَوْمَ القِيامَةِ يَحْكمُ اللهُ بَيْنَ العِبادِ فيما اخْتَلَفوا فيهِ مِنَ الإيمانِ والكُفْرِ ، والحَقِّ والباطِلِ .

٤ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ .

٥ـ لا يوجَدُ دَليلٌ عَلَى أحَقِّيَّةِ الآلِهَةِ المَعْبودَةِ مِنْ دونِ اللهِ بالعِبادَةِ .

٦ـ مَشْروعِيَّةُ الإعْراضِ عَنِ المُجادَلَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

٧ـ مَشْروعِيَّةُ إغاظَةِ الظَّالِمِ بِما يَغيظُهُ مِنْ قَوْلِ الحَقِّ .

التَّقْوِيمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالمَنْسَكِ في الآيةِ السَّابعَةِ والسِّتينَ ؟

٢ـ ماذا أمرَ اللهُ نَبيَّهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَقولَ في مُواجَهَةِ المُجادِلينَ ؟

٣ـ ما دَلالةُ خَتْمِ الآيَةِ السَّبْعينَ بِقَولِهِ تعالى ﴿إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرٌ﴾ ؟

٤ـ بِأيِّ شَيْءٍ وَبَّخَ اللهُ سُبْحانَهُ الذينَ عَبَدوا الأَصْنامَ ؟

٥ـ صِفْ حالَ الكافِرينَ حينَ تُتْلى عَلَيْهِمُ الآياتُ .

٦ـ بَيِّنْ مَعْنى الألْفاظِ القُرآنيَّةِ الكَريمَةِ التي تَحتَها خَطٌّ :

أ ـ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنْسَكاً هُمْ ناسِكوهُ .

ب ـ اللهُ يَحْكُمُ بينَكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ . . .

ج ـ أَلَمْ تَعْلَمْ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَّماءِ والأرْضِ إنَّ ذلكَ في كِتابٍ . . .

د ـ . . . يَكادونَ يَسْطُونَ بالذينَ يَتْلونَ عَلَيْهِمْ آياتِنا قُلْ أفأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكُمُ النّارُ . . . . .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورَةِ (لُقْمانَ) التي يُبَيِّنُ فيها لُقْمانُ لابْنِهِ عَظيمَ عِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تُبَيِّنُ بَطْشَ المُشرِكينَ بِأحَدِ المُسْلِمينَ في مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورةُ الحجِّ - القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَإنْ يَسلُبْهُمُ : وَإنْ يأْخُذْ مِنهُمْ شَيْئاً .

لا يَسْتَنْقِذُوهُ : لا يَقْدِرونَ عَلَى رَدِّهِ .

الطَّالِبُ : الصَّنَمُ .

والمَطْلوبُ : الذُّبابُ .

ما قَدَروا اللهَ : ما عَظَّموهُ .

يَصْطَفي : يَخْتارُ .

اجْتَباكُمْ : اختارَكُمْ .

حَرَجٍ : ضِيقٍ .



التفسير :

تَبْدأُ هذِهِ الآياتُ بإثْباتِ عَجْزِ كُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً مَهْما كانَ حَقيراً ضَعيفاً ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تَبْدأُ الآيَةُ بِنداءٍ مُوَجَّهٍ إلى النَّاسِ ، أَنْ يَسْتَمِعوا إلى ما سَيأتي مِنْ مَثَلٍ غريبٍ ، وَحالٍ عَجيبَةٍ ، لِما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ ، وَسَمّى سُبْحانَهُ ما أَوْرَدُوهُ مَثَلاً لِشَبَهِهِ المَثَلَ في كَونِهِ أمراً مُسْتَغْرَباً .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ الآلِهَةَ التي يَعْبُدُها المُشركونَ لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَخْلُقَ ذُبابَةً واحِدَةً حتّى لو اشْتَرَكَتْ جميعُها في مُحاوَلَةِ خَلْقِ هذِهِ الذُّبابَةِ ، وَإذا اخْتَطَفَ الذُّبابُ مِنْها شَيْئاً مِمّا يوضَعُ عَلَيْها كالطِّيبِ أَوْ نَحْوِهِ لا تَستَطيعُ اسْتِرْدادَهُ مِنْهُ لِعَجْزِها عَنْ ذلِكَ ، فما أَضْعَفَ هذِهِ الآلِهَةَ التي تَعْجَزُ عَنْ خَلْقِ الذُّبابِ واسْتِخلاصِ ما سُلِبَ مِنْها . وما أَضْعَفَ الذُّبابَ الذي يُطْلَبُ لاسْتِردادِ ما سَلَبَهُ! .

وَتَخْصيصُ الذُّبابِ بالمَثَلِ لِمَهانَتِهِ وَضَعْفِهِ واسْتِقذارِهِ وَكَثْرَتِهِ ، فَإذا كانَ هذا المَخْلوقُ الضَّعيفُ الصَّغيرُ لا تَقْدِرُ تِلْكَ الآلِهَةُ المَزْعومَةُ عَلى خَلْقِ مِثْلِهِ وَدفْعِ أَذِيَّتِهِ واستنقاذِ ما يَسْلُبُهُ ، فكيفَ يجوزُ أن تكونَ آلهةً معبودةً ، وأرباباً مطاعةً ، وهيَ أَضْعَفُ مِنَ الذُّبابِ وَأَقَلُّ ، وَعابِدوها أَجْهَلُ مِنْ كُلِّ جاهِلٍ وَأَضَلُّ ؟ فَما أَسْخَفَ عُقولَهُم حينَ عَبَدوها وَعَظَّموها ، وَلَمْ يَعْبُدوا اللهَ الذي خَلَقَها .

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

إنَّ هؤُلاءِ المُشْركينَ ما عَظَّموا اللهَ تعالى حَقَّ تَعظيمِهِ ، ما عرفوهُ المَعْرفةَ الحَقَّةَ ، فَإنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ القويُّ القادِرُ عَلى خَلْقِ المُمْكِناتِ كُلِّها ، وَلا يَقِفُ أمامَ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ العَزيزُ الذي لا يُغالِبُهُ أَحَدٌ ، وَلا يَقْدِرُ عَلى دَفْعِ أَمْرِهِ مَخْلوقٌ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضاً مِنْ مظاهِرِ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقالَ :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

اللهُ تَعالى يَختارُ مِنْ بَيْنِ المَلائِكَةِ وُسَطاءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْبيائِهِ يُوصِلونَ إِلَيْهِمُ الوَحْيَ ، كَجبريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَيَختارُ سُبْحانَهُ مِنَ النَّاسِ رُسُلاً يَدْعونَ عِبادَهُ إلى اتِّباعِ طُرُقِ الحَقِّ والخَيْرِ ، كَمُحَمَّدٍ ﷺ . واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ ، وَهُوَ الذي أحاطَ عِلْمُهُ بِجَميعِ مَخْلوقاتِهِ ، فَهُوَ سَميعٌ لأقوالِهِمْ ، بَصيرٌ بِأَحْوالِهِم ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ مِنْ شؤُونِهِمْ .

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ ﴾

يَعْلَمُ سُبْحانَهُ أحْوالَ رُسُلِهِ وَعِبادِهِ جَميعاً ، ما مَضىٰ مِنْها وما سَيأتي ، وَإلَيْهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ مَرْجعُ أعْمالِ العِبادِ ، وَأمورهِمْ فيُجازيهِمْ عَلَيْها ، وَفي هذِهِ الآيَةِ الكَريمَةِ ما يَقْتَضي مِنَ العِبادِ التزامَ طاعَتِهِ تعالى ، وَتَجَنُّبَ المَعاصي ؛ فعِلْمُهُ تامٌّ شامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ المُتَفَرِّدُ في الحُكْمِ بَيْنَ عِبادِهِ .

وَخَتَمَ ـ سُبْحانَهُ ـ السُّورَةَ الكَريمَةَ بالأمْرِ بجُمْلَةٍ مِنَ الطّاعاتِ ، فَقالَ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

خِطابٌ مُوَجَّهٌ للمُؤْمنينَ : يا أيُّها المُؤْمِنونَ حافِظوا عَلَى الصَّلاةِ ، وَأقيموها في وَقْتِها بخُشوعٍ وَإخْلاصٍ ، وعَبَّرَ عَنِ الصَّلاةِ بالرُّكوعِ والسُّجودِ لأنَّهُما مِنْ أبْرَزِ مَظاهِرِها وَأهمِّ أرْكانِها ، وَتَوَجَّهوا بالعِبادَةِ الصّادِقَةِ الخالِصَةِ إلى رَبِّكُمْ ، وَتَحَرَّوْا ما هُوَ خَيْرٌ وَأصْلَحُ في كُلِّ ما تَفْعلونَ ، راجينَ بفِعْلِكُمْ هذا الفَلاحَ والفَوْزَ بنَعيمِ الآخِرَةِ ، وَقَدْ جمَعَتْ هذِهِ الآيَةُ الكَريمَةُ أنواعَ التَّكاليفِ الشَّرْعيَّةِ كُلَّها بإجْمالٍ .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

وَأَمَرَكُمُ اللهُ تعالى ، أيُّها المُؤْمنونَ ، بِالجِهادِ في سَبيلِهِ بالنَّفْسِ والمالِ لإعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ ، وَنَصْرِ شَريعَتِهِ جِهاداً صادِقاً تُقَدِّمونَ فيه أقصى طاقاتِكُمْ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ الذي اخْتارَكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ لِنُصْرَةِ دينِهِ ، وَخَصَّكُمْ بأكْمَلِ شَرْعٍ وَأعْظَمِ رَسولٍ ، وَجَديرٌ بمَنِ اختارَهُ اللهُ واصْطَفاهُ أنْ يُطيعَهُ وَيلْتَزِمَ أمْرَهُ ، وَلايوجَدُ في هذا الدِّينِ التَّكليفُ بما لا يُطاقُ ، أوِ الإلزامُ بما فيهِ حَرَجٌ وَمَشَقَّةٌ ، فإنَّهُ مَبنِيٌّ عَلَى اليُسْرِ ، وَرَفْعِ الحَرَجِ .

وَما في هذا الدِّينِ مِنْ أوامِرَ وَتَوْجيهاتٍ مُوافِقٌ لِما كانَ عَلَيْهِ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهذا بيانٌ لِعَظيمِ مَنْزِلَةِ هذا الدِّينِ ، وَحَثٌّ عَلَى الالتزامِ بِهِ ، فَهُوَ دينُ اللهِ الذي اختارَهُ لِلنّاسِ .

وجاءَ وَصْفُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالأُبُوَّةِ لِهذِهِ الأُمَّةِ لأنَّهُ في مَقامِ الأبِ لَهُمْ ، فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِتَوقيرِهِمْ واحْتِرامِهِمْ ، وَلأنَّ نَسَبَ رَسولِ اللهِ ﷺ يَنْتَهي إلَيْهِ ، وَهُوَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بِمَثابَةِ الأبِ لِهذِهِ الأُمَّةِ .

ثُمَّ بيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ سَمَّى المُسْلِمينَ بهذا الاسْمِ المُشَرِّفِ الدّالِّ عَلَى تَعْظيمِهِمْ لِرَبِّهِمْ ، قَبْلَ نُزولِ القُرآنِ ، وَسَمّاهُمْ بِهِ في هذا القُرآنِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ اصْطَفى هذِهِ الأُمَّةَ لِحَمْلِ دينِهِ

ونُصْرَةِ شَريعَتِهِ ، وَجَعَلَ الرَّسولَ شَهيداً عَلَيْكُمْ أيُّها المُسْلِمون يَوْمَ القِيامَةِ يَشْهَدُ بأنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ ما أُرْسِلَ بِهِ إلَيْكُمْ ، وَجَعَلَكُمْ أنتُمْ شُهداءَ عَلى الرُّسُلِ أنَّهُمْ بَلَّغُوا أُمَمَهُمْ ما أُرْسِلوا بِهِ إلَيْهِمْ ، وَهذهِ نِعْمَةٌ عَظيمَةٌ ، وَمَقامٌ جَليلٌ يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ ، وَلِذا أمَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عِبادَهُ المُسْلِمينَ أنْ يُقيموا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتوا الزَّكاةَ ، وَأنْ يَتَمَسَّكوا بِشَرْعِهِ وَدينِهِ ، فإنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ سَيِّدُكُمْ وناصِرُكُمْ وَمُتوَلِّي أمرِكُمْ ، فَنِعْمَ المَولى ، وَنِعْمَ النَّصيرُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ المثَلِ لِتَقريرِ المَعنى .

٢ـ تَقريرُ ضَعْفِ الآلِهَةِ المَعْبودَةِ مِنْ دونِ اللهِ ، فَهِيَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَخْلُقَ أحَطَّ الأشْياءِ وَهُوَ الذُّبابُ .

٣ـ عَلَى الذينَ يَتَطَلَّعون اليَوْمَ إلى خَلْقِ الأحْياءِ أن يُقْلِعوا عَنْ هذهِ التَّجارُبِ فَخَلْقُ الأحْياءِ مِنْ شَأنِ اللهِ .

٤ـ وُجوبُ تَعْظيمِ اللهِ تعالى ، والإقْرارِ باسْتِحقاقِهِ العِبادَةَ .

٥ـ النُّبُوَّةُ والرِّسالَةُ اخْتيارٌ منَ اللهِ تعالى وَلَيْسَتْ بالاجْتِهادِ أوِ الرَّغْبَةِ .

٦ـ الالْتِزامُ بِطاعَةِ اللهِ وَفِعْلِ أوامِرِهِ يَقودُ إلى الفَلاحِ والخَيْرِ .

٧ـ اخْتِصاصُ هذِهِ الأمَّةِ باجْتِباءِ اللهِ لَها ، وَرَفْعِ الحَرَجِ عَنْها ، وَجَعْلِها شاهِدَةً عَلَى الأُمَمِ الأخْرى .

٨ـ شَرَفُ الانْتِسابِ إلى الإسْلامِ ، والاعْتِزازُ باسْمِ : المُسْلِمينَ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المَثَلُ الذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِلنَّاسِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ تَخصيصِ الذُّبابِ بِهذا المَثَلِ ؟

٣ـ ما مَعنى (ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلوبُ) ؟

٤ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الكَريمةُ عَدَداً مِنْ مَظاهِرِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، اذْكُرْها .

٥ـ أمرَ اللهُ تعالى عِبادَهُ بِمَجْموعَةٍ مِنَ الأوامِرِ ، اذْكُرْها حَسَبَ تَرتيبِ الآيَةِ الكَريمَةِ .

٦ـ ما المُرادُ بـ (حَقَّ جِهادِهِ) ؟

٧ـ بَيَّنَ سُبْحانَهُ في الآيَةِ الأخيرَةِ عَدَداً مِنَ المَيِّزاتِ التي خَصَّ بِها هذِهِ الأُمَّةَ ، ما هذِهِ المَيِّزاتُ ؟

٨ـ ما وَجْهُ وَصْفِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِأُبُوَّةِ هذِهِ الأُمَّةِ ؟

١٠ـ كَيْفَ تَشْهَدُ الأُمَّةُ الإسْلامِيَّةُ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ أَنَّ أَنْبِياءَهُمْ بَلَّغوهُمْ أوامِرَ اللهِ عِلْماً أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْهُمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما كانَ المُشْرِكونَ في مَكَّةَ يَمْتَدِحونَ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ قَبْلَ أنْ يُبْعَثَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ إلى مَنْ يُنسَبُ سَيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَبْناءِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورةُ المؤمنونَ - القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ المُؤْمِنونَ سورَةٌ مَكِّيَّةٌ ، مَوْضوعُها الرَّئيسُ تَرْسيخُ الإيمانِ في نُفوسِ المُؤْمِنينَ ، بَدَأتِ السُّورَةُ بِذِكْرِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ وَجَزائِهِمْ ، وَذَكَرَتْ حالَ النَّشْأَةِ الأولىٰ ، وَتَطَوُّرِ خَلْقِ الإنْسانِ ، وَبَعضَ مظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ ، ثُمَّ عَرَضَتْ قَصَصَ بَعْضِ الأنْبياءِ تَسْلِيَةً لِرَسولِ اللهِ ﷺ عَمّا يَلْقاهُ مِنْ أذى المُشْرِكينَ ، ثُمَّ ذَكَرَتْ حالَ كُفّارِ مَكَّةَ ، وَعِنادَهُمْ ، وَأقامَتِ الحُجَجَ والبَراهينَ الدّالَّةَ عَلَى البَعْثِ ، وَبَيَّنَتْ ما يَلْقاهُ الكُفّارُ مِنْ هَوْلٍ وَشِدَّةٍ وَقْتَ المَوْتِ ، وَطَلَبَهُمُ العَوْدَةَ إلى الدُّنيا ، وَصُوَراً مِنْ أحْوالِهِمْ في النّارِ ، وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِتَمْجيدِ اللهِ تعالى ، وَبالأمْرِ بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ مِنْهُ سُبْحانَهُ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

أفلَحَ : فازَ .

خاشِعون : مُتَذَلِّلونَ .

اللَّغْوِ	الباطِلِ وَما لا خَيْرَ فيهِ مِنَ الكَلامِ .
فُروجِهِمْ	الفَرْج : سَوْءة الرَّجُلِ والمَرْأَةِ .
حافِظونَ	مُتَعَفِّفونَ عَنِ الحَرام .
مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ	النِّساءُ المَملوكاتُ ، وَهذا عِنْدَما كانَ الرِّقُّ مُنْتَشِراً .
العادون	المُعْتَدونَ .
الفِرْدَوْسَ	أَعْلى الجِنانِ .

التفسيرُ :

بَدَأَتْ سورَةُ (المُؤْمنونَ) بِبَيانِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ التي اسْتَحَقُّوا بِها دُخولَ الجَنَّةِ وَنَيْلَ أَعْلى دَرَجاتِها ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ﴾

قَدْ لِلتَّأكيدِ والتَّحقيقِ ، يُخْبِرُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّ المُؤْمِنينَ بِهِ ، وَبِما أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ ، وَبِما أَمَرَ بالإيمانِ بِهِ كاليَوْمِ الآخِرِ ، والقَدَرِ ، هُمُ الفائِزونَ المُفلِحونَ يَقيناً ، والمُرادُ بِالمُؤْمِنينَ الذينَ صَدَقوا وَأَيْقَنوا واجْتَمَعَتْ فيهِمُ الصِّفاتُ المَذْكورَةُ تالِياً وَهِيَ :

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾

الصِّفَةُ الأولى : الخُشوعُ في الصَّلاةِ ، وَهُوَ التَّذَلُّلُ للهِ تعالى ، واسْتِحضارُ عَظَمَتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ في القَلْبِ ، فَلا يَنْشَغِلُ المُصَلِّي بِشَيْءٍ آخَرَ سِوى الصَّلاةِ ، فَلا يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ إلاّ إلى مَوْضِعِ سُجودِهِ ، وَلا يَعْبَثُ بِيَدَيْهِ ، وَيَتَحلّى بِالسُّكونِ والطُّمأْنينةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾

والصِّفَةُ الثّانِيَةُ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الابْتِعادُ عَنِ الكَذِبِ والباطِلِ ، وَكُلِّ ما لا يَعْنيهِمْ ، وَما لا فائِدَةَ فيهِ مِنَ الأَقْوالِ والأَفْعالِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ ﴾ .

والصِّفَةُ الثّالِثَةُ أَنَّهُمْ يُؤَدّونَ حَقَّ اللهِ في أَمْوالِهِمْ ، وَيُخْرِجونَ زَكاةَ هذِهِ الأَمْوالِ ، وَيُداوِمونَ عَلى ذلِكَ الفِعْلِ عَنْ طيبِ نَفْسٍ ، وَبِلا تَرَدُّدٍ وَلا تَأخيرٍ .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾

والصِّفَةُ الرَّابِعَةُ أنَّهُمْ أعِفَّاءُ كُرَماءُ ، قَدْ أَحْصَنوا فُروجَهُمْ ، وَصانوها عَمّا لا يَحِلُّ كالزِّنا ، وَسَتَروا عَوْراتِهِمْ عَنْ أعْيُنِ النَّاسِ ، أمّا ما أحَلَّهُ اللهُ مِمّا بيَّنَهُ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾

فَهذا سَبيلٌ أباحَهُ اللهُ لَهُمْ وَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ في إتْيانِ زَوْجاتِهِمْ ، وَما مَلَكَتْ أيْمانُهُمْ ، فَلا لَوْمَ عَلَيْهِمْ في ذلِكَ ، بَلْ يُباحُ لَهُمْ ذلِكَ ، وَهُوَ مِنْ شَرْعِ اللهِ وَدينِهِ .

﴿ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ ﴾

فَمَنْ طَلَبَ الاسْتِمْتاعَ في خِلافِ ما أحَلَّهُ اللهُ لَهُ ، وَسَعى لِقَضاءِ الشَّهْوَةِ بِغَيْرِ ما ذُكِرَ مِنَ الزَّوْجاتِ والمَمْلوكاتِ ، فَهُوَ مُتَجاوِزٌ لِلحَدِّ وَمُعْتَدٍ عَلَى حُدودِ اللهِ .

وَلِهذا التَّجاوُزِ آثارٌ مُدَمِّرَةٌ ، مِنْها انْتِشارُ الأمْراضِ كَمَرَضِ (الإيدْز) الذي قَضى عَلَى مَلايينِ النَّاسِ ، الذينَ لَمْ يَلْتَزِموا شَرْعَ اللهِ في هذا الأمْرِ ، وَمِنْها فَسادُ النُّفوسِ ، وارْتِكاسُ الفِطْرَةِ وَضَياعُ الأنْسابِ .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

والصِّفَةُ الخامِسَةُ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ أنَّهُمْ يُؤَدُّونَ الأماناتِ ، وَيُوفونَ بِعَهْدِهِمْ مَعَ اللهِ تعالى وَمَعَ النَّاسِ ، وَهذانِ اللَّفظانِ : الأمانَةُ والعَهْدُ يَشْمَلانِ كُلَّ ما يَقومُ بِهِ الإنْسانُ مِنْ أُمورِ دينِهِ وَدُنْياهُ ، مِنْ تَكاليفَ والتِزاماتٍ وَعُقودٍ وَعِباداتٍ يَنْبَغي رِعايَتُها والوَفاءُ بِها . فالمُؤْمِنُ يَحْفَظُ الأمانَةَ ، وَيُؤَدِّيها إلى أهْلِها ، وَيَصونُ العَهْدَ وَلا يَنْقُضُهُ .

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

والصِّفَةُ السَّادِسَةُ أنَّهُمْ يُحافِظونَ عَلَى الصَّلاةِ فَيُؤَدُّونَها في أوْقاتِها ، وَيُواظِبون علَيْها ، وَيُعْنَوْنَ بِأمْرِها ، وَلا يَنْسَوْنَ مَواعيدَها ، وَيُقيمونَ أرْكانَها وَشُروطَها عَلَى الوَجْهِ التَّامِ .

وَيُلاحَظُ أنَّ هذِهِ الصِّفاتِ بَدَأتْ بِالخُشوعِ في الصَّلاةِ ، وَخُتِمَتْ بِالمُحافَظَةِ عَلَيْها ، وَهذا دَليلٌ عَلَى عِظَمِ مَكانَتِها وَأهَمِّيَّتِها ، وَدَورِها في تَحْصيلِ باقي الصِّفاتِ .

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

هؤُلاءِ المُؤْمِنونَ الذينَ تَحَلَّوا بِهذِهِ الصِّفاتِ الطَّيِّبَةِ النَّبيلَةِ يَسْتَحِقُّونَ أنْ يَكونوا وارِثينَ لِنَعيمِ الجَنَّةِ بِحَقٍّ ، حاصِلينَ عَلَيهِ بِسَبَبِ الْتِزامِهِمْ بِما أُمِروا بِهِ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾

إنَّ هؤُلاءِ المُؤْمِنينَ المُفْلِحينَ سَيَكونونَ في أعْلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وَأحْسَنِها ، وَسَيَكونُ مُكْثُهُمْ فيها دائِماً لا يَنْقَطِعُ ، وَلا يَزولُ ، وَهذا كُلُّهُ بِرَحْمَةِ اللهِ تعالى الذي آمَنوا بِهِ واتَّبَعوا شَريعَتَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَعدادُ صِفاتِ المُؤْمِنينَ التي بِها فَلاحُهُمْ .

٢ـ وُجوبُ الخُشوعِ في الصَّلاةِ والمُداوَمَةُ عَلَيْها .

٣ـ الابْتعادُ عَنِ اللَّغْوِ ، وباطِلِ الأقْوالِ والأفْعالِ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ .

٤ـ المُسلِمُ يَحِلُّ لَهُ قَضاءُ شَهواتِهِ بالطُّرُقِ الحَلالِ ، وَلا يَحِلُّ لَهُ تَجاوُزُ الحُدودِ إلى الحَرامِ .

٥ـ وُجوبُ حِفْظِ الأمانَةِ وَأدائِها عَلَى الوَجْهِ الأتَمِّ والأكْمَلِ .

٦ـ أهَمِّيَّةُ الصَّلاةِ ، فَقَدْ بَدَأ صِفاتِ المُؤْمِنينَ بها وَخَتَمها بها .

٧ـ الحِرْصُ عَلَى الاتِّصافِ بِجَميعِ هذِهِ الصِّفاتِ الكَريمَةِ لِلفَوْزِ بِجَنّاتِ الفِرْدَوْسِ والخُلودِ فيها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ الصِّفاتِ التي وَرَدَتْ في هذِهِ الآياتِ .

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ الخُشوعِ في الصَّلاةِ والمُحافَظَةِ عَلَيْها ؟

٣ـ ما مَعنى حِفْظِ الفَرْجِ ؟

٤ـ اسْتَثْنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ حِفْظِ الفَرْجِ صِنْفَيْنِ ، ما هُما ؟

٥ـ ما مَعنى رِعايَةِ الأماناتِ والعُهودِ ؟

٦ـ ما الجَزاءُ الذي أعَدَّهُ اللهُ لِمَنِ اتَّصَفَ بِهذِهِ الصِّفاتِ ؟

٧ـ هَلْ تَرْغَبُ أنْ تَكونَ مِنْ هؤُلاءِ المَوْصوفينَ بِهذِهِ الآياتِ ؟ وماذا تَفْعَلُ لِتَكونَ مِنْهُمْ ؟



١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَرْبَعَةً مِنَ الأمْوالِ التي تَجِبُ فيها الزَّكاةُ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةً مِنَ الأمْراضِ الفَتَّاكَةِ التي انْتُشَرَتْ نَتيجَةً لِلزِّنا واللِّواطِ .

٣ ـ مِنَ المَعلوم أنَّ الإسْلامَ دَعا إلى تَضْييقِ أبْوابِ الرِّقِّ ، وَحَصْرِها في وسائلَ مَحْدودةٍ جداً ، مِمّا أدَّى إلى قِلَّةِ عَدَدِ الرَّقيقِ ثُمَّ انْتِهاءِ وُجودِهِم في مُجْتَمَعِنا وَمُعْظَمِ المُجْتَمَعاتِ ، اكْتُبْ مَوْضوعاً قَصيراً عَنِ الرِّقِّ ، وَكَيْفَ أسْهَمَ الإسْلامُ في مَنْعِهِ وَفي تَحريرِ الرَّقيقِ ؟ واقْرَأْهُ عَلَى الطَّلَبَةِ .

٤ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يُبيِّنُ خُطورَةَ فِعْلِ ما يُلْهي المُصَلِّي وَهُوَ في صَلاتِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السّابِعَ عشَرَ

سورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثّاني

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **سُلالَةٍ** : خُلاصَةٍ .
- **نُطْفَةً** : قَطْرَةُ مَنِيٍّ .
- **قَرارٍ مَكينٍ** : مُسْتَقَرٌّ مُتَمَكِّنٍ وَهُوَ الرَّحِمُ .
- **عَلَقَةً** : قِطْعَةَ دَمٍ جامِدٍ ، سُمِّيَتْ بِذلِكَ لأَنَّها تَعْلَقُ بِالرَّحِمِ .
- **مُضْغَةً** : قِطْعَةَ لَحْمٍ بِقَدْرِ ما يُمْضَغُ .
- **خَلْقاً آخَرَ** : إنساناً تامَّ الخَلْقِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فيهِ .
- **أَحْسَنُ الخالِقينَ** : أَحْسَنُ المُقَدِّرينَ والمُبْدِعينَ .
- **طَرائِقَ** : سَماواتٍ .
- **بِقَدَرٍ** : مِقْدارِ الحاجَةِ والمَصْلَحَةِ .

وَشَجَرَةً	هِيَ شَجَرَةُ الزَّيتونِ .
تَنْبُتُ بالدُّهْنِ	يُنْتِجُ ثَمَرُها زَيْتاً .
صِبْغٍ لِلآكِلينَ	إدام يَصْبُغُ اللُّقْمَةَ حينَ تُغْمَسُ فيهِ عِنْدَ الأكْلِ .
لَعِبْرَةً	آيَةً وَمَوْعِظَةً .

التفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ السُّورَةُ الكَريمَةُ صِفاتِ المُؤْمنينَ الذينَ اسْتَحَقُّوا بِرَحْمَةِ اللهِ النَّعيمَ في الجَنَّةِ ؛ جاءَتْ هذِهِ الآياتُ الكَريمَةُ لِبَيانِ مَراحِلِ تَكَوُّنِ الجَنينِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنا أباكُمْ آدَمَ مِنْ صَفْوَةٍ وَخُلاصَةٍ مُسْتَخْرَجَةٍ مِنَ الطِّين .

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾

ثُمَّ جَعَلْنا نَسْلَهُ يَتوالَدُ مِنْ نُطْفَةٍ تَسْتَقِرُّ في مَكانٍ ثابِتٍ ثُبوتاً مَكيناً ، وَهُوَ رَحِمُ المَرْأَةِ .

والنُّطْفَةُ في اللُّغَةِ : الماءُ الصَّافي ، أوِ القَليلُ مِنَ الماءِ ، الذي يَتَقاطَرُ مِنْ فَمِ القِرْبَةِ بِقِلَّةٍ ؛ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الحَيوانِ المَنَويِّ الذي يتكَوَّنُ مِنْهُ الإنْسانُ بَعْدَ التِحامِهِ بِالبُوَيْضَةِ في رَحِمِ المَرْأَةِ ، وَهذا هُوَ الطَّوْرُ الأوَّلُ مِنْ أطْوارِ تَكَوُّنِ الإنْسانِ .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ تَتَحَوَّلُ النُّطْفَةُ في الرَّحِمِ إلى قِطْعَةٍ مِنَ الدَّمِ الجامِدِ ، تَعْلَقُ في جِدارِ الرَّحِمِ ، وَتَتَحَوَّلُ بَعْدَ ذلِكَ إلى قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ عَلَى هَيْئَةِ اللُّقْمَةِ التي تُمْضَغُ . ثُمَّ تَتَحَوَّلُ المُضْغَةُ بِقُدْرَةِ اللهِ وَأَمْرِهِ لِتُصْبِحَ عِظاماً ، تُغَطَّى بَعْدَ ذلِكَ بِما يَسْتُرُها وَيَشُدُّها وَهُوَ اللَّحْمُ ، ثُمَّ تُنْفَخُ فيها الرُّوحُ ، وَتَبْدَأُ أعْضاءُ الجَنينِ بِالتَّشَكُّلِ وَالنُّمُوِّ ، وَيُصْبِحُ الإنسانُ تامَّ الخِلْقَةِ كامِلَ الأعْضاءِ ، فَتَعالى شَأْنُ اللهِ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ - سُبْحانَهُ - وَهُوَ أَحْسَنُ المُبْدِعينَ والمُقَدِّرينَ ، الذي خَلَقَ الإنْسانَ في أحْسَنِ تَقويمٍ بَعْدَ أنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً ، وَهَيَّأَ لَهُ أسْبابَ النُّمُوِّ والرَّاحَةِ حتّى يَكْتَمِلَ خَلْقُهُ وَيُولَدَ بَشَراً سَوِيّاً .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّها النَّاسُ بَعْدَ اكْتِمالِ خَلْقِكُمْ وَقَضائِكُمْ مُدَّةً مِنَ الزَّمانِ تَعيشونَها في الدُّنيا ، سائِرونَ إلى المَوْتِ الذي قَدَّرَهُ اللهُ تعالى .

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾

مِنْ قُبورِكُمْ لِلجَزاءِ والحِسابِ ، فيا لَها مِنْ رِحْلَةٍ قَصيرَةٍ يَقْضيها الإنْسانُ عَلَى الأرْضِ ، يَنْتَقِلُ بَعْدَها إلى المَوْتِ ، ثُمَّ يُبْعَثُ لِيُحاسَبَ وَيُجازى ، إنَّ في هذا لَذِكْرىٰ لِلمُعْتَبِرينَ ، وَمَوْعِظَةً لِلمُؤْمنينَ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ عَدَداً مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ مِمّا يُشاهِدُهُ النَّاسُ وَيَرَونَهُ ، فَقالَ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) ﴾ .

أيْ : وَلَقَدْ خَلَقْنا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سَمواتٍ ، بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ ، نَرْعى أمْرَها ، وَأمْرَ جَميعِ الخَلْقِ ، وَنَحْفَظُهُمْ دونَ أنْ نَغْفَلَ عَنْ رِعايَةِ الخَلْقِ ، وَتَدْبيرِ أُمورِهِمْ ، والعِلْمِ بِجَميعِ أحْوالِهِمْ .

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) ﴾

وَأنْزَلْنا لَكُمْ أيُّها النَّاسُ مِنَ السَّحابِ مَطَراً بِقَدْرِ حاجَتِكُمْ وَكِفايَتِكُمْ ، تَنْتَفِعون بِهِ في الشُّرْبِ والسَّقْيِ ، وَتَحْتَفِظُ الأرْضُ في باطِنِها بهذا الماءِ لِيَنْتَفِعَ مِنْهُ النَّاسُ حينَ يَصلونَ إلَيْهِ عَنْ طَريقِ حَفْرِ الآبارِ ، أوْ حينَ يَتَفَجَّرُ هذا الماءُ عُيوناً عَذْبَةً ، وَهذا مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلى خَلْقِهِ ، فإنَّه لَوْ شاءَ اللهُ لأذْهَبَ الماءَ ، وَلَجَعَلَهُ بَعيداً في باطِنِ الأرْضِ ، لا يَسْتَطيعُ أحَدٌ الوُصولَ إلَيْهِ وَلا الانْتِفاعَ بِهِ .

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) ﴾

فَأوْجَدْنا لَكُمْ بِهذا الماءِ بَساتينَ مُتَنَوِّعَةً ، بَعْضُها مِنْ نَخيلٍ ، وبَعْضُها مِنْ أعْنابٍ ، وَبَعْضُها مِنْ أنواعِ الثِّمارِ الأُخْرى الكَثيرَةِ المُتَنوِّعَةِ ، وَبَعْضُها مِنَ الفَواكِهِ اللَّذيذَةِ الطَّيِّبَةِ ، التي تَسْتَمْتِعونَ بأكْلِها ، وَتَنْتَفِعونَ مِنْها .

وَوَجْهُ تَخصيصِ النَّخيلِ والأعْنابِ بالذِّكْرِ ، لِعَظيمِ فَوائِدِهِما ، فَهُما فاكِهَةٌ وَغِذاءٌ وَدَواءٌ ، ويُسْتَعْمَلانِ طازَجَيْنِ وَيُدَّخَرانِ لِفَتَراتٍ طَويلَةٍ .

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) ﴾

وَهذا الماءُ الذي أنْزَلَهُ اللهُ لَكُمْ تَنْبُتُ بِهِ شَجَرَةٌ مُبارَكَةٌ تَنْمو في المَكانِ الذي كَلَّمَ اللهُ تعالى فيهِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَتُنْتِجُ ثِمارُها زَيْتاً ، يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ في دَهْنِ أجْسامِهِمْ ، وَيَجْعَلونَهُ إداماً يَصْبُغُ خُبْزَهُمْ عِنْدَما يَأكُلونَ ، هذهِ الشَّجَرَةُ هِيَ الزَّيْتونُ ، وَهِيَ مِنْ أكْثَرِ الأشْجارِ فائِدَةً ، حَيْثُ يُنْتَفَعُ بَزَيْتِها وَطَعامِها وَخَشَبِها وَمَنْظَرِها وَظِلِّها .

وَتَخْصيصُ طُورِ سَيْناءَ بِأنَّهُ مَكانُ وُجودِها مَعَ أنَّها تُزرَعُ في غَيْرِهِ ، لأنَّ أصْلَ مَنْبَتِها كانَ فيهِ ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ زِراعَتُها في غَيْرِهِ ، وَلأنَّها أكْثَرُ ما تَكونُ انْتِشاراً فيهِ وَفيما حَوْلَهُ مِنَ الأرْضِ .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ بَعْضَ نِعَمِهِ في الماءِ والنَّباتِ ، أتْبَعَها بِبَيانِ بَعْضِ نِعَمِهِ في الحَيَوانِ ، فَقَدْ جَعَلَ سُبْحانَهُ في الأنْعامِ وَهِيَ الإبِلُ والغَنَمُ والبَقَرُ آيَةً وَمَوْعِظَةً لِلنَّاسِ ، وَمِنْ ذلكَ ما تُنْتِجُهُ الأنْعامُ مِنْ لَبَنٍ طَيِّبِ المَذاقِ عَظيمِ الفائِدَةِ ، تُصْنَعُ مِنْهُ أنْواعٌ مُتعدِّدَةٌ مِنَ الأطْعِمَةِ ، وَيَنْتَفِعُ النَّاسُ مِنَ الأنْعامِ بِأكْلِ لُحومِها واسْتِعمالِ جُلودِها وَوَبَرِها وَشَعْرِها وَصوفِها في أنواعٍ كَثيرَةٍ مِنَ الصِّناعاتِ التي يَنْتَفِعُ مِنْها الإنسانُ .

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وَيَنْتَفِعُ النَّاسُ مِنَ الإبلِ بِرُكوبِها واسْتِعمالِها وَسيلَةً لِلسَّفَرِ الطَّويلِ في البَرِّ ، كَما يَسْتَعمِلونَ السُّفُنَ لِلسَّفَرِ في البَحْرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، منها :

١ـ رِعايَةُ اللهِ تعالى التَّامَةُ للإنْسانِ منْ أوَّلِ لَحَظاتِ تَكَوُّنِه حتّى نِهايَةِ خَلْقِهِ .

٢ـ الدَّلالَةُ عَلَى أنَّ القُرآنَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَما ذُكِرَ فيهِ مِنْ دقائِقِ خَلْقِ الإنْسانِ لَمْ يَكْتَشِفْها البَشَرُ إلاّ بَعْدَ نُزولِ القُرآنِ بِعِدَّةِ قُرونٍ .

٣ـ اللهُ تعالى يُقَدِّرُ كَمِيَّةَ المَطَرِ بما يَكفي النَّاسَ لِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ ، مَعَ وُجودِ كَمِّيَّاتٍ مُخزَّنَةٍ في جَوفِ الأرْضِ للانْتِفاعِ مِنْها عِنْدَ الحاجَةِ .

٤ـ عَظيمُ نِعَمِ اللهِ عَلَى الإنْسانِ ، فَمِنْ ماءٍ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ، إلى نَباتٍ يَنْمو في الأرْضِ ، إلى أَنْعامٍ مُسَخَّرَةٍ لِخِدْمَةِ الإنْسانِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ مَراحِلَ تَكَوُّنِ الجَنينِ مُرَتَّبَةً ، مُبَيِّناً مَعنى كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْها .

٢ـ ما فائِدَةُ أنْ يَكونَ الماءُ النَّازِلُ منَ السَّماءِ بِقَدَرٍ ؟

٣ـ ما وَجْهُ تَخصيصِ النَّخيلِ والأعْنابِ بالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سائِرِ أنْواعِ النَّباتاتِ ؟

٤ـ بماذا وُصِفَتْ شَجَرَةُ الزَّيتونِ ؟

٥ـ عَدِّدْ فوائِدَ الأنْعامِ المَذْكورَةِ في هذِهِ الآياتِ وَٱذْكُرْ دليلَ ذلكَ منَ الآياتِ .

٦ـ اذْكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلَى كُلٍّ مِمّا يَلي :

١ـ أَصْلُ خَلْقِ الإنْسانِ مِنْ طينٍ .

٢ـ خَلْقُ العِظامِ سابِقٌ لِخَلْقِ اللَّحمِ .

٣ـ اللهُ سُبْحانَهُ قائِمٌ بِحِفْظِ خَلْقِهِ ولا يَغْفَلُ عَنْهُمْ .

٤ـ يتَجَمَّعُ ماءُ المَطَرِ في جَوفِ الأَرْضِ .

٥ـ الزَّيْتُ يَدْهَنُ بِهِ الإنْسانُ جِسْمَهُ ، وَيأْكُلُهُ مَعَ خُبْزِهِ .

٦ـ المَنافِعُ التي يَنْتَفِعُ بِها البَشَرُ مِنَ الأنْعامِ كَثيرَةٌ .

٧ـ يَسْتَعمِلُ الإنْسانُ الإبِلَ لِلسَّفَرِ في البَرِّ والسُّفُنَ لِلسَّفَرِ في البَحْرِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ مالِكِ بْنِ رَبيعَةَ السَّاعِديِّ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « كُلُوا الزَّيْتَ وادَّهِنوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ[1] » .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورَةَ التِّينِ ، وبَيِّنْ صِفَةَ الإنْسانِ التي ذُكِرَتْ فيها .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آخِرَ آيَةٍ مِنْ سورَةِ المُلْكِ ، وَبَيِّنْ عَلاقَتَها بالآيَةِ (١٨) .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثاً مِنَ الصِّناعاتِ التي تُسْتَعْمَلُ فيها جُلودُ الحَيَواناتِ .

٤ـ يُسمَّى الجَمَلُ (سَفينَةَ الصَّحْراءِ) اذْكُرْ وَجْهَ هذِهِ التَّسْمِيَةِ ، واسْتَعِنْ بِزُملائِكَ لِتَعْدادِ الصِّفاتِ النَّافِعَةِ في الجَمَلِ .

٥ـ اكْتُبْ في حُدودِ صَفْحَةٍ في مَوْضوعِ : ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾ وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

---

(١) رواهُ الترمذيُّ في كتابِ الأطعمة ، برقم : ١٧٧٤ ، ورواه أحمدُ في المُسْنَد برقم ١٥٤٧٥ .

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَتفضَّلُ عَلَيْكُمْ** : يكونُ أَفْضَلَ مِنْكُمْ .
- **جِنَّةٌ** : جُنونٌ .
- **الفُلْكَ** : السَّفينَةَ .
- **بِأَعْيُنِنا** : بِرِعايَتِنا .
- **جاءَ أمرُنا** : جاءَ وَقْتُ العذاب .
- **التَّنُّورُ** : المَكانُ المُعَدُّ لِيُخْبَزَ فيهِ .
- **مُنْزَلاً** : إنْزالاً .
- **لَمُبْتَلينَ** : لَمُخْتَبِرينَ .



التفسير :

تُبيِّنُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ قصَّةَ نوحٍ عليهِ السَّلامُ ، وهيَ أوَّلُ قِصَّةٍ في هذهِ السُّورَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أنَّهُ أرْسَلَ نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى قومِهِ الذينَ كانوا يَعبُدونَ الأصْنامَ ، فَدَعاهُمْ إلى إفْرادِ اللهِ تعالى بالعِبادَةِ ، وإلى الخَوْفِ مِنْ عاقبَةِ شِرْكِهِمْ إنْ أصرُّوا عَلَيْهِ واستَمَرُّوا في ضَلالِهِم .

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

قالَ لَهُ المَلأُ وَهُمُ السَّادَةُ أصْحابُ الجاهِ والمَكانَةِ ، وَهُمُ المُتَصَدّونَ عادَةً لِتَكْذيبِ الرُّسُلِ لِظَنِّهِمْ أنَّ إيمانَهُمْ يَسْلُبُهُمْ مُكانَتَهُمْ ، قالوا لَهُ رادّينَ دَعْوَتَهُ صارفينَ قَوْمَهُمْ عَنِ اتِّباعِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ : ما هُوَ إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ فَكَيْفَ يَكونُ نَبِيّاً ، إنما يُريدُ أنْ يترأَّسَ عَلَيْكُمْ وَيَسُودَكُمْ مِنْ خِلالِ ادِّعائِهِ النُّبُوَّةَ ، وَلَوْ أرادَ اللهُ أنْ يُرسِلَ رَسولاً يَدعو لِعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لأرْسَلَهُ مِنَ المَلائِكَةِ لا مِنَ البَشَرِ ، وَنَحْنُ لَمْ نَسْمَعْ بِمِثْلِ هذهِ الدعوةِ إلى تَوْحيدِ اللهِ تَعالى في آبائِنا السَّابقينَ ، فَمِنْ أينَ جاءَ بِها نوحٌ ؟ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

واسْتَمَرُّوا في باطِلِهِمْ فَقالوا : ما هذا الرَّجُلُ إلاّ مَجْنونٌ ، فانتَظِروا إلى وَقْتِ شِفائِهِ مِنْ هذا الجُنونِ ، أوْ وَقْتِ مَوْتِهِ ، فَتَسْتَريحونَ مِنْهُ ، وَمِنْ دَعْوَتِهِ ، وَلَمْ يُسَمّوا نوحاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِٱسْمِهِ تَكَبُّراً مِنْهُمْ وإرادَةً لِتَهْوينِ شَأنِهِ أمامَ قَومِهِمْ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾

لَجَأَ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى رَبِّهِ يَشْكو إلَيْهِ تَكْذيبَ قَوْمِهِ ، وَيَدْعوهُ أنْ يَنْصُرَهُ عَلَيْهِم .

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ نَبيِّهِ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَأَمَرَهُ أنْ يَصْنَعَ سَفينَةً ، وَطَمْأَنَهُ رَبُّهُ أنَّهُ مُحاطٌ برِعايَةِ اللهِ وَعِنايَتِهِ وَحِفْظِهِ ، وَعَلَّمَهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِ السَّفينَةِ ، وَجَعَلَ لَهُ عَلامةً تَدُلُّ عَلَى بَدْءِ العَذابِ ، وَهيَ أنْ يَفورَ

الماءُ مِنَ التَّنُّورِ الذي يَخْبِزونَ فيهِ ، فإذا حَصَلَ ذلِكَ ، فَأَدْخِلْ في السَّفينَةِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْواعِ المخْلوقاتِ مِنَ الحَيوانِ والطَّيْرِ زَوْجَيْنِ ذَكَراً وَأُنْثى ، لِئَلاّ يَنْقَطِعَ نَسْلُ ذلِكَ الحَيَوانِ ، وَأَدْخِلْ فيها أَتْباعَكَ المُؤْمِنينَ مِنْ أَهلِكَ وغَيْرِهِمْ ، ولا تُدْخِلْ في السَّفينَةِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهلِكَ ، أَوْ مِنْ قَوْمِكَ واتْرُكْهُمْ خارِجَها ، وَلا تُكَلِّمْني في شَأْنِ هؤُلاءِ الظّالِمينَ وَلا تَشْفَعْ لَهُمْ ، وَلا تَأْخُذْكَ رَأْفَةٌ أَوْ رَحْمَةٌ بِهِمْ ، فَهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِلغَرَقِ جَزاءَ كُفْرِهِمْ .

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فَإِذا تَمَكَّنْتَ واسْتَقْرَرْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ في السَّفينَةِ ، وَعَلَتْ بِكُمْ فَوْقَ الأَمْواجِ الحاصِلَةِ مِنَ المَطَرِ الغَزيرِ وَمِنْ تَفَجُّرِ الأَرْضِ عُيوناً ، فاحْمَدِ اللهَ عَلَى نَجاتِكُمْ مِنْ قَوْمِكُمُ الظّالِمينَ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

وادْعُ رَبَّكَ عِنْدَ انْتِهاءِ الطُّوفانِ وانْحِسارِ الماءِ ، وَعِنْدَما تُريدُ الخُروجَ مِنَ السَّفينَةِ أَنْ يُنْزِلَكَ اللهُ مُنْزَلاً مُبارَكاً ، يُفْضي إِلى خَيْرِ الدنيا والآخِرَةِ ، وَيَحْفَظُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسوءٍ .

وَأَمَرَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنْ يَخْتِمَ دُعاءَهُ بِالثَّناءِ المُطابِقِ لِمَعْنى الدُّعاءِ ، مُبالَغَةً وَتَوَسُّلاً بِهِ إِلى الإِجابَةِ ، فاللهُ هُوَ خَيْرُ المُنْزِلينَ القادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إِنَّ فيما ذَكَرْناهُ عَنْ نوحٍ وَقَوْمِهِ ، وَما أَصابَهُمْ مِنْ غَرَقٍ وَهَلاكٍ بِسَبَبِ تَكْذيبِهِمْ رَسولَهُمْ لآياتٍ واضِحاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَقَدْ كانَ إِرْسالُ نوحٍ إِلى قَوْمِهِ ابْتِلاءً واخْتِباراً لَهُمْ ، وَفي هذا التَّنْزيلِ لِلقِصَّةِ تَخْويفٌ وَوَعيدٌ لِلكُفّارِ أَنَّهُمْ يَسْتَحِقّونَ العِقابَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَإِعْراضِهِمْ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إِلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ أَوَّلِ الرُّسُلِ نوحٍ كَدَعْوَةِ آخِرِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ دَعْوَةٌ إِلى تَوحيدِ اللهِ .

٢ـ زَعَمَ قَوْمُ نوحٍ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ لِلرِّسالَةِ لِأَنَّهُ بَشَرٌ ، كَما ادّعى ذلِكَ العَرَبُ في سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

٣ـ عَلَى الدُّعاةِ إِلى اللهِ أَتْباعِ الأَنْبياءِ أَنْ يَتَحَبَّبُوا إِلى قَوْمِهِمْ حالَ دَعْوَتِهِمْ إِلى اللهِ ، كَما فَعَلَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ يَلْجَأُ المُكَذِّبونَ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ إِلى اتِّهامِهِمْ بِتُهَمٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَهَرُّباً مِنْ مُواجَهَتِهِمْ . وَمُحاوَلَةً لِصَرْفِ النّاسِ عَنِ اتِّباعِهِمْ .

٥ـ تَضَمَّنَتْ هذِهِ القِصَّةُ جُمْلَةً مِنْ أَخْبارِ الغَيْبِ ، وَمِنْ ذلِكَ قِصَّةُ الطُّوفانِ ، حَيْثُ أَهْلَكَ الكُفَّارَ مِنْ قَوْمِ نوحٍ وَأَنْجى المُؤْمِنينَ .

٦ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تعالى عَلَى نِعَمِهِ .

٧ـ اسْتِحْبابُ خَتْمِ الدُّعاءِ بِثَناءٍ يُطابِقُ مَعناهُ ، كَما وَرَدَ في عَدَدٍ مِنَ الآياتِ نَحْوَ : ﴿أنزِلْني مُنْزلاً مُبارَكاً وأنتَ خيرُ المُنْزِلينَ﴾ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ إلى أيِّ شَيْءٍ دَعا نوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قَوْمَهُ ؟

٢ـ مَنْ هُمُ المَلأُ ؟ وَلِماذا كانوا يَتَصَدَّرونَ تَكْذيبَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؟

٣ـ عَدِّدِ التُّهَمَ التي وَجَّهَها المَلأُ إلى نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٤ـ ما العَلامَةُ التي كانَتْ دَليلاً عَلَى الطُّوفانِ ؟

٥ـ بِماذا أمَرَ اللهُ تعالى نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ حينَ يَرى عَلامَةَ بَدْءِ الطُّوفانِ ؟

٦ـ لِماذا نَهى اللهُ تعالى نَبِيَّهُ نوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ عَنْ تَكْليمِهِ بِشَأْنِ الظّالِمينَ ؟

٧ـ لِماذا أمَرَ اللهُ تعالى نُوحاً عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يَحْمَدَهُ ؟

٨ـ ما مَعنى الإنْزالِ المُبارَكِ ؟ وَلِماذا خُتِمَتِ الآيَةُ بِقَوْلِهِ ﴿وأنتَ خيرُ المُنْزِلينَ﴾ ؟

٩ـ ما العِبْرَةُ في قِصَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ ذَكَرَتْ سورَةُ نوحٍ دُعاءَ نوحٍ عَلَى قَوْمِهِ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ المُتَضَمِّنَةَ ذلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سورَةِ (القَمَرِ) ، الآياتِ التي بَيَّنَتْ كَيْفِيَّةَ نُزولِ المَطَرِ ، وَنَبْعِ الماءِ مِنَ الأَرْضِ .

٣ـ اذْكُرْ ثَلاثَ آياتٍ فيها خَتْمُ الدُّعاءِ بِثَناءٍ يُطابِقُ مَعْناهُ ، واكْتُبْها في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **قَرْناً** : قَوْماً .
- **أَتْرَفْناهُمْ** : نَعَّمْناهُمْ وَوَسَّعْنا عَلَيْهِمْ مَعيشَتَهُمْ .
- **هَيْهاتَ** : بَعُدَ .
- **الصَّيْحَةُ** : العَذابُ .
- **غُثاءً** : هالِكينَ .
- **فَبُعْداً** : هَلاكاً .



في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ القِصَّةُ الثّانِيَةُ في هذِهِ السّورَةِ . وَلَمْ تَذْكُرِ الآياتُ ٱسْمَ النَّبِيِّ وَٱسْمَ قَوْمِهِ ،

وَأَكْثَرُ المُفَسِّرينَ عَلى أَنَّهُ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ، حَيْثُ جَرَتِ العادَةُ في القُرآنِ بِذِكْرِ قِصَّةِ عادٍ بَعْدَ قِصَّةِ قوم نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

ثُمَّ أَوْجَدْنا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ المُهْلَكينَ قَوْماً آخَرينَ ، هُمْ قَبيلَةُ عادٍ قَوم هودٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَإِنَّهُمْ كانوا مُسْتَخْلَفينَ بَعْدَ قَوْمِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [الأعراف : ٦٩] .

﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

فَأَرْسَلَ اللهُ تعالى إِلَيْهِمْ رَسولاً مِنْ عَشيرَتِهِمْ ، فَدَعاهُمْ إِلى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، فَهُوَ الذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ وَحْدَهُ ، وخَوَّفَهُمْ مِنْ عِقابِ اللهِ تعالى إِنِ اسْتَمَرُّوا عَلى كُفرِهِمْ ، وَعِبادَةِ غَيْرِهِ .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

كَعادَةِ الكافِرينَ والمَلأِ مَعَ أَنْبيائِهِمْ ، فَقَدْ سارَعَ أَشْرافُ القَوْمِ وَكُبَراؤُهُمْ إِلى تَكْذيبِ نَبيِّهِمْ ، وَما يُخْبِرُ بِهِ مِنْ حُصولِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَهُمُ المُتْرَفونَ المُنَعَّمونَ ، الذينَ حَوَّلوا النِّعْمَةَ إِلى نِقْمَةٍ وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَكونوا أَوَّلَ المُؤْمِنينَ بِنَبِيِّهِمْ شُكْراً مِنْهُمْ عَلى نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، كانوا أَوَّلَ الكافِرينَ ، وَحاوَلوا صَرْفَ غَيْرِهِمْ عَنِ الإيمانِ فَقالوا : إِنَّ هذا الذي يَدَّعي أَنَّهُ رَسولٌ ، رَجُلٌ مِثْلُكُمْ يُشْبِهُكُمْ في حالِهِ وَصِفاتِهِ ؛ فَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ طَعامِكُمْ ، وَيَشْرَبُ مِنْ شَرابِكُمْ ، وَكَيْفَ يَكونُ رَسولاً مَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِثْلُكُمْ ؟ لَقَدِ اسْتَبْعَدوا أَنْ يَكونَ الرَّسولُ مِنَ البَشَرِ كَما فَعَلَ قَوْمُ نوحٍ قَبْلَهُمْ .

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وَمِنْ أَجْلِ إِبْعادِ القَوْمِ عَنِ اتِّباعِ النَّبيِّ أَقْسَمَ المَلأُ لَهُمْ أَنَّهُمْ إِذا أَطاعوا رَسولَهُمُ الذي هُوَ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ حينَئِذٍ خاسِرونَ خُسْراناً عَظيماً ، حَيْثُ يُذِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ لِواحِدٍ مِثْلِهِمْ ، لا مَزِيَّةَ لَهُ عَلَيْهِمْ .

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

زادَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ هُودٍ في تَنْفيرِ النَّاسِ عَنْهُ ، فَقالوا لَهُمْ : أَيَعِدُكُمْ هذا الرَّجُلُ بِالحَياةِ بَعْدَ أَنْ تَموتوا وتَتَحَلَّلُ أَجْسادُكُمْ إِلى عَناصِرِها الأُولى ، وَتَعودوا تُراباً وَعِظاماً نَخِرَةً .

﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعيدٌ كُلّ البُعْدِ ما يَعِدُكُمْ إيّاهُ هذا الرَّجُلُ مِنَ الإخْراجِ مِنَ القُبورِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَلا تُصَدِّقُوا قَوْلَهُ .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

لا حَياةَ إلا حَياتُنا الدُّنيا ، يَموتُ بَعْضُنا عِنْدَ انْقِضاءِ أجَلِهِ ، وَيُولَدُ بَعْضُنا فَيَحْيى حتّى يَسْتَوْفيَ أجَلَهُ ، وَما نَحنُ بِمُخْرَجينَ مِنَ القُبورِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَلا حَشْرٌ ، وَلا بَعْثٌ وَلا وُجودَ لَنا غَيْرَ هذا الوُجودِ .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

انْتَقَلَ المَلأُ بَعْدَ إنْكارِهِمُ البَعْثَ إلى الطَّعْنِ في نَبِيِّ اللهِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقالوا : ما هذا الذي يَزْعُمُ أنَّهُ رَسولٌ إلاّ مُجَرَّدُ كاذِبٍ عَلَى اللهِ فيما يَدَّعيهِ مِنَ الرِّسالَةِ ، وَلَسْنا بِمُصَدِّقينَ لَهُ فيما يَقولُ .

﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لَمّا يَئِسَ هودٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ إيمانِ قَوْمِهِ تَوَجَّهَ إلى اللهِ بَعْدَ قَليلٍ مِنَ الزَّمانِ لَيَصيرُنَّ نادِمينَ عَلى ما فَعَلوهُ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ والتَّكْذيبِ لِنَبِيِّهِ .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾

فَكانَ جَزاؤُهُمْ أنْ أُهْلِكوا بِصَيْحَةٍ هائِلَةٍ ، وَهِيَ الصَّوْتُ الشَّديدُ المُؤَدّي إلى المَوْتِ والهَلاكِ ، فَأَصْبَحوا كَغُثاءِ السَّيْلِ ، وَهُوَ ما يَحْمِلُهُ السَّيْلُ في طَريقِ جَرَيانِهِ مِنْ أوْراقٍ وَأعْوادٍ وَنَحْوِها مِنَ الأشْياءِ الحَقيرَةِ التّافِهَةِ التي لا يُنْتَفَعُ بِها ، فَهَلَكوا واسْتَحَقّوا البُعْدَ عَنْ رَحْمَةِ اللهِ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لأنفُسِهِمْ ، بِما كَذَّبوا رَسولَهُمْ .

وَقَدْ وَرَدَ في آياتٍ أخرى أنَّ عاداً أُهْلِكوا لِتَكْذيبِهِمْ بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ ، فَيُجْمَعُ بَيْنَهُما بِحُصولِ عَذابِهِمْ بِالأمْرَيْنِ : ريحٍ عَنيفَةٍ صَحِبَتْها صَيْحَةٌ عَظيمَةٌ . وَذِكْرُ إحْدى العُقوبَتَيْنِ في كُلِّ مَوْضِعٍ لِلإشْعارِ بِأنَّها لَوِ انْفَرَدَتْ فَهِيَ كافِيَةٌ لإهلاكِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الأنْبياءِ واحِدَةٌ ، وَهِيَ تَوْحيدُ اللهِ تعالى وَإفْرادُهُ بالعِبادَةِ .

٢ـ مَوْقِفُ المَلأِ مِنْ دَعواتِ الأنْبياءِ مُتَشابِهٌ في القُبْحِ والتَّكْذيبِ .

٣ـ التَّرَفُ والانْغِماسُ في شهَواتِ الدُّنْيا مُفْسِدٌ للفِطْرَةِ ومُبْعِدٌ عَنِ الحَقِّ .

٤ـ ادِّعاءُ المُشْرِكينَ أنَّ الرَّسولَ لا يُمْكِنُ أنْ يَكونَ مِنَ البَشَرِ حيلَةٌ مِنْهُمْ وحُجَّةٌ لِتَسويغِ عَدَمِ اتِّباعِهِ .

٥ـ اسْتِجابَةُ اللهِ تعالى دُعاءَ المَظلومينَ مِنْ عِبادِهِ لاسِيَّما إنْ كانوا صالِحين .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الدَّليلُ عَلَى أنَّ المَقْصودَ بهذِهِ الآياتِ عادٌ قَوْمُ هودٍ ؟

٢ـ عَدِّدِ الشُّبَهَ التي ذَكَرها المَلأُ لِصَرْفِ النَّاسِ عَنِ اتِّباعِ النَّبيِّ الكَريم .

٣ـ وَصَفَ اللهُ تعالى المَلأَ في هذِهِ الاياتِ بِثَلاثِ صِفاتٍ ، ما هِيَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ جَزْمِ المَلأِ بأنَّ الرَّسولَ لا يَكونُ رَجُلاً ؟

٥ـ بِماذا أَهْلَكَ اللهُ تعالى عاداً ؟

٦ـ بَيِّنْ مَعنى الآياتِ الكَريمَةِ التّالِيَةِ :

أ ـ وَأَتْرَفْناهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا .

ب ـ هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ .

ج ـ قالَ عَمّا قَليلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمينَ .

د ـ فَجَعَلْناهُمْ غُثاءً فَبُعْداً لِلقَوْمِ الظالِمينَ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الشَّبيهَةَ بالآياتِ (٣٥ـ٣٧) مِنْ سورَةِ ﴿يس﴾ ، وماذا تَسْتَنْتِجُ مِنْ ذلِكَ .

* * *

الدَّرسُ العِشرونَ

سورةُ المؤمِنونَ - القِسْمُ الخامِسُ

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قُروناً آخَرينَ	أُمَماً أُخْرى .
تَتْرا	مُتَتابِعينَ .
وَجَعَلْناهُمْ أَحاديثَ	جَعَلْناهُمْ أخْباراً تُنْقَلُ لِلتَّعَجُّبِ والعِظَةِ .
عالينَ	مُتَكَبِّرينَ .
وآوَيْناهُما	أَسْكَنّاهُما .
رَبْوَةٍ	مَكانٍ مُرْتَفِعٍ .
ذاتِ قَرارٍ	مَكانِ استقرارٍ لِمَنْ يَأْوي إلَيْها .
مَعينٍ	ماءٍ جارٍ .

التفسيرُ :

أجْمَلَتْ هذِهِ الآياتُ ذِكْرَ الأقْوامِ الذينَ جاءوا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نوحٍ وَهودٍ ، كَما أجْمَلَتْ ذِكْرَ أنْبيائِهِمْ وَرُسُلِهِمْ ، فكانَ حالُهُمْ كَحالِ نوحٍ وَهودٍ مَعَ أقْوامِهِمْ ، فَهِيَ مَسيرَةٌ مُتتابِعَةٌ مُتَشابِهَةٌ عَلَى مَدارِ التّاريخِ البَشَرِيِّ .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ثُمَّ أوْجَدْنا بَعْدَ هلاكِ قَوْمِ نوحٍ وَعادٍ أقْواماً وَأُمَماً أخْرى ، كَقَوْمِ صالِحٍ وَلوطٍ وَشُعَيْبٍ وَيوسُفَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَغَيْرِهِمْ ، وَكانَ حالُ هذِهِ الأُمَمِ مُشابِهاً لِحالِ مَنْ سَبَقَهُمْ في التَّكْذيبِ واسْتِحقاقِ العَذابِ ، يَدُلُّ عَلى ذلِكَ قَوْلُهُ تعالى في الآيةِ التّالِيَةِ :

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

فَلا تَتَقَدَّمُ أُمَّةٌ مِنْ تِلْكَ الأُمَمِ المَقْضِيِّ عَلَيْها بِالهَلاكِ والمَوْتِ الذي قَدَّرَ اللهُ لِهَلاكِها ، وَلا تَتأخَّرُ عَنْهُ ، فَلِكُلِّ أُمَّةٍ ميقاتٌ مَعْلومٌ مُحَدَّدٌ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ بَعَثْنا الرُّسُلَ إلى أقْوامِهِمْ مُتَتابِعينَ واحِداً بَعْدَ واحِدٍ ، وَكُلَّما جاءَ رَسولٌ لأمَّةٍ بِدَعْوَتِهِ كَذَّبَهُ أكْثَرُهُمْ ، دونَ تَرَوٍّ أوْ تَفَكُّرٍ بَلْ كانوا يُبادِرونَهُ بِالتَّكْذيبِ ، فَكانَ جَزاؤُهُمْ على ذلِكَ الإهْلاكَ والتَّدميرَ ، يَتْبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فيهِ ، وَأَصْبَحوا أحاديثَ تُذْكَرُ وَأخْباراً تُروىٰ ، يَتحدَّثُ النّاسُ بِما جَرى لَهُمْ تَعَجُّباً وَتَسْلِيَةً وَعِظَةً ، فَبُعْداً وَهَلاكاً وَتَدْميراً لقوم لا يُصَدِّقونَ اللهَ وَرُسُلَهُ .

وَفي الإخْبارِ بِهَلاكِ الأُمَمِ السّابِقَةِ تَحذيرٌ لِهذِهِ الأُمَّةِ أنْ لا تَسْلُكَ هذا السَّبيلَ ، وَأنْ تَعتَبِرَ بِمَنْ مَضىٰ ، فإنَّ ما أصابَ تِلْكَ الأُمَمَ مِنْ تَدْميرٍ وَعَذابٍ ، يُمْكِنُ أن يُصيبَ أمْثالَهُمْ .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ﴾

ثُمَّ أرْسَلْنا مِنْ بَعْدِ هؤُلاءِ الأقْوامِ المُهْلَكينَ الذينَ جَعَلْناهُمْ أحاديثَ ، موسى وَأخاهُ هارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ، وَأيَّدْناهُما بآياتِنا الدّالَّةِ عَلى قُدْرَتِنا وَجَعَلْناها لَهُما قَوِيَّةً واضِحَةً بَيِّنَةً لا غُموضَ فيها .

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

كانَ إرْسالُ موسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ إلى فِرْعَوْنَ وَوُجهاءِ قَوْمِهِ وَزُعمائِهِمْ ، فاسْتَكْبَروا

عَنِ الإيمانِ ، وامْتَنعوا عَنْ قَبولِ الدَّعوةِ ، اسْتِعلاءً وَتَرَفُّعاً وَظُلْماً لِلضُّعفاءِ واسْتِعباداً لَهُمْ ، وَكانَ مِنْ مَظاهِرِ غُرورِهِمْ وَتَكَبُّرِهِم ، ما قالوهُ ، وَحَكاهُ اللهُ تعالى عَنْهُمْ :

﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قالوا كَيْفَ نَنْقادُ لأمْرِ موسى وَأخيهِ هارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، وَهُما بَشَرٌ مِثْلُنا ، وَلَيْسا مِنَ المَلائِكَةِ ، وَقَوْمُهُما ، وَهُمْ بَنو إسْرائيلَ ، خَدَمُنا وَعَبيدُنا المُنقادونَ لأمْرِنا ، فَكَيْفَ يَنْقَلِبُ الأمْرُ ، وَنُصبِحُ مُنْقادينَ لاثْنَيْنِ مِنْ هؤلاءِ القَوْمِ .

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

أدّى شُعورُ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بالغُرورِ والتَّكَبُّرِ إلى تَكْذيبِ موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، وَأصَرُّوا عَلَى الكُفْرِ والعِنادِ ، فَأهْلَكَهُمُ اللهُ تعالى بالغَرَقِ في البَحْرِ ، وَنَجّى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمنينَ .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وَلَقَدْ أنْزَلْنا عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ التَّوراةَ بَعْدَ هَلاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَلَعَلَّ بَني إسْرائيلَ يَهْتَدونَ بِها إلى الحَقِّ ، وَيَمْتَثِلونَ ما فيها مِنَ القَواعِدِ والأحْكامِ والشَّرائِعِ والمَواعِظِ والآدابِ .

وَبَعْدَ الحَديثِ عَنْ موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، انْتَقَلَتِ الآياتُ لِلحديثِ عَنْ عيسى وَأُمِّهِ عَلَيْهِما السَّلامُ :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾

إنَّ في وِلادَةِ عيسى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِما السَّلامُ مِنْ غَيْرِ أبٍ آيَةً عَظيمَةً دالَّةً عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تعالى ، وَقَدْ أحاطَتْ رِعايَةُ اللهِ تعالى بِمَرْيَمَ وَابْنِها حَيْثُ جَعَلَ مَأواهُما في مَكانٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الأرْضِ صالِحٍ للاسْتِقْرارِ والإقامَةِ ، لِما فيهِ مِنَ الزُّروعِ والثِّمارِ ، فَاكْتَمَلَتْ بِذلِكَ نِعْمَتُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلَيْهِما .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كَثْرَةُ الرُّسُلِ عَلَى مَدارِ التّاريخِ ، فَما مِنْ أُمَّةٍ إلاّ خَلا فيها نَذيرٌ .

٢ـ تَشابُهُ حالِ الرُّسُلِ مَعَ أقْوامِهِمْ ، فَكُلٌّ يُبَلِّغُ دَعْوَةَ اللهِ ، فَيَكونُ التَّكْذيبُ والعَذابُ .

٣ـ لِهلاكِ كُلِّ أُمَّةٍ أجَلٌ مَحددٌ ، لا يَتَقَدَّمُ وَلا يَتَأَخَّرُ ، وَلا يَعْلَمُ وَقْتَهُ إلاّ اللهُ تعالى .

٤ـ مِنْ رَحمَةِ اللهِ تعالى بعبادِهِ إرْسالُ الرُّسُلِ إلَيْهِمْ دونَ انْقِطاعٍ حتّى يَهْتَدوا .

٥ـ أنْزَلَ اللهُ كُتُبَهُ عَلَى رُسُلِهِ لِهِدايَةِ العِبادِ .

٦ـ الكِبْرُ والغُرورُ مِنْ صِفاتِ الإنسانِ المَذْمومَةِ ، التي تُؤَدّي بِهِ إلى الكُفْرِ .

٧ـ مِنَ النِّعَمِ الإقامَةُ في المَكانِ الخَصْبِ ذي الثِّمارِ الطَّيِّبَةِ ، والخَيْراتِ المُتَعَدِّدَةِ ، والماءِ الجاري والأمانِ الدّائِمِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أ)ـ ما مَوْقِفُ الأقْوامِ مِنْ رُسُلِهِمْ ؟ . ب)ـ ما الجَزاءُ الذي كانَ يَنْتَظِرُهُمْ ؟ .

٢ـ ما سَبَبُ عَدَمِ إيمانِ فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ بِدَعْوَةِ موسى وَهارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ ؟ .

٣ـ ما المَقْصودُ بالكِتابِ الذي آتاهُ اللهُ تعالى لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما صِفاتُ المَكانِ الَّذي آوى اللهُ تَعالى إليهِ عيسى ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ عَلَيْهِما السَّلامُ ؟

٥ـ هاتِ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ دَليلاً عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أـ لِلأَجَلِ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ لا يَتَقَدَّمُ ولا يَتَأَخَّرُ .

ب ـ أَرْسَلَ اللهُ تَعالى رُسُلاً كَثيرينَ مُتَتابِعينَ .

ج ـ أهْلَكَ اللهُ تَعالى الأُمَمَ المكَذِّبَةِ لِلرُّسُلِ .

د ـ أَصْبَحَتِ الأُمَمُ المُهْلَكَةُ أَحاديثَ تُذْكَرُ وأَخْباراً تُروىٰ .

هـ ـ اسْتَنْكَرَ المُكَذِّبون أنْ يَكونَ الرُّسُلُ مِنَ البَشَرِ .

و ـ أنْزَلَ اللهُ تَعالى التَّوْراةَ على موسى عَلَيْهِ السَّلامُ كِتابَ هِداية .

ز ـ خَلْقُ عيسى ابنِ مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ دونَ أَبٍ آيَةٌ عظيمَةٌ .

نَشاطٌ :

١ـ أُكْتُبْ في دَفْتَرِكَ العَذابَ الذي أهْلَكَ اللهُ بِهِ كُلاًّ مِنْ قَوْمِ صالِحٍ ، وَقَوْمِ شُعَيْبٍ ، وَقَوْمِ لوطٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُعْجِزَتَيْنِ أيَّدَ اللهُ بِهِما موسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِتَكونا دَليلاً عَلى نُبُوَّتِه .

الدَّرسُ الحادي والعِشرونَ

سورَةُ المُؤمِنونَ ـ القِسمُ السّادِسُ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم : تفرَّقُوا في دينِهم .

زُبُراً : فِرَقاً وجَماعاتٍ .

غَمْرَتِهِمْ : جَهالَتِهِمْ .

مُشْفِقونَ : خائِفونَ .

يُؤْتونَ ما آتَوا : يُعطونَ ما أعْطَوا .

وَجِلَةٌ : خائفةٌ ألاّ تُقْبَلَ أَعْمالُهُمْ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِنداءٍ مُوَجَّهٍ إلى الرُّسُلِ عَلَيهِمُ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هَذا نِداءٌ إلى جَميعِ الرُّسُلِ ، خُوطِبَ به كُلُّ رسولٍ في زمَنِهِ ، أَنْ يَأكُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ التي

أحلَّها اللهُ تعالى ، وأنْ يَتقرَّبُوا إلى اللهِ تَعالى بالأعْمال الصَّالِحَةِ ، لِيكونوا القُدْوَةَ الحَسَنَةَ لأتْباعِهِمْ .
وفي تَقْديمِ الأَكْلِ مِنَ الطَّيِّباتِ عَلى العَمَلِ الصَّالحِ إشارَةٌ إلى أنَّ أكْلَ الحَلالِ يُعينُ على العَمَلِ الصَّالِحِ ، وَيكونُ سَبَباً في اسْتِجابَةِ الدُّعاءِ ، ويُوضِّحُ هذا ما وَرَدَ في الحَديثِ عَنِ الرَّسولِ ﷺ أنَّهُ قال : « أيُّها الناسُ إنَّ اللهُ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاّ طَيِّباً ، وإنَّ اللهَ أمَرَ المُؤمِنينَ بما أمَرَ بِهِ المُرْسَلينَ فقال عزَّ وجلَّ : ﴿يا أيُّها الرسُلُ كُلوا مِنَ الطَّيِّباتِ واعْمَلوا صالِحاً﴾ وقال : ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنوا كُلوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ﴾ . ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ أشْعثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ ، ياربِّ ، ياربِّ ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ ، وَغُذِّيَ بالحَرام ، فَأنَّى يُسْتَجابُ لِذلِكَ »[1] . فأكْلُ الحَرام ، والتَّغذِّي مِنْهُ مانعٌ مِنَ اسْتِجابَةِ الدُّعاءِ وَمِنْ قَبولِ العَمَلِ .

وخُتِمَ النِّداءُ المُوَجَّهُ إلى الرُّسُلِ بِتَبْيينِ أنَّهُ ـ سُبْحانهُ ـ عَليمٌ بأَعْمالِهِمْ كُلِّها ظاهِرِها وَباطِنِها ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْها ، كَما لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أعْمالِ الخَلْقِ جَميعاً .

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾

قَرَّرَ اللهُ فيما أَوْحاهُ إلى رُسُلِهِ أنَّهُم وَأَتْباعَهُمْ عَلى طَريقَتِهِمْ ؛ مُتَقَدِّمِهِمْ ومُتَأَخِّرِهِم يُشَكِّلونَ أُمَّةً واحِدَةً ، دينُهُمْ واحِدٌ ، وَهْوَ الإسْلامُ ، وَلا يَضيرُهُمْ اخْتِلافُ شَرائِعِهِم ، فَهْيَ جَميعاً مَعَ اخْتِلافِها كَميلةٌ بِتَحْقيقِ العُبوديَّةِ للواحِدِ الأَحَدِ ، وَلِذا فَأَخْلِصوا العِبادَةَ للهِ ، وَخافُوا عِقابَهُ واحْذَروا مُخالَفَةَ أَمْرِهِ . خُوطِبُوا بهذا ، وَهُمُ المَعْصومونَ ، لِما فيهِ مِنَ التَّنْبيهِ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَتْباعِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعْصَمْ ، أنَّهَمْ بِهذا الأَمْرِ أَجْدَرُ ، وَأَحَقُّ .

﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

فَتفرَّقَ أَتْباعُ الأَنْبياءِ ، فِرَقاً وَأحْزاباً ، وَأصْبَحَ كُلُّ فَريقٍ فَرِحاً بِدينِهِ ، مَسْروراً بِما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ باطِلٍ وَضَلالٍ ، ظانّاً أنَّهُ عَلى الحَقِّ ، وَأنَّ غيرَهُ عَلى الباطِلِ .

وتُصَوِّرُ الآيةُ الكريمةُ التَّنازُعَ بينَ هؤُلاءِ الجاهِلينَ بِصورةٍ حِسِّيَّةٍ ، فَهُمْ في تَفَرُّقِهِمْ واخْتِلافِهِمْ كَأنَّما قَطَّعوا الدِّينَ فيما بَيْنَهُم قطعاً مُتَعَدِّدَةً ، وَمَضى كُلٌّ مِنْهُمْ بِقِطْعَتِهِ وَهُوَ فَرِحٌ مسرورٌ بها ، مَعَ أنَّهُ لَوْ كانَ يَعْقِلُ لَما فَرِحَ بِعَمَلٍ مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَحزنَ لَهُ كُلُّ عاقِلٍ .

﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

فَدَعْ يارَسولَ اللهِ المُشْرِكينَ مِنْ قَوْمِكَ في جَهالَتِهِمْ وَضَلالِهِمْ حَتّى يَأتِيَ الوَقْتُ الَّذي حَدَّدْناهُ لِلْفَصْلِ في أَمْرِهِمْ ، بِمَوْتِهِمْ أوْ بِعَذابِهِمْ .

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتاب الزكاةِ ، باب قبولِ الصَّدَقَةِ منَ الكَسْبِ الطَّيِّبِ رقم الحديث ٢٣٤٣ .

وَفي الآيَةِ الكَريمةِ تَشْبيهُ ما هُمْ فيهِ مِنْ ضَلالٍ وَجهالَةٍ بِمَنْ غَمَرَهُمُ الماءُ وَسَتَرَهُمْ ، والتَّنْكيرُ في (حينٍ) لِتَهْويلِ الأَمْرِ وَتَعْظيمِه .

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

أَيَظُنُّ هؤُلاءِ المَغْرورونَ أَنَّ ما نُوَسِّعُ لَهُمْ به في الرِّزْقِ ، وَمانُعطيهِمْ إِيّاهُ مِنْ أَمْوالٍ وأَبْناءٍ ، لِكَرامَتِهِمْ عَلَيْنا وَلِرِضانا عَنْهُمْ ، لا ، لَيْسَ كَذلك ، إِنَّما هُوَ لاسْتِدْراجِهِمْ وامْتِحانِهِمْ ، وَلكِنَّهُمْ لا يَشْعُرونَ بذلك ، وَلا يُحِسُّونَ بِهِ لانْطِماسِ ضَمائِرِهِمْ ، واسْتيلاءِ الغُرورِ والجَهْلِ عَلَيْهِمْ .

وَفي مُقابِلِ هؤُلاءِ تَعْرِضُ الآياتُ صِفاتِ المؤْمِنينَ المُسارِعينَ في الخَيْراتِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

إِنَّ الَّذينَ يَخافونَ عَذابَ اللهِ تَعالى ، وَيَدْأَبونَ عَلى العَمَلِ بِطاعَتِهِ طَلَباً لِرِضاهُ ، هُمْ في غايَةِ الخَوْفِ مِنْ غَضَبِهِ ، وَهذا شَأْنُ المُؤْمِنينَ الصّادِقينَ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

فَهُمْ يُؤمِنونَ إيماناً راسِخاً بِجَميعِ آياتِ اللهِ الدّالَّةِ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَهْيَ آياتُ القُرْآنِ الكريمِ ، والآياتُ الكَوْنِيَّةُ المُتَعَدِّدَةُ المُتَنَوِّعَةُ .

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

فَهُمْ يُخْلِصونَ العِبادَةَ لَهُ وَحْدَهُ ، وَيَقْصِدونَ بِأَقْوالِهِمْ ، وأَعْمالِهِمْ وَجْهَهُ الكَريمَ ، فَهُمْ بَعيدونَ عَنِ الرِّياءِ والمُباهاةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

والَّذينَ يُعْطونَ ما أَعْطَوْهُ مِنَ الصَّدَقاتِ والخَيْراتِ ، وَأَنْواعِ القُرُباتِ ، والأَعْمالِ الصّالِحاتِ ، وَهُمْ خائِفونَ مُشْفِقونَ أَنْ لا تُقْبَلَ مِنْهُم .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

أُولئِكَ المَوْصوفونَ بهذِهِ الصِّفاتِ الحَسَنَةِ الجَليلَةِ يُبادِرونَ برغْبَةٍ وَسُرْعَةٍ إِلى فِعْلِ الخَيْرِ ، وَما يُرْضي اللهَ تَعالى ، وَهُمْ في هذا الأَمْرِ سابِقونَ لِغَيْرِهِمْ ، وَجَديرونَ بِهِ ، وَينالونَ أَجْرَهُمْ عَلَيْهِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الرُّسُلُ جَميعاً وَأتْباعُهم على طَريقَتِهِمْ يُشَكِّلونَ أمةً واحدَةً يَعْبُدونَ اللهَ وَحْدَه .

٢ـ مُخالَفَةُ مَنْهَجِ الرُّسُلِ بِعبادةِ غَيْرِ اللهِ ضَلالٌ وَتَقْطيعٌ لِلْبَشَرِيةِ لِلْعِلائِقِ التي تَرْبِطُها وَتَجْعَلُها أُمَّةً واحِدَةً .

٣ـ وُجوبُ تَحَرِّي الحَلالِ في المَطْعَمِ والمَشْرَبِ وَسائِرِ الأُمور .

٤ـ سِعَةُ الرِّزْقِ ، وَكَثْرَةُ المالِ لَيْسَتْ دَليلاً على مَحَبَّةِ اللهِ وَرِضاهُ ، إنَّما هِيَ اسْتِدْراجٌ وابْتِلاءٌ .

٥ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ يَخْشى عِقابَ اللهِ ، وَيَجْتَنِبُ الرِّياءَ ، ويُقَدِّمُ أَعْمالَهُ الصّالِحَةَ ، وَهُوَ مُشْفِقٌ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ وَلا تُقْبَلَ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا أمَرَ اللهُ تعالى الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ؟ وَما العَلاقةُ بَيْنَ الأكْلِ من الطَّيِّباتِ وَعَمَلِ الصَّالحاتِ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ أمْرِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ السلامُ ـ بالتَّقوىٰ ؟

٣ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى أتْباعَ الرُّسُلِ الَّذين تَفَرَّقوا واخْتَلَفُوا ؟

٤ـ بِماذا شَبَّهَ اللهُ المُشْرِكينَ في الآية (الرَّابِعَةِ والخَمْسينَ) ؟

٥ـ عَدِّدْ صِفاتِ المُؤْمنينَ المَذْكورَةَ في هذهِ الآياتِ .

٦ـ ما وَجْهُ وَصْفِ المُؤْمِنينَ بِالخَوْفِ مَعَ تَقْديمِ العَمَلِ الصّالِح ؟

٧ـ مَنْ جَدَّ وَجَدَ ، ما الآيَةُ ، في الدَّرْسِ ، التي تَدُلُّ عَلى هذا المَعْنى ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةَ أَشْياءَ حَرَّمَها اللهُ تَعالى مِنَ الطَّعام ، وَثَلاثَةً مِنَ الشَّراب .

٢ـ اقْرَأ الآيةَ المُشابِهَةَ لِلآيَةِ (٥٢) في سورةِ الأنْبِياءِ ، واسْتَخْرِجْ ما بينَ الآيَتَيْنِ مِنَ اخْتِلافٍ في الألْفاظِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّانِي والعِشْرُونَ

سورةُ « المُؤمِنونَ » ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وُسْعَها : قَدْرَ طاقَتِها .

غَمْرَةٍ : جَهالَةٍ .

مُتْرَفينَ : مُنَعَّمينَ .

يَجْأَرونَ : يَصْرَخونَ مُسْتَغيثينَ .

تَنْكِصونَ : تَرْجِعونَ مُسْتَغيثينَ .

مُسْتَكْبِرينَ بِهِ : مُفْتَخِرينَ بِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ .

سامِراً : تَسْمُرونَ باللَّيْلِ حَوْلَ الكَعْبَةِ .

تَهْجُرونَ : تَطْعَنونَ في القُرْآنِ ، وتُعْرِضونَ عنهُ .

جِنَّةٌ : جُنونٌ .

خَرْجاً : أَجْراً .



التَّفسيرُ :

تُبيِّنُ هذه الآياتُ الكَريمةُ بَعْضاً مِنْ أعْمالِ الكُفّارِ وَتَصَرُّفاتِهِمْ ، وَتَبْدأُ بِتَبْيينِ عَدْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ . قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

يُخْبِرُ اللهُ تَعالى أَنَّهُ لا يُكَلِّفُ أَحَداً مِنَ العِبادِ ما لا يُطيقُ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَرَحْمَةً ، فَجَميعُ التَّكاليفِ الشَّرْعيَّةِ ضِمْنَ طاقةِ الإنسانِ ، وَأنَّ لديْهِ ـ سُبْحانَهُ ـ صَحائفَ أعْمالِ العِبادِ التي سَجَّلَها الكِرامُ الكاتِبونَ ، وَفيها جَميعُ أَقْوالِ الإنْسانِ وَأَفْعالِهِ دونَ زِيادةٍ أَوْ نُقْصانٍ ، فَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلى الحَقِّ والصِّدْقِ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَظْلِمُ أَحَداً بِنَقْصِ ثَوابٍ أَوْ بِزِيادَةِ عَذابٍ .

ثُمَّ عادَتِ الآياتُ للحَديثِ عَنْ أحْوالِ الكُفَّارِ بَعْدَ بَيانِ أحْوالِ المُؤْمِنينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

بَلْ قُلوبُ الكَفَرةِ في جَهالةٍ وَغَفْلَةٍ عَن هذا القُرآنِ ، وَلَهُمْ أَعْمالٌ كَثيرَةٌ غَيْرُ الكُفْرِ والإشْراكِ هُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَيْها ، لا يَكفُونَ عَنْها ، وَلا يَنْقَطِعونَ ، فَهُمْ قَدْ جَمَعوا بَيْنَ الكُفْرِ وَسوءِ العَمَلِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

حَتَّى إذا عاقَبْنا المُتَنَعِّمينَ المُتْرَفينَ بالعَذابِ الَّذي يُخْزيهِمْ ويُذِلُّهُم صَرَخوا وَضَجُّوا واسْتَغاثوا صائِحينَ . وَتَخْصيصُ المُتْرَفينَ بالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ العَذابَ يَعُمُّ جَميعَ الكافِرينَ للإشارَةِ إلى أَنَّ ما كانوا فيهِ مِنَ التَّنَعُّمِ والتَّمَتُّعِ لَمْ يَنْفَعْهُمْ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ .

﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

رَدٌّ عَلَيْهِم وَتَأْنيبٌ وَزَجْرٌ لَهُمْ عَلى صُراخِهِمْ واسْتِغاثَتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَنْ يُفيدَهُمْ شَيْئاً ، وَلَنْ يُنْجِيَهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ الَّذي نَزَلَ بِهِمْ ، وَلَنْ يَجِدوا مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ هذا العَذابَ .

ثُمَّ انْتَقَلَتِ الآياتُ لِبيانِ سَبَبِ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ ، فَقال تَعالى :

﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

كانوا عِنْدما تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُ اللهِ تَعالى الدَّالَّةُ عَلى وَحْدانِيَّتِهِ يُعرِضونَ عَنْ سَماعِها أَشَدَّ الإعْراضِ وَيَسْتَهْزِئونَ بِها .

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

والحالُ أَنَّهُمْ مُسْتَكْبِرونَ عَلى المُسْلمينَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ المَسْجِدِ الحَرامِ ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ المَسْجِدِ الحَرامِ أَعْظَمَ الحُقوقِ عِنْدَ النَّاسِ ، وَأَعْلى المَنازِلِ عِنْدَ اللهِ ، وَكانوا يَجْلِسونَ لَيْلاً حَوْلَ البَيْتِ الحَرامِ يَتَحَدَّثونَ وَيَتَسَلَّوْنَ وَيَطْعَنونَ في القُرْآنِ والرَّسولِ ﷺ وَما جاءَ بِهِ . وَإِنَّما جازَ عَوْدُ الضَّميرِ (بِهِ) عَلى المَسْجِدِ الحَرامِ وإِنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْرٌ لِشُهْرَتِهِ .

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

الهَمْزَةُ لِلإِنْكارِ ، أَيْ أَفعَلوا ما فَعَلوا مِنَ الإِعْراضِ والنُّكوصِ والاسْتِكْبارِ ، فَلَمْ يَتَدَبَّروا القرآنَ المُعْجِزَ وَلَمْ يَتَفَكَّروا فيما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ تَوْجيهاتٍ حَكيمَةٍ ؟ إِنَّهُمْ لَوْ تَدَبَّروهُ لَوَجَدوا فيهِ ما يُسْعِدُهُمْ وَيَهديهِمْ ، فَهذا حَضٌّ عَلى تَدَبُّرِ القُرآنِ والإِقْبالِ عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ هذا التَّوْبيخِ لَهُمْ عَلى عَدَمِ تَدَبُّرِ القُرآنِ ، تَبِعَهُ تَوْبيخٌ آخَرُ بِطَريقَةِ السُّؤالِ : أَكَذَّبوا رَسولَهُمْ لأَنَّهُ جاءَهُم بِما لَمْ يَأْتِ بِهِ الرُّسُلُ لآبائِهِمْ ؟ كَلاَّ فَإِنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ رَسولُهُم ﷺ يُطابِقُ في أُصولِهِ ما جاءَ بِهِ الرُّسُلُ السَّابِقونَ كَإِبْراهيمَ وإِسماعيلَ عَلَيْهِما السَّلامُ . فَلِماذا يُكَذِّبُونَهُ وَلا يَتَّبِعونَهُ ؟

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

هذا تَوْبيخٌ ثالِثٌ لَهُمْ ، يَقولُ لَهُمْ : أَيَكونُ سَبَبُ كُفْرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفوا رَسولَهُمْ مُحَمّداً ﷺ ؟ كَلاَّ ، فَقَدْ عَرَفوا صِدْقَهُ وَأَمانَتَهُ وَكَريمَ خُلُقِهِ ، وَلكِنَّهُمْ حَسَدُوهُ فَأَنْكَروا رِسالَتَهُ ، بَلْ واتَّهَموهُ بِما لَيْسَ فيهِ .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

وَهذا تَوبيخٌ رابعٌ يَقول لَهُمْ : أَيَكونُ سَبَبُ كُفْرِهِمْ وإِصْرارِهِم الجُنونُ الّذي يَنْسِبونَهُ إِلى رَسولِهِمْ ؟ كَلاَّ : فَهُمْ يَعْلَمونَ حَقَّ العِلْمِ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ هُوَ أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَرْجَحُهُمْ رَأْياً . وَقَدْ جاءَهم بِالحَقِّ الثَّابِتِ ، وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ كارِهونَ لِلحَقِّ ؛ لِأَنَّهُ يَتَعارَضُ مَعَ شَهَواتِهِمْ وَرَغَباتِهِمْ . وَقِلَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ يُؤْمِنوا خَوْفاً مِنَ اللَّوْمِ والتَّعْييرِ لا كَراهَةً لِلحَقِّ .

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

وَلَوْ أَجابَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ المُشْرِكينَ إِلى ما يَهْوونَهُ وَيَشْتَهونَهُ مِنْ باطِلٍ ، لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأَرضُ وَمَنْ فيهِنَّ ؛ لأَنَّ أَهْواءَهُمُ الفاسِدَةَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَقومَ عَلَيْها نِظامُ هذا الكَوْنِ البَديعِ القائِمِ

عَلى الحَقِّ والعَدْلِ ، وَمِنْ أَهْوائِهِمُ الفاسِدَةِ : إِعْراضُهُمْ عَنِ القُرآنِ الكَريمِ ، وَنفورُهُمْ مِنْهُ ، وَهُوَ الكِتابُ الّذي فيهِ مَجْدُهُمْ وَشَرَفُهُمْ لَوِ اتَّبَعوهُ .

﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

هَلْ تَسْأَلُهُمْ ، أَيُّها الرَّسولُ ، عَلى أَداءِ رِسالَتِكَ أَجْراً ، وَتَطْلُبُ مِنْهُمْ مالاً ، وَلِذلكَ لَمْ يُؤمِنوا بِكَ ؟ إِنَّكَ لا تَسْأَلُهُمْ عَلى دَعْوَتِهِمْ لِلإِسْلامِ شَيْئاً ، فَإِنَّ رِزْقَ اللهِ وَثوابَهُ خَيْرٌ وَأَعظمُ ، فَرِزْقُهُ دائِمٌ وَغَيْرُ مَحْدودٍ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَفْضَلُ مَنْ أَعْطى وَرَزَقَ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إِلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنها :

١ـ لا يُكَلِّفُ اللهُ العِبادَ فَوْقَ ما يُطيقونَ .

٢ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تَعالى لِكُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، وَمِنْها أَعْمالُ العِبادِ فَهْيَ مُدَوَّنَةٌ وَمَحْفوظَةٌ .

٣ـ كَراهَةُ التَّنَعُّمِ الزّائِدِ والتَّرَفُّهِ في أُمورِ الدُّنْيا .

٤ـ كَراهَةُ قَضاءِ وَقْتِ اللَّيلِ بِحَديثِ اللَّهوِ والتَّسْلِيَةِ والفُحْشِ مِنَ القَوْلِ ، بَدَلَ الانْتِفاعِ مِنَ الوَقْتِ وَقَضائِهِ في طاعَةِ اللهِ .

٥ـ خَطَرُ اتِّباعِ الهَوى وَأَنَّهُ يُفْضي إِلى الهَلاكِ والخُسْرانِ .

٦ـ عَلى الدّاعي أَنْ يَتَرَفَّعَ عَمّا في أَيْدي النّاسِ ، وَيَزْهَدَ فيهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿وَلَدَيْنا كِتابٌ يَنطِقُ بِالحَقِّ وَهُم لا يُظْلَمونَ﴾ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِالأَعْمالِ المَذْكورةِ في قَوْلِهِ تَعالى : ﴿وَلَهُمْ أَعمالٌ مِنْ دونِ ذلكَ هُمْ لها عامِلونَ﴾ ؟

٣ـ لِماذا يَجْأَرُ المُتْرَفونَ حينَ يَأْخُذُهُمُ العَذابُ ؟

٤ـ عَدِّدْ أَسْبابَ نُزولِ العَذابِ بِالمُشْرِكينَ كَما بَيَّنَتْها الآياتُ الكَريمةُ .

٥ـ عَلى ماذا تَعودُ الهاءُ في قَولِهِ تَعالَى : ﴿مُسْتَكْبِرينَ بِهِ﴾ ؟

٦ـ اسْتَدِلَّ مِنَ الآياتِ الكريمةِ المَذْكورةِ في الدَّرْسِ عَلى كُلٍّ مِمّا يَلي :

أـ رَحْمَةُ اللهِ تَعالى بِعِبادِهِ تَقْتَضي أَنْ لا يُكَلِّفَهُم فَوْقَ طاقَتِهِمْ .

ب ـ الاسْتِغاثَةُ مِنَ العَذابِ لا تَنْفَعُ المُسْتَغيثَ ، وَلا تَرُدُّ العَذابَ عَنْهُ .

ج ـ كانَ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَكَبَّرونَ عَلى غَيْرِهِمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ أَهْلَ المَسْجِدِ الحرامِ .

د ـ زَعَمَ المُشْرِكونَ أَنَّ رَسولَهُمُ المُرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَجْنونٌ .

هـ ـ قامَتِ السَّماواتُ والأَرضُ عَلى العَدْلِ والحَقِّ لا عَلى الهَوى والباطِلِ .

و ـ الرَّسولُ عَلَيْهِ السَّلامُ لا يَطْلُبُ مِنَ المُشْرِكينَ أَجْراً عَلى دَعْوَتِهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يَدُلُّ عَلى يُسْرِ الدِّينِ .

٢ـ اكْتُبْ في دفْتَرِكَ خَمْسَةً مِنَ الأَعْمالِ السَّيِّئَةِ الَّتي كانَ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ يُمارِسونَها قَبْلَ الإِسْلامِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالث والعِشْرونَ

سورَةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَناكِبونَ : مُنْحَرِفونَ .

لَلَجُّوا : لَتمادَوْا .

يَعْمَهونَ : يَتَرَدَّدونَ .

اسْتَكانوا : خَضَعُوا .

يَتَضَرَّعونَ : يَتَذَلَّلونَ .

مُبْلِسونَ : آيِسونَ .

ذَرَأَكُمْ : خَلَقَكُمْ .

أَساطيرُ الأَوَّلينَ : أَكاذيبُهُمُ المُسَطَّرَةُ في كُتُبِهِمْ .

التفسيرُ :

تَبْدأُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ بِبيانِ ما يَدعو إلَيْهِ الرّسولِ ﷺ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وَإنَّكَ أيُّها الرّسولُ لَتدعو هؤلاءِ المُشْركينَ مِنْ قَوْمِكَ إلى الصّراطِ المُسْتَقيمِ ، وَهُوَ دينِ الإسْلامِ ، الّذي يَهْدي إلى سَواءِ السّبيلِ ، المُوصِلِ إلى جَنّاتِ النّعيمِ .

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

وَإنَّ الّذينَ لا يُصَدِّقونَ بالبَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ والثّوابِ والعقابِ ، لَمائِلونَ عَنْ هذا الصّراطِ المُسْتقيمِ ، مُنْحَرِفونَ عَنْهُ ، فَلا يُؤْمِنُ بالاسْلامِ وَيَسْتَقيمُ عَلَيْهِ إلاّ مَنْ آمَنَ بالبَعْثِ والنُّشورِ .

﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عبّاسٍ ـ رَضيَ اللهُ عَنْهُما ـ أنَّ اللهَ تعالى أخَذَ قُرَيْشاً بالقَحْطِ والجوعِ حَتّى أكَلوا الكلابَ والمَيْتَةَ والدَّمَ ، فقالَ أبو سُفْيانَ : أنْشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ ، ألَيْسَ تَزْعُمُ أنَّ اللهَ بَعَثَكَ رَحْمَةً لِلعالَمينَ ؟ فَواللهِ ما رَأيْكَ إلا قَتَلْتَ الآباءَ بالسَّيْفِ ، وَقَتَلْتَ الأبْناءَ بالجوعِ ، فَنَزَلَتْ هذهِ الآيةُ[1] .

أيْ لَوْ رَحِمْنا هؤلاءِ المُشْركينَ الّذينَ كَذّبوكَ ، وَرَفَعْنا عَنْهُمْ ما أصابَهُمْ مِنْ قَحْطٍ وَجوعٍ ، وَرَفَعْنا عَنْهُمُ البَلاءَ لاسْتَمَرُّوا وَتَمادَوْا في ضَلالِهِمْ ، وَتَجاوَزوا الحُدودَ في كُفْرِهِمْ ، وَفي تَحَيُّرِهِمْ وَتَرَدُّدِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الحَقِّ .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وَلَقَدِ ابْتَلَيْناهُمْ بالمَصائبِ والشّدائِدِ والجوعِ والقَحْطِ لَعَلَّهُمْ يَعودونَ إلى رُشْدِهِمْ ، وَيُدْركونَ قُدْرَتَنا عَلَيْهِمْ ، إلاّ أنَّهُمْ لَمْ يُذْعِنوا لِلْحَقِّ ، ولم يَخْضَعوا لِرَبِّهِمْ ، وَلَمْ يَتَذَلَّلوا لَهُ لِكَيْ يَكْشِفَ ما بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

أيْ أنَّهُمْ مُسْتَمِرُّونَ في جُحودِهِمْ وَعِنادِهِمْ ، حَتّى إذا جاءَتْهُمْ أهْوالُ الآخِرَةِ ، وَما فيها مِنْ عَذابٍ شَديدٍ لَهُمْ ، فَإنَّهُمْ حينَئِذٍ يَيْأسونَ مِنَ الخَلاصِ والنَّجاةِ ، وَيَتَحَيَّرونَ ، لا يَدْرونَ ماذا يَفْعلونَ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

انْتَقَلَتِ الآياتُ الكَريمةُ إلى التَّذْكيرِ بِبَعْضِ نِعَمِ اللهِ تَعالى ، الّتي لَوْ أعْمَلَ المُشْرِكونَ عُقولَهُمْ ،

---

(١) رواهُ الطَّبَريُّ ١٨/ ٤٥ ، وفي البخاريّ عَنِ ابنِ مسعود روايةٌ قريبةٌ مِنْها في كتاب التَّفْسيرِ ، رقم الحديث ٤٤٥٠ .

وتدبّروا فيها لاهْتَدَوْا ، وَمِنْ هذهِ النِّعَم ، أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ خَلَقَ للإنسانِ حواسَّ السَّمْعِ والإبْصارِ والإدْراكِ ، إلاّ أنَّ الإنْسانَ قليلُ الشُّكْرِ للهِ ، وَأكثرُ النَّاسِ كافِرونَ بنِعمِ اللهِ تعالى لا يُؤدُّون حَقّها مِن الشُّكْرِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى عَلَيْكُمْ ، أيُّها البَشَرُ ، أنَّهُ خلقَكُمْ في هذهِ الأرْضِ ، وبَثَّكُمْ في أرْجائِها ، تَعْمُرونَها ، وتَكْتَسِبونَ فيها ، وَسَخَّرَها لَكُمْ ، ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ ويحْشُرُكُمْ إليهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لِلْحِسابِ والجَزاءِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ الذي لَهُ الإحياءُ والإماتَةُ ، وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ اللّيْلَ والنَّهارَ ، وَجَعَلَهُما مُخْتَلِفَيْنِ ؛ أَحَدُهُما مُضيءٌ والآخرُ مُظْلِمٌ ، وَمُتَعاقِبَيْنِ يَتْبَعُ أحَدُهُما الآخَرَ ، وَمُتداخِلَيْنِ إذا طالَ أحَدُهُما قَصُرَ الآخَرُ ، أفلا تُدْرِكونَ بِعُقولِكُمْ ، أيُّها البَشَرُ ، أنَّ مَنْ لَهُ هذهِ القُدْرَةُ المُطْلَقَةُ قادِرٌ عَلى البَعْثِ ، وَأنَّهُ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ والطّاعَةِ .

﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

إنَّ المُشْرِكينَ لَمْ يُعْمِلوا عُقولَهُمْ وَلَمْ يَتَفَكَّروا في الآياتِ ، بَلْ قالوا كَلاماً مِثْلَ الَّذي قالَهُ المُشْرِكونَ السّابقونَ لَهُمْ مِنَ الأُمَمِ المُهْلَكَةِ .

﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قالوا مُسْتَبْعِدينَ البَعْثَ أإذا بَلينا ، وَصِرْنا ذَراتٍ ناعِمَةً ، وَعِظاماً نَخِرَةً ، أئِنّا لَمخْلوقونَ ثانِيَةً ، هذا شيْءٌ لا يَكونُ أبَداً .

ثُمَّ أضافوا إلى اسْتبعادِهِمُ البَعْثَ قَوْلَهُم :

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤنا بالحياةِ بَعْدَ المَوْتِ ، وهَذا الوَعْدُ أُسْطورَةٌ لَيْسَ لَها حَقيقَةٌ ، والواعِدُ لَهُمْ بِذلكَ هُوَ الرَّسولُ ﷺ .

وَهذا القَوْلُ مِنَ المُشْرِكينَ غَباءٌ وَجَهْلٌ ، وَتَوَهُّمٌ أنَّ البَعْثَ سَيَكونُ في الدُّنيا لا في الآخِرَةِ ، وَلِذا فَقَدْ أضافوا إلى كُفْرِهِمْ ، الجَهْلَ والغُرورَ ، وَسوءَ الأَدَبِ ، والقولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الإسْلامُ دينُ الحَقِّ الموصِلِ إلى رِضا اللهِ وَجَنّاتِ النَّعيمِ .

٢ـ العِنادُ ، والمُكابَرَةُ ، ورَفْضُ الحَقِّ ، والإِصْرارُ عَلى الباطِلِ ، مِنْ صِفاتِ الكافِرينَ .

٣ـ وُجوبُ شُكْرِ اللهِ تَعالى عَلى نِعَمِهِ ، ومِنْها : السَّمْعُ والبَصَرُ والفؤادُ .

٤ـ كَثْرَةُ الأَدِلَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ ، ومِنْها : الإِحْياءُ والإِماتَةُ ، واخْتِلافُ اللَّيْلِ والنَّهارِ .

٥ـ الإِيمانُ بِالغَيْبِ ثَقيلٌ عَلى نُفوسِ البَشَرِ ، ولِذا يُنْكِرُ كَثيرٌ مِنْهُمُ الغَيْبَ ، ولا يُؤْمِنونَ إِلاّ بِما يَرَوْنَهُ أَوْ يُحِسّونَ بِهِ .

٦ـ المُسارَعَةُ إِلى إِلْقاءِ التُّهْمَةِ عَلى الآخَرينَ فيما لا يَسْتَوْعِبُهُ الإِنْسانُ عَمَلٌ قَبيحٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنْ دَعوةِ الرَسولِ ﷺ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ كَما بَيَّنَتْهُ الآيَةُ ؟

٢ـ لَمْ يُؤَثِّرْ حُصولُ العَذابِ في المُشْرِكينَ ، على ماذا يَدُلُّ ذلِكَ ؟

٣ـ عَدِّدِ النِّعَمَ التي ذَكَرَتْها هذهِ الآياتُ .

٤ـ رَدَّدَ المُشْرِكونَ مَقالَةَ الأَوَّلينَ ، ما هي هذهِ المَقالةُ ؟ وَما دلالَةُ تَرْدادِها ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى الأَلْفاظِ التّاليةِ :

- ناكِبونَ .
- يَعْمَهونَ .
- يَتَضَرَّعونَ .
- مُبْلِسونَ .
- استكانوا .
- أَساطيرُ الأَوَّلين .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَتَينِ الكَريمَتَيْنِ مِنْ سورةِ (المُلْكِ) اللَّتَيْنِ تُشْبِهانِ الآيَتَيْنِ (٧٨ـ٧٩) .

الدَّرْسُ الرَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ المؤمنونَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُجيرُ : يُغيثُ .

لا يُجارُ عَلَيْهِ : لا يُغاثُ أَحَدٌ مِنْهُ .

فأَنَّى : فَكَيْفَ .

تُسْحَرونَ : تُصْرَفونَ وَتُخْدعونَ عَنْ عِبادَةِ اللهِ .

الغَيْبِ والشَّهادَةِ : السِّرِّ والعَلانِيَةِ .

التفسيرُ :

تَبْدأُ هذهِ الآياتُ بإقامَةِ الحُجَّةِ عَلى المُشْركينَ في إنْكارِهِمُ البَعْثَ ، وَإثْباتِ وَحْدانِيَّةِ اللهِ مِنْ خِلالِ ثَلاثَةِ أَسْئِلَةٍ ، في كُلِّ سُؤالٍ مِنْها قَضِيَّةٌ أَساسِيَّةٌ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

قُلْ أَيُّها الرَّسولُ لِلْمُشْرِكينَ : لِمَنْ هذهِ الأَرْضُ التي تَعيشونَ عَلَيْها وَتَتَنَعَّمونَ بِخَيْراتِها ؟ وَلِمَنِ

المَخْلوقاتُ التي تَعيشُ عَلَيْها ، إنْ كُنْتُمْ مِنْ أهْلِ الفَهْمِ والعِلْمِ فَأخْبِروني ؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

سَيَعتَرِفونَ أنَّها للهِ خَلْقاً وَتَدبيراً ، قُلْ لَهُمْ حينَذاكَ : أفلا تَعْتَبِرونَ ، وَتَتَدبَّرونَ فَتَعلَموا أنَّ مَنْ قَدِرَ عَلى خَلْقِ الأرْضِ وَمَنْ عَلَيْها قادِرٌ عَلى إعادَتِهِ وَإحْيائِهِ بَعْدَ مَوتِهِ .

﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

هذا السُّؤالُ الثَّاني لَهُمْ : مَنْ خالِقُ السّماواتِ السَّبْعِ بِما فيها مِنْ شُموسٍ وَكَواكِبَ وَأقْمارٍ وَمَلائِكةٍ ؟ وَمَنْ هُوَ خالِقُ العَرْشِ العَظيمِ الذي أحاطَ بالكَوْنِ كُلِّهِ ، وَهُوَ أعْلى المَخْلوقاتِ وَأعْظَمُها .

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

سَيُقِرّونَ بِأنَّ ذلكَ كُلَّهُ للهِ ، فَقُلْ لَهُمْ مُنْكِراً عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ وَمُوَبِّخاً : أتَعْلَمونَ ذلِكَ ، وَلاَ تَخافونَ عَذابَ رَبِّكُمْ بِسَبَبِ عِبادَتِكُمْ غَيْرَهُ مَعَ عِلْمِكُمْ بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ ؟

﴿ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قُلْ لَهُمْ سُؤالاً ثالثاً : مَنْ بِيَدِهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ وَتَدْبيرُهُ في هذا الكَونِ العَظيمِ ، وَهُوَ الذي يُغيثُ ، وَيَحْفَظُ مَنْ يَشاءُ مِنْ خَلْقِهِ فلا يَنالُهُ أحَدٌ بِمَكْروهٍ ، وَهُوَ الذي لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أنْ يَمْنَعَ عِقابَهُ عَنْ أحَدٍ ، وَلا يَمْلِكُ أحَدٌ أنْ يُغيثَ مِنْهُ أحَداً ، إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ فَأَخْبِروني عَنْ ذلكَ ؟

﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

سَيَقولونَ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ للهِ ، والقُدْرَةُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ للهِ ، فَقُلْ لَهُم رَدّاً عَلَيْهِمْ : ما دُمْتُمْ قَدِ اعْتَرَفْتُمْ بِأنَّ كُلَّ شيْءٍ تَحْتَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وَسَيْطَرَتِهِ ، فَكَيْفَ تُخْدَعونَ وَتُصْرفونَ عَنِ الحَقِّ مَعَ عِلْمِكُمْ بِهِ ؟ وَكَيْفَ تَنْحازونَ إلى الباطِلِ والضَّلالِ ؟ وَكَيْفَ تُنْكِرونَ البَعْثَ وَقَدْ عَلِمْتُمْ قُدْرَةَ اللهِ وَعَظَمَتَهُ ؟

﴿ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

لَيْسَ الأمْرُ كما يَتَوَهَّمونَ وَيُخَيَّلُ إلَيْهِمْ ، مِنْ أنَّ ما جاءَهُمْ بِهِ الرَّسولُ أَساطيرُ الأوّلينَ ، بَلْ أتَيْناهُمْ بِالحَقِّ المُبينِ ، والأدِلَّةِ السّاطِعَةِ القاطِعَةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ ، وَإنَّهُمْ لَكاذِبونَ فيما يَقولونَ وَيَدَّعونَ ، مِنَ الشِّرْكِ وَإنْكارِ البَعْثِ .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

نَزَّهَ اللهُ تعالى نَفْسَهُ عَنْ أنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ مُطْلَقاً ؛ لا مِنَ المَلائكَةِ ، وَلا مِنَ البَشَرِ ، أَوْ أَنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ في المُلْكِ والتَّصَرُّفِ ، وَلَوْ كانَ الأَمْرُ كَما يَزْعُمُ المُشْرِكونَ لاسْتَقَلَّ كُلُّ إلهٍ بِما خَلَقَ ، وانْفَرَدَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ ، وَلَحَدَثَ بَيْنَهُمْ الخِلافُ والتَّنازُعُ ، وَلَغَلَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وَلاخْتَلَّ نِظامُ الكَوْنِ ، وَلَفَسَدَتِ الأَرْضُ والسَّماواتُ لانْشِغالِ الآلِهَةِ عَنْ حِفْظِها وَرِعايَتِها بالتَّنازُعِ وَإِرادةِ الغَلَبَةِ والقَهْرِ ، تَنَزَّهَ اللهُ الحَقُّ الواحِدُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الظَّالِمونَ المُشْرِكونَ الجاهِلونَ ، مِنِ ادِّعاءِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ الواحِدُ الأَحَدُ .

﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

هُوَ العَليمُ بِما يَغيبُ عَنْ عُقولِ النَّاسِ وَمَدارِكِهِمْ ، وَهُوَ العَليمُ بِما يُشاهِدونَهُ بِأَبْصارِهِمْ وَحَواسِّهِمْ ، فَتَنَزَّهَ اللهُ تَعالى ، وَتَقَدَّسَ عَنِ الشَّريكِ والوَلَدِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ أَهْلُ الجاهِلِيَّةِ مِنَ العَرَبِ كانوا يُقِرُّونَ بِتَوْحيدِ الرُّبوبيَّةِ وَأَنَّ اللهَ وَحْدَهُ الخالِقُ الرَّازِقُ المالِكُ .

٢ـ تَوْحيدِ الرُّبوبِيَّةِ يُلْزِمُ بِتَوْحيدِ الأُلوهِيَّةِ ، فالخالِقُ الرّازِقُ هُوَ المَسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ وَلِذلِكَ أَلْزَمَهُمُ اللهُ بِما أَقَرُّوا بِهِ

٣ـ العَرَبُ يَعْلَمونَ أَنَّ للهِ عَرْشاً ، وَيُقِرّونَ بِأَنَ اللهَ مالِكُهُ ، وَأَنَّهُ عَظيمٌ .

٤ـ اسْتِخْدامُ أُسْلوبِ السُّؤالِ للخَصْمِ لإِلْزامِهِ الحُجَّةَ مِنْ خِلالِ إجابَتِهِ .

٥ـ جَوازُ تَوْبيخِ المُتغافِلِ والمُتَجاهِلِ عَنِ الحَقِّ بِما يَرْدَعُهُ وَيَزْجُرُهُ .

٦ـ تَنْزيهُ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ ، فَهُوَ واحِدٌ أَحَدٌ لا شَريكَ لَهُ .

٧ـ اسْتِقرارُ نِظامِ الكَوْنِ دَليلٌ عَلى أَنَّ لَهُ إِلهاً واحِداً ، فَلَوْ كانَ فيهِ أَكْثَرُ مِنْ إِلهٍ لَفَسَدَ الكَوْنُ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَسْئِلَةُ التي وَجَّهَها اللهُ تَعالى لِلمُشْركينَ في هذهِ الآياتِ ؟

٢ـ ما النّتيجَةُ التي تُؤدي إِلَيْها هذهِ الأَسْئلةُ وَإجاباتُها ؟

٣ـ ما الأدِلّةُ التي ذُكِرَتْ في هذهِ الآياتِ عَلى عَدَمِ جَوازِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ ؟

٤ـ رَتِّبِ الآياتِ الكَريمةِ التّاليةَ حَسَبَ وُرودِها في تَرتيبِ السُّورَةِ :

﴿قلْ فَأَنّى تُسْحَرونَ﴾ ﴿قلْ أفلا تعْقِلونَ﴾ ﴿قلْ أَفلا تذَكَّرونَ﴾ وَبَيِّنْ أيَّ هذهِ العِباراتِ أشَدُّ عَلى المُشْرِكينَ وَأَكْثَرُ تَوبيخاً لَهُمْ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعْنى ما يَلي :

ـ وَهُوَ يُجيرُ وَلا يُجارُ عَليهِ .

ـ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرونَ .

ـ وَلَعَلا بَعْضُهُم عَلى بَعْضٍ .

ـ عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ يَعْتَرِفُ المُشْرِكونَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ ، فَلِماذا يُعَدُّونَ مُشْركينَ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ في الآيةِ (٩١) دَليلٌ عَلى وَحدانيّةِ اللهِ ، وَضِّحْ ذلكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **إما تُرِيَنِّي** : إن تُطْلِعْني وَتُشْهِدْني .
- **ما يوعَدونَ** : العَذابَ .
- **هَمَزاتِ الشَّياطِين** : وَساوِسِهِمْ .
- **بَرْزَخٌ** : حاجِزٌ .
- **تَلْفَحُ** : تُحْرِقُ .
- **كالِحونَ** : عابِسونَ وَقَدْ تَقَلَّصَتْ شِفاهُهُم عَنْ أَسْنانِهِمْ بِسَبَبِ الاحْتِراقِ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِعَدَدٍ مِنَ التَّوْجيهاتِ الإلهيَّةِ . قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قُلْ ، أيّها الرَّسولُ الكريمُ ، يا رَبِّ إنْ تُطْلِعْني وَتُريني العَذابَ الذي تَوَعَّدْتَ بِهِ هؤلاءِ المُشْرِكينَ .

﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

فأسْأَلُكَ يا رَبِّ أنْ لا تَجْعَلْني مُشارِكاً لَهُمْ فيهِ ، وَأبْعِدْني عَنْ هَؤلاءِ القَوْمِ الظَّالِمينَ حَتَّى لا يُصيبَني ما أَصابَهُمْ .

وَهذا تَوْجيهٌ مِنْهُ سُبْحانَهُ لِنَبيِّهِ ﷺ لِتَوجيهِ المُؤْمِنينَ أنْ يَلوذوا دائِماً بِحِمى اللهِ تَعالى وَأنْ يَلْجَأوا إليهِ في جَميعِ أُمورِهِمْ ، وَأن لا يَأْمَنوا مَكْرَ اللهِ .

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

وإنَّا لَقادِرونَ عَلى إطْلاعِكَ عَلى العَذابِ الذي أعْدَدْناهُ لَهُمْ ، وَلكِنْ لِحِكْمَةٍ نَعلَمُها لَمْ نُطْلِعْكَ عَلَيْهِ ، وَأَخَّرْناهُ إلى الوَقْتِ الَّذي نُريدُ .

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

هذا تَوْجيهٌ ثانٍ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يُقابِلَ إساءَةَ المُشْرِكينَ الجاهِلينَ بالإحْسانِ ، فَيَعْفُوَ عَنْ إساءَتِهِمْ ، وَيصْفَحَ عَنْهُمْ ، ويُعْرِضَ عَنْ إيذائِهِمْ ، وَيَصْبِرَ على سوءِ أَخْلاقِهِمْ ، وَيُخْبِرُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ أَعْلَمُ بِحالِهِمْ ، وبِما يَكونُ مِنْهُم ، مِنَ التَّكْذيبِ والاسْتِهزاءِ ، وَسَيُجازِيهِمْ عَلَيْهِ .

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ ﴾

هذا تَوْجيهٌ ثالِثٌ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يَسْتَعيذَ باللهِ ، وَيَعْتَصِمَ بِهِ مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ المُغْرِيَةِ بِالسُّوءِ والعِصْيانِ .

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

وَأنْ يَسْتَعيذَ باللهِ تَعالى مِنْ حُضورِ الشَّياطينِ أُمورَهُ وَأَعْمالَهُ ، وَفي هذا التَّوْجيهِ تَعْليمٌ لِلمُؤْمنينَ أَنْ يَسْتَعيذوا باللهِ مِنْ وَساوِسِ الشَّياطينِ وَحُضورِهِمْ ، وَقَدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ قُدْوَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ يُكْثِرُ مِنَ الاستعاذَةِ باللهِ في شُؤونِهِ كُلِّها .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) ﴾

يَسْتَمِرُّ الكافرُ في ضَلالِهِ وفُجورِهِ ، حَتَّى إذا عايَنَ أَسْبابَ المَوْتِ وأهوالَهُ ، وتَيَقَّنَ مِنْ حُصولِهِ ، طَلَبَ مِنْ رَبِّهِ إعادَتَهُ إلى الدُّنيا .

﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) ﴾ .

لِكَيْ أعمَلَ عَمَلاً صالِحاً فيما ضَيَّعْتُ مِنْ عُمري ، وَأُصْلِحُ ما أفْسَدْتُهُ في حياتِي ، وَأَتَدارَكُ ما فاتَني مِنْ خَيْرٍ ، ويَأْتيهِ الجوابُ بِلَفْظِ (كَلاّ) ، وَهِيَ لِلنَّفْيِ والزَّجْرِ ، فَلا رُجوعَ إلى الدُّنْيا ، وَإِنَّ طَلَبَ العَوْدَةِ إلى الدُّنْيا مُجَرّدُ كَلِمَةٍ يَقولُها المُشْرِكُ لَيْسَ لَها حَقيقَةٌ في نَفْسِهِ ، فَلَوْ رُدَّ إلى الدُّنْيا لَعادَ إلى كُفْرِهِ وَتَكْذيبِهِ ، فإذا ماتَ وَخَرَجَتْ روحُهُ فلا رَجْعَةَ إلى الدُّنيا ، لأَنَّهُ يُصْبِحُ في البَرْزَخِ ، وَهُوَ مانِعٌ مِنَ العَوْدَةِ إلى الدُّنْيا ، وَمُسْتَمِرٌّ إلى يَوْمِ البَعْثِ والنُّشورِ .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ (١٠١) ﴾

فَإذا نُفِخَ في الصُّورِ ، وَهُوَ البوقُ ، النَّفْخَةُ الثّانيةُ ، وَقامَ النَّاسُ مِنْ قُبورِهِمْ ، فَلا أَنْسابَ وَلا قَرابَةَ تَنْفَعُهُمْ في ذلكَ اليَوْمِ ، وَلا يَتَفاخَرُ أَحَدٌ بِحَسَبِهِ وَجاهِهِ ، وَلا يَسْأَلُ أَحَدٌ مِنْهُم غَيْرَهُ عَنْ حالِهِ لِشِدَّةِ الهَوْلِ واستيلاءِ الفَزَعِ عَلى النُّفوسِ ، ثُمَّ يُحاسَبُ كُلَّ امرِىءٍ عَلى عَمَلِهِ . والنَّاسُ في ذلكَ اليومِ فريقانِ ، الفريقُ الأوَّلُ :

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠٢) ﴾

فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَناتُهُ عَلى سَيِّئاتِهِ فَهُمُ السُّعَداءُ الَّذينَ فازوا وَنَجَوْا مِنَ العَذابِ ، وَأَفْلَحوا بِنَعيمِ اللهِ تَعالى . والفَريقُ الثَّاني :

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (١٠٣) ﴾ .

وَمَنْ زادَتْ سَيِّئاتُهُ عَلى حَسَناتِهِ فَهُمُ الأشْقِياءُ الَّذينَ خَسِروا السَّعادَةَ الأَبَدِيَّةَ بِتَضْييعِ أَنْفُسِهِمْ وَتَدْنيسِها بالكُفْرِ ، وَهُمْ مُقيمونَ في جَهَنَّمَ إقامَةً دائِمَةً لا يَخْرُجونَ مِنْها أَبَداً .

﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ (١٠٤) ﴾

هَؤلاءِ الَّذينَ خَفَّتْ مَوازينُهُمْ يُعَذَّبونَ في نارِ جَهَنَّمَ تَحْرِقُ وُجوهَهُمْ إحْراقاً شَديداً ، وَتَتَقَلَّصُ شِفاهُهُمْ عَنْ أَسْنانِهِمْ مِنْ أَثَرِ الاحْتِراقِ واللَّفْحِ ، وَهُمْ عابِسونَ مِنْ شِدَّةِ ما يُقاسونَ وَهَوْلِ ما يُعانونَ .

وَتَخصيصُ الوُجوهِ بالذِّكْرِ في الآيَةِ لأَنَّها أَشْرَفُ الأَعْضاءِ .

دُروسٌ وعِبرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبرٍ كثيرة ، منها :

١ـ تَخوُّفُ المُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يُصيبَهُ العَذابُ الذي يَحِلُّ بِالكافِرينَ ، وَدُعاءَهُ رَبَّهُ أَنْ يُنْجيهِ مِنَ العَذابِ الَّذي يَحِلُّ بِهِمْ .

٢ـ علَى المُسْلِمِ أَنْ يُواجِهَ السيِّئَةَ مِنَ البَشَرِ بالحُسْنى .

٣ـ العَدُوُّ الشَّيْطانيُّ لا يَنْفَعُ مَعَهُ الإحْسانُ ، وَلاَ يَنْفَعُ مَعَهُ إلا الاحْتِماءُ باللهِ مِنْ شَرِّه .

٤ـ تمنّي الإنسانِ العَوْدَةَ إلى الدُّنيا عِنْدَ المَوْتِ لِيَتَدارَكَ ما فاتَهُ ، وَعَدَمُ إجابَةِ اللهِ الدُّعاءَ في هذا المَوْطِنِ .

٥ـ حالَةُ النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ أَنْ تُوزَنَ أعْمالُهُمْ ، وَيَظْهَر رِبْحُهُمْ أَوْ خُسْرانُهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدِ التَّوجيهاتِ الإلهيةَ لِلنَّبيِّ ﷺ في هذهِ الآياتِ .

٢ـ لِماذا دَعا الرَّسولُ ﷺ رَبَّهُ أنْ لا يَجْعَلَهُ في القَوْمِ الظَّالمينَ ؟

٣ـ كَيْفَ يَكونُ دَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ ؟ وَما أَثَرُ ذلكَ في النَّاسِ ؟

٤ـ ماذا يَتَمَنَّى الكافِرُ عِنْدَ مَوْتِهِ ؟

٥ـ ما اسْمُ الفاصِلِ بَيْنَ الأَحْياءِ والأَمْواتِ حَتَّى قِيامِ السَّاعَةِ ؟

٦ـ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَريقانِ ، وَضِّحْ ذلكَ مَعَ الدَّليلِ .

٧ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ وَإِنَّا عَلى أَنْ نُرِيَكَ ما نَعِدُهُمْ لَقادِرونَ .

ب ـ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفونَ .

ج ـ هَمزاتِ الشَّياطينِ .

د ـ إنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها .

هـ ـ فلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يومَئِذٍ .

و ـ وَهُمْ فيها كالِحونَ .

نَشاطٌ :

١ـ اقرأ الآيةَ الرّابعةَ والثّلاثينَ مِنْ سورَةِ فُصِّلَتْ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها أثَرَ مُقابَلَةِ السَّيِّئَةِ بِالحَسَنَةِ على النّاسِ ، واكْتبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورَةِ القارِعَةِ التي تَتَحَدَّثُ عَنْ ثِقَلِ الميزانِ وَخِفَّتِهِ يَوْمَ القِيامَةِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورةُ المُؤْمِنونَ ـ القِسْمُ الحادي عشَرَ

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥) قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ (١٠٦) رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ (١٠٧) قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١٠٩) فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (١١١) قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ (١١٣) قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧) وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ (١١٨)

مَعاني المُفْرَداتِ :

غَلَبَتْ عَلَيْنا : استَوْلَتْ عَلَيْنا .

شِقْوَتُنا : الشِّقْوَةُ والشَّقاوَةُ ضِدُّ السَّعادَةِ .

اخْسَئوا : انزَجِروا واسْكُتوا صاغِرينَ .

سِخْرِياً : هُزُواً .

العادِّينَ : الحاسِبينَ .

فَتَعالى اللهُ : تنزَّهَ عَنِ العَبَثِ .



التَّفسيرُ :

تَبْدأُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ بِتَتِمَّةِ وَصْفِ حالِ أَهْلِ النَّارِ ، وَطَلَبِهِمُ الخروجَ مِنْها . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

يَقولُ اللهُ تعالى لأَهْلِ النَّارِ مُوَبِّخاً : أَلَمْ تَكُنْ آياتُ القُرْآنِ الكَريمِ تُتْلى عَلَيْكُمْ في الدُّنْيا لِلتَّذْكِيرِ فَكُنْتُمْ تُكَذِّبونَ بِها وَتُعْرِضونَ عَنْها .

﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ .

قالَ أَهْلُ النَّارِ مُعْتَذرينَ عَنْ أَفْعالِهِمْ السَّيِّئَةِ في الدُّنيا : رَبَّنا شَقينا بِأَعْمالِنا السَّيِّئَةِ ، وَتَغَلَّبَتْ عَلَينا شَهَواتُنا وسَيِّئاتُنا ، وَضَلَلْنا طَريقَ الحَقِّ فَساءَتْ عاقِبَتُنا .

﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذهِ النَّارِ وَرُدَّنا إلى الدُّنْيا لِنَعْمَلَ عَمَلاً صالِحاً ، وَإِنْ عُدْنا إلى الكُفْرِ فَإِنَّا ظالِمونَ لأَنْفُسِنا ، نَسْتَحِقُّ العَذابَ والعِقابَ .

تَدَرَّجوا مِنَ الإقْرارِ بِالذَّنْبِ والإجْرامِ إلى الرَّغْبَةِ في الخُروجِ والتَّضَرُّعِ ، فكانَ الجوابُ الإلهيُّ لَهُمْ :

﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لَهُمْ : اسْكُتوا سُكوتَ ذِلَّةٍ وَهَوانٍ ، وانْزَجِروا وامْكُثوا في النَّارِ صاغِرينَ ، وَلا تَعودوا لِمِثْلِ طَلَبِكُمْ هذا ؛ فإِنَّه لا رَجْعَةَ لأَحَدٍ إلى الدُّنْيا مُطْلَقاً .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

في هذهِ الآيةِ ، والَّتي بَعْدَها ، تَعليلٌ لِزَجْرِهِمْ ، فَقَدْ كانَ فَريقٌ مِنَ المُؤْمِنينَ يُعْلِنونَ إيمانَهُمْ ، وَيَدْعونَ اللهَ تَعالى أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُم ، لأَنَّهُم ايْقَنوا أَنَّهُ خَيْرُ الرَّاحِمينَ .

﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

فَسَخِرْتُم مِنْهُمْ واسْتَهزَأْتُم بِهِمْ ، وَحَمَلَكُمْ هذا الهُزْءُ بِهِم عَلى نِسْيانِ ما ذُكِّرْتُمْ بِهِ مِنْ آياتِ اللهِ وَعِقابِهِ ، وَكُنْتُمْ تَضْحَكونَ مِنْ عِبادَتِهِمْ ، وَتَسْخَرونَ مِنْهُم ، وَلِذا فأَنْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ أَشَدَّ العَذابِ .

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

وَإِنّي جَزَيْتُ المُؤْمنينَ بِصَبْرِهِمْ عَلى الأَذى والاسْتِهْزاءِ بِهِمْ الفوزَ العظيمَ ، والنَّعيمَ المُقيمَ .

﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لِلكافرينَ الَّذينَ طَلَبوا العَوْدَةَ إلى الدُّنْيا : كَمْ عَدَدُ السِّنينَ الَّتي لَبِثْتُموها في الدُّنْيا ، وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ ، وَلكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُريدُ أنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ قِصَرَ أيّامِ الدُّنْيا بِالنِّسْبَةِ لِما هُمْ فيهِ مِنْ عَذابٍ مُقيمٍ ، لِيَزيدَ مِنْ حَسْرَتِهِمْ :

﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قالوا لِشِدَّةِ ما قاسوا مِنَ العَذابِ ، وَلِقِصَرِ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنْيا : لَبِثْنا يَوْماً أوْ أَقَلَّ مِنْ يَوْمٍ ، فاسْأَلِ الحاسِبينَ المُتَمَكِّنينَ مِنَ العَدِّ ، فَإِنَّنا في حالٍ تُذْهِلُ العُقولَ وَتُحَيِّرُ الأَلْبابَ .

﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

فَيَرُدُّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم : ما لَبِثْتُمْ في الدُّنيا إلاَّ وَقْتاً قَليلاً ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ ذَلِكَ لَما عَصَيْتُمْ واغْتَرَرْتُمْ .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾

أَظَنَنْتُمْ ، أيُّها الكافِرونَ باللهِ ، أَنَّنا خَلَقْناكُمْ لَعِباً وَباطِلاً ، وَأَنَّكُمْ لا تُبْعَثونَ بَعْدَ المَوْتِ لِلحِسابِ والجَزاءِ ، فَغَرَّتْكُمُ الدُّنْيا ، واشْتَغَلْتُمْ بِها وَنَسيتُمُ الآخِرَةَ .

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

تَنَزَّهَ اللهُ تَعالى ، وَتَقَدَّسَ ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ صاحِبُ السُّلْطانِ المُطْلَقِ في خَلْقِهِ ، تَعالى عَنِ العَبَثِ والنَّقائِصِ ، وَعَنْ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً دونَ حِكْمَةٍ ، لا إلهَ إلا هُوَ ، وَلا رَبَّ سِواهُ ، ولا خالِقَ غَيْرُهُ ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَريم .

وَوُصِفَ العَرْشُ بِأَنَّهُ كَريمٌ لِنِسْبَتِهِ إلى أَكْرَمِ الأَكْرَمينَ اللهِ رَبِّ العالَمينَ .

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

هذا تَهْديدٌ عَظيمٌ لِكُلِّ مَنْ أَشْرَكَ باللهِ ، وَعَبَدَ مَعَ اللهِ سِواهُ دونَ دَليلٍ عَلى ذَلِكَ وَلا حُجَّةٍ ، بِأَنَّهُ سَيَلْقى الحِسابَ الشَّديدَ والعَذابَ الأَليمَ عَلى ذلِكَ ، وَلَنْ يَكونَ لَهُ فَوْزٌ وَلا فَلاحٌ بَلْ مَصيرُهُ الجَحيمُ والخِزْيُ والخُسْرانُ .

وَفي خَتْمِ السُّورَةِ بِعَدَمِ فَلاحِ الكافِرينَ في مُقابلِ افتتاحِها بِتأْكيدِ فَلاحِ المُؤْمنينَ ، إظهارٌ لِلتَّفاوُتِ الواضِحِ بَيْنَ الفريقينِ عَمَلاً وَمَآلاً .

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

هذا تَعْليمٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِرَسولِه ﷺ وَلأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِه : أَنْ يَلْتَجِىءَ إلى اللهِ بِطَلَبِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ خَيْرُ مَنْ يَغْفِرُ ، وَخَيْرُ مَنْ يَرْحَمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اعترافُ أَهْلِ النّارِ بِتَقْصيرِهِمْ وَضَلالِهِمْ لا يَنْفَعُهُمْ شَيْئاً .

٢ـ حُرْمَةُ السُّخْرِيَةِ مِنَ المُسْلِمِ ، والاسْتِهْزاءِ بِهِ والضَّحِكِ مِنْهُ .

٣ـ فَضيلةُ الصَّبْرِ عَلى الأَذى ، وَأَنَّهُ مِفتاحٌ لِلفوزِ بالنَّعيمِ .

٤ـ شِدَّةُ العَذابِ يَوْمَ القيامةِ تُذْهِلُ المُعذَّبينَ عمَّا مَضى مِنْ حالِهِمْ .

٥ـ لا حُجَّةَ لِلمُشْرِكِ على شِرْكِهِ ، وَلِذا فَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِلْعَذابِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا اعْتَذَرَ أَهْلُ النَّارِ عَنْ كُفْرِهِمْ ؟

٢ـ ماذا طَلَبَ أَهْلُ النّارِ مِنْ رَبِّهِم ؟ وَماذا كانَ الجوابُ عَلَيْهِمْ ؟

٣ـ ما مَوْقِفُ المُشْرِكينَ مِنَ المُؤْمِنينَ ؟ وَما مَوْقِفُ المُؤْمِنينَ مِنَ المُشْرِكينَ كما تُبَيِّنَ هذهِ الآياتِ ؟

٤ـ ما هَدَفُ سُؤالِ المُشْرِكينَ عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا ؟

٥ـ لِماذا لَمْ يَسْتَطِعِ المُشْرِكونَ تَحْديدَ مُدَّةِ مُكْثِهِمْ في الدُّنيا ؟

٦ـ اذْكُرْ دَليلاً مِنَ الآياتِ الكَريمةِ عَلى ما يَلي :

أـ يَطْلُبُ أهلُ النَّارِ الخُروجَ مِنْها .

ب ـ كانَ المُشْركونَ يَسْخَرونَ مِنَ المُؤْمِنينَ في الدُّنيا .

ج ـ يَذْهَلُ المُشْرِكونَ عَنْ مُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا مِنْ شِدَّةِ العَذابِ .

د ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَمْ يَخْلُقِ الخَلْقَ عَبَثاً .

هـ ـ يُوصَفُ العَرْشُ بأنَّهُ كَريمٌ لِنِسْبَتِهِ إلى أكْرَمِ الأَكْرَمينَ .

و ـ اسْتِجْبابُ الدُّعاءِ بالمَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الأَخيرةَ مِنْ سورةِ المُطَفِّفينَ التي تُبَيِّنُ حالَ المُجْرِمينَ وَمَصيرَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورةُ النُّورِ - القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سُورَةُ النُّورِ مِنَ السُّورِ المَدَنِيَّةِ ، التي تَتَناوَلُ الأَحْكامَ التَّشْريعِيَّةَ ، وَفيها عَدَدٌ مِنَ الأَحْكامِ المُهِمَّةِ والتَّوْجيهاتِ العامَّةِ ، فَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلى بَيانِ أَحْكامِ الزِّنى والقَذْفِ واللِّعانِ والاسْتِئذانِ وَغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفُروجِ ، وَأَحْكامٍ أُخْرى تَتَعَلَّقُ بالنِّكاحِ ، والمُكاتَبَةِ والبِغاءِ ، مَعَ ما تَتَضَمَّنُهُ السُّورَةُ مِنْ مَظاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ، وَتَوبيخِ المُنافِقينَ عَلَى سُلوكِهِمْ الذَّميمِ ، وَبَيانِ صِفاتِ المُؤْمِنينَ ، وَحَضِّهِم عَلى تَعْظيمِ رَسولِ اللهِ ﷺ وَتَوْقيرِه .

مَعاني المُفْرَداتِ :

سورةٌ : السُّورَةُ جُمْلَةٌ مِنَ الآياتِ القُرْآنيَةِ لَها بَدْءٌ وَنِهايَةٌ مَعْلومتانِ بالتَّوْقيفِ .

فَرَضْناها : أَوْجَبْنا العَمَلَ بِأَحْكامِها .

الزّانيَةُ : المَوْطوءَةُ مِمَّنْ لا يَحِلُّ لَها .

فاجْلِدوا	فَاضْرِبوا عَلى جِلْدِ الظَّهرِ .
رَأفةٌ	شَفقةٌ .
يَرْمونَ	يَتَّهِمونَ بِالزِّنى .
المُحْصَناتِ	العَفيفاتِ .



تَبْدَأُ هذهِ السُّورَةُ الكريمةُ بِالتَّنْويهِ بِشَأْنِها ، وَتَعْظيمِ أَمْرِها ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾

هذهِ سورَةٌ عَظيمةُ الشَّأْنِ ، أَنْزَلْناها عَلَيْكَ ، أيُّها النَّبيُّ ، وَأَوْجَبْنا ما فيها مِنْ أَحْكامٍ وَتَشْريعاتٍ ، وَأَنْزلنا فيها آياتٍ واضِحَةَ الدَّلالَةِ عَلى قُدْرَتِنا ، وَعَلى صِحَّةِ الأَحْكامِ التي وَرَدَتْ فيها لِتَتَذَكَّروا وَتَعْتَبِروا بِها ، وَتُنَفِّذوا ما اشْتَمَلَتْ عَلَيهِ مِنْ أمْرٍ أَوْ نَهْيٍ .

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في تَفصيلِ الأَحْكامِ ابْتَدَأَتْ بِأحكامِ الزِّنى ، والزَّانيةُ : هِيَ المَرْأةُ التي تُمَكِّنُ أَجْنَبِيّاً مِنْ وَطْئِها ، والزَّاني : الرَّجُلُ الذي يَطَأُ امْرَأَةً لا يَحِلُّ لَهُ وَطْؤُها ، وَأَوَّلُ الأَحْكامِ المَذْكورةِ في السُّورَةِ : حَدُّ الزِّنى ، وَهُوَ جَلْدُ كُلِّ واحِدٍ مِنَ الزَّانِيَيْنِ : المَرْأةِ والرَّجُلِ ، مِائَةَ ضَرْبَةٍ بِالسَّوْطِ عُقوبَةً لَهُما عَلى هَذهِ الفِعْلَةِ الشَّنيعَةِ دونَ رَحْمَةٍ في تَنْفيذِ حُكْمِ اللهِ تَعالى وَحَدِّهِ ، فَإنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَعْلَمُ بِحالِ عِبادِهِ ، وَبِما يَرْدَعُهُمْ عَنْ فِعْلِ المَنْهِيّاتِ ، فَلا تُعَطِّلوا الحُدودَ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، وَلا تُشْفِقوا عَلى الزُّناةِ ، وَلْيَحْضُرْ عُقوبَةَ الزانِيَيْنِ جَماعَةٌ مِنَ المُؤْمِنينَ لِيَكونَ أَبْلَغَ في زَجْرِهِما ، وَلَعَلَّ في إِشْهارِ العُقوبَةِ رَدْعاً لَهُما وَلِغَيْرِهِما ؛ فَإِنَّ الفَضيحَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ أَكْثَرَ مِنَ العُقوبَةِ .

وَقُدِّمَتِ الزَّانِيَةُ في الذِّكْرِ على الزَّاني في الآيَةِ ، لِأَنَّ الزِّنى مِنَ المَرْأةَ أَقْبَحُ ، وَلِما يَلْحَقُها بِهِ مِنَ العارِ والفَضيحَةِ .

والزَّانيةُ والزَّاني المُرادانِ هُما : البِكْرانِ الحُرَّانِ ، غَيْرُ المُحْصَنَيْنِ ؛ أي اللَّذانِ لَمْ يَسْبِقْ لَهُما الزَّواجُ . والمَقصودُ بِالجَلْدِ الضَّربُ غَيْرُ المُبْرِحِ وَلا المُؤدِّي إلى كَسْرِ عُضْوٍ أَوْ إتْلافِهِ . والذي يُقيمُ الحَدَّ هُوَ الحاكِمُ المُسْلِمُ لا أفرادُ النَّاسِ وَآحادُهُمْ .

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

كانَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمينَ اسْمُهُ : مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ عَلى عَلاقةٍ بامْرَأةٍ بَغِيٍّ بِمَكَّةَ يُقالُ لَها : عَناق ، وَكانَتْ صَديقةً لَهُ في الجاهِليَّةِ ، فالتَقاها لَيلةً فَدعَتْهُ إلى المَبيتِ عِنْدَها ، فَقالَ لَها : حَرَّمَ اللهُ الزِّنى ، فلَمّا وَصَلَ المدينةَ سَأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ هَلْ يَجوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَها فَنزَلَتْ هذهِ الآيةُ مُحَرِّمَةً زَواجَ الزَّانية[1] .

والمُرادُ بالنِّكاحِ في الآيةِ : العَقْدُ ، أَيْ جَرَتِ العادَةُ أنَّ الشَّخْصَ الزَّانِيَ لا يَتَزَوَّجُ إلاَّ زانِيَةً مِثْلَهُ أوْ مُشْرِكَةً ، وَكذلكَ المَرْأةُ الزَّانيةُ تَميلُ بِطِباعِها إلى الزَّواجِ مِنْ رَجُلٍ زانٍ مِثلِها أوْ مِنْ مُشْرِكٍ ، لِأنَّ المُؤْمِنَ يَنْفِرُ بِطَبْعِهِ مِنَ الزَّواجِ بالمرْأَةِ الزَّانِيَةِ ، وَكَذلكَ المَرْأَةُ المُؤْمِنَةُ لا تَرْغَبُ بالزَّواجِ مِنَ الرَّجُلِ الزَّاني . فَيكونُ لَفْظُ الآيَةِ الخَبَرَ وَمَعْناهُ النَّهْيُ . والتَّنفيرُ مِنَ الزَّواجِ مِنَ الزُّناةِ لِما في ذلكَ مِنَ التَّعرُّضِ لِلذَّمِّ وَسوءِ السُّمْعَةِ والطَّعْنِ في نَسَبِ الأَبْناءِ . التعبيرَ عَنْ هذا الفِعْلِ بالتَّحْريمِ في قولِهِ تعالى (وَحُرِّمَ ذلكَ عَلى المُؤْمنينَ) نَصٌّ صَريحٌ في حُرْمَةِ تَزوُّجِ الزَّاني مِنَ العَفيفَةِ ، وَتَزوُّجِ العَفيفِ مِنَ الزَّانِيةِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بَيانُ حُكْمِ القَذْفِ ، وَهُوَ اتِّهامُ الآخرينَ رِجالاً كانوا أَوْ نِساءً بِالزِّنى ، وَخصَّتِ الآيةُ النِّساءَ بالذِّكْرِ لأنَّ قَذْفَهُنَّ أَشْنَعُ ، والعارَ الَّذي يَلْحَقُهُنَّ بِسَبَبِ ذلكَ أَشَدُّ ، فالذي يَقْذِفُ غَيْرَهُ بالزِّنى دونَ أَنْ يأتِيَ بِأَربَعَةِ شُهَداءَ يَشْهدونَ مَعَهُ على صِحّةِ ما قَذَفَ واتَّهم بِهِ ، فَحُكْمُهُ أَنْ يُجلَدَ ثَمانينَ جَلْدَةً عِقاباً على فِعْلِهِ المُنْكَرِ هذا ، وَأنْ لا تُقْبَلَ لَهُ شَهادَةٌ أَبَداً بِسَبَبِ إلْصاقِهِ التُّهْمَةَ بِمَنْ هُوَ بَريءٌ مِنْها ، والَّذينَ يَفْعَلونَ هذا الفِعْلَ هُمُ الفاسِقونَ الخارجونَ عَلى أَحْكامِ الشَّريعَةِ وَآدابِها .

فَهذهِ ثَلاثُ عُقوباتٍ لِمَنْ يَقذِفونَ المُحْصَناتِ : أُولاها الجَلْدُ ، وَهُوَ عُقوبَةٌ حِسِّيَّةٌ ، وَثانيها عَدَمُ قَبولِ شَهادَتِهِ ، وَهِيَ عُقوبَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ ، وَثالِثُها وَصْفُهُ بالفِسْقِ ، وَهِيَ عُقوبَةٌ دينِيَّةٌ ، وَيَسْتَحِقُّ هذا الفِعْلُ الشَّنيعُ هذهِ العُقوباتِ القاسِيَةَ لِحِمايَةِ أَعْراضِ المُسْلمينَ مِنْ أَلْسِنَةِ السُّوءِ ، فَإِنَّ أَقْسى ما تَتَعرَّضُ لَهُ النُّفوسُ الطَّاهِرَةُ أنْ تَلْتَصِقَ بِها التُّهَمُ الباطِلَةُ .

---

(١) رواهُ التِّرْمذِيّ في كتابِ التَّفْسيرِ ، رقم الحديثِ : ٣١٠١ .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

هذا اسْتِثْناءٌ يُبَيِّن أنَّ مَنْ تابَ مِنْ قَذْفِ غَيْرِهِ ، وَأَصْلَحَ في عَمَلِهِ ، فإنَّ اللهَ تَعالى كَفيلٌ بِمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ ، وَقبولِ تَوْبَتِهِ ، فَيَرفَعُ عَنْهُ وَصْفَ الفِسْقِ ، وَتُقْبَلُ شَهادَتُهُ ، وَلكِنْ لا تَزولُ عَنْهُ عُقوبَةُ الجَلْدِ ؛ فَتُنَفَّذُ فيهِ متى ثَبَتَ قَذْفُهُ لِلمُحْصَناتِ وَلَوْ تابَ . وَكَيْفِيَّةُ تَوْبَةِ القاذِفِ أنْ يُكَذِّبَ نَفْسَهُ في القَذْفِ الّذي حُدَّ فيهِ ، وَيُصْلِحَ مِنْ حالِ نَفْسِهِ ، وَيَنْدَمَ على قَذْفِهِ ، وَيتْرُكَ العَوْدَةَ إلى مِثْلِهِ ، وَفي هذا التَّشْريعِ حِمايَةٌ لأَعْراضِ النَّاسِ ، وَحِفْظٌ لَها مِنْ أَلْسِنَةِ الفاسِقينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ بيانُ حَدِّ الزّانيةِ والزّاني البِكْرَيْنِ الحُرَّيْنِ وَهُوَ مِائةُ جَلْدَةٍ .

٢ـ يَنْبَغي مُعامَلَةُ العُصاةِ بما يَرْدَعُهُمْ ، وَيَزْجُرُهُمْ دونَ رَأفَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِهِمْ .

٣ـ حُضورُ طائفةٍ مِنَ المُؤْمنينَ إقامَةَ الحَدِّ فيه عَذابٌ آخَرُ لَهُمْ بافْتِضاحِ أَمْرِهِمْ .

٤ـ حُرْمَةُ التَزَوُّجِ بالزَّانِيَةِ أَوِ الزَّاني ، وَمَيْلُ الزُّناةِ إلى الزَّواجِ مِنْ بَعْضِهِمْ ، أو مِمّنْ شاكَلَهُمْ مِنَ المُشْرِكينَ والمُشْرِكاتِ ، لِتشابُهِهِمْ في الفِسْقِ والخُبْثِ والسُّوءِ .

٥ـ تَبيينُ عَظَمَةِ جريمةِ القَذْفِ وَأَثَرِها السَّيِّيءِ في المَقْذوفِ .

٦ـ حَدُّ مَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِ القَذْفُ أَنْ يُجْلَدَ ثَمانينَ جَلْدَةً .

٧ـ التَّوْبَةُ مِنَ القَذْفِ لا تَرْفَعُ الجَلْدَ ، وَتَرْفَعُ رَدَّ الشَّهادَةِ والوَصْفِ بالفِسْقِ عَنِ القاذِفِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى السُّورَةِ ؟ وَما مَعنى (فَرَضْناها) ؟

٢ـ ما حَدُّ الزُّناةِ المذكورُ في الآيةِ ؟

٣ـ لِماذا نَهى اللهُ المُؤْمنينَ عَنِ الرَّأفَةِ عِنْدَ إقامَةِ الحَدِّ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ حُضورِ المُؤْمنينَ إقامَةَ الحَدِّ عَلى الزُّناةِ ؟

٥ـ ما مَعنى الآيةِ الثّالثَةِ ؟ وَما حُكْمُ الزّواجِ مِنَ الزّانِيَةِ ، إذا تابَتْ مِنْهُ وإذا لَمْ تَتُبْ ؟
٦ـ ما عُقوبةُ القاذِفِ لِلمُؤْمناتِ المُحْصَناتِ ؟
٧ـ هَلْ يَسْتَوي في القَذْفِ الرِّجالُ والنِّساءُ ، أمْ تَخْتَصُّ بِهِ النِّساءُ ؟
٨ـ ما الّذي يُرْفَعُ مِنْ عُقوباتِ القاذِفِ حينَ يَتوبُ ؟ وَما الذي يَبْقى مِنْها ؟
٩ـ ما الأثرُ السَّلْبِيُّ في المُجْتَمَعِ لانتشارِ آفَةِ القَذْفِ بَيْنَ النّاسِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عُقوبَةَ الزّاني والزّانِيَةِ المُحْصَنَيْنِ .
٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الحِكْمَةَ مِنْ تَحْديدِ عَدَدِ الشُّهودِ بِأَرْبَعَةٍ .

* * *

الدرسُ الثّامنُ والعِشرونَ

سورةُ النُّورِ - القِسمُ الثّاني

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَدْرَأُ : يَدْفَعُ .

لَوْلا : حَرفُ امتناعِ الجوابِ لِوجودِ الشَّرْطِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنِ ابنِ عبّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - أنَّ هلالَ بنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امرأتَهُ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ بِشُرَيْكِ بنِ سَحْماءَ ، أي اتَّهَمَها بالزِّنى مَعَهُ ، فقالَ لهُ الرَّسولُ ﷺ : « البينةُ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ » فقالَ : يا رَسولَ اللهِ إذا رَأى أَحَدُنا على امرأتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ ؟ فَجَعَلَ النَّبيُّ ﷺ : « البينةُ وَإلاّ حَدٌّ في ظَهرِكَ » فقالَ هلالٌ : والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنّي لَصادِقٌ وَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ ما يُبَرِّىءُ ظَهْري مِنَ الحَدِّ ، فنزلَ جبْريلُ بهذِهِ الآياتِ ، فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ إليْهِما ، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ ، والنَّبيُّ ﷺ يَقول : إنَّ اللهَ يَعْلَمُ أنَّ أَحَدَكُما كاذِبٌ ، فَهَلْ مِنْكُما تائِبٌ ؟ ثُمَّ قامتْ زَوْجَتُهُ فَشَهِدَتْ ، فَلَما كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وَقَفُوها ، وَقالوا : إنَّها مُوجِبَةٌ ، أيْ لِغَضَبِ اللهِ وَعِقابِهِ ، فَتَلَكَّأَتْ ، وَنَكَصَتْ حتى ظَنَنَّا

أنَّها تَرْجِعُ ، ثُمّ قالتْ : لا أفْضَحُ قَوْمي سائِرَ اليَوْم ، فَمَضَتْ ، وَشَهِدَتْ في الخامِسَةِ أنَّ غضبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقينَ . فَفرّقَ الرَّسولُ ﷺ بَيْنَهُما[1] .

التَّفسيرُ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ ﴾ .

تُبيِّن هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ أنَّ الأَزْواجَ الَّذينَ يَتَّهمونَ زَوجاتِهِمْ بالزِّنى ، وَلا يُوجَدُ مَنْ يَشْهَدُ لَهُمْ بِصحَّةِ هذهِ التُّهْمَةِ إلاّ أنفسُهُم ، فَعَلى الواحِدِ مِنْهُمْ أنْ يَشْهَدَ أرْبَعَ شَهاداتٍ ، لِتَقومَ كُلُّ شَهادةٍ مَقامَ الشَّاهِدِ ، يُقْسِمُ في كُلِّ شَهادَةٍ مِنها أنّه مِنَ الصَّادِقينَ فيما رَماها بِهِ ، وَيَكونُ ذلكَ أمامَ وَلِيِّ الأمْرِ أو القاضي .

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ ﴾

وَيَشْهَدُ شَهادةً خامِسَةً بَعْدَ الأرْبَعِ المُتَقَدِّمَةِ بأنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذبينَ في اتِّهامِهِ لِزَوْجَتِهِ بالزِّنى .

وَإفْرادُ هذهِ الشَّهادَةِ الخامِسَةِ بالذِّكْرِ لِما تَحْويهِ مِنْ زِيادةٍ في التَّأْكيدِ والتَّوْثيق .

ثُمَّ بَيَّنَتِ الآياتُ ما يَجبُ على المَرْأَةِ لِكَيْ تُبَرِّىءَ نَفْسَها مِمّا رَماها بِهِ زَوْجُها ، قال تعالى :

﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ ﴾

يَدْفعُ الحدَّ عَنِ المَرْأَةِ أنْ تَشْهَدَ أرْبَعَ شَهاداتٍ مُتَتالِيَةً تُقْسِمُ فيها باللهِ إنَّ زَوْجَها لَمِنَ الكاذِبينَ فيما رَماها بِهِ مِنَ الزِّنى .

﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ ﴾

وَتَشْهَدُ بَعْدَ ذلكَ شَهادةً خامِسَةً مُؤَدَّاها أنَّ غَضَبَ اللهِ تعالى عَلَيْها إنْ كانَ زَوجُها صادِقاً فيما رَماها بِهِ ، وبِهَذا تَتَميَّزُ هذهِ الشَّهادَةُ الخامِسَةُ عَنْ سابقاتِها الأرْبعِ بالتَّغْليظِ والتَّخْويفِ مِنْ غَضَبِ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ زوجُها صادِقاً فيما اتَّهَمها بِهِ .

وَفي هذهِ الآيَةِ ذُكِرَ الغَضَبُ في حَقِّ المَرأةِ ، بَيْنَما في الشَّهادَةِ الخامِسَةِ مِنَ الزَّوجِ ذُكِرَ اللّعْنُ ، لأن اسْتِعْمالَ اللَّعْنِ وَتَداوُلَهُ بَيْنَ النِّساءِ أَكْثَرُ ، وَلِذا فَإنَّ وَقْعَهُ في نُفوسِهِنَّ أَقَلُّ مِنْ وَقْعِ ذِكْرِ الغَضَبِ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التَّفْسيرِ ، بابُ تفسيرِ سورةَ النُّورِ ، رقم الحديث : ٤٤٧٠ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

وَلولا أنَّ اللهَ تعالى تَفضَّلَ عَلَيْكُمْ أيُّها المُؤْمنونَ وَرَحِمَكُمْ بما شَرَّعَ لَكُمْ في حُكْمِ الَّذينَ يَرْمونَ أَزْواجَهُمْ بِالزِّنى ، لَحَصَلَ لَكُمْ مِنَ الحَرَجِ شَيْءٌ عَظيمٌ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ التّائِبِ إذا صَدَقَ فِيها ، حَكيمٌ في كُلِّ ما شَرَّعَهُ لِعِبادِهِ .

وَمِنَ الأَحْكام المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ هذهِ الآياتِ : أَنَّ مَنْ قَذَفَ زَوْجَتَهُ بالزِّنى ، وَلَمْ يَأْتِ بأَرْبَعَةِ شُهَداءَ عَلى صِحَّةِ ما قالَهُ ، يُطْلَبُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُما المُلاعَنةُ ، فَمَن رَفَضَ أُقيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ .

وَمِنْها أنَّ الزَّوْجَ يَبْدأُ في اللِّعانِ فَيقولُ أَمامَ القاضي : أَشْهَدُ باللهِ إنِّي لَمِنَ الصّادِقينَ ، وَفي المَرَّةِ الخامسةِ يقولُ : لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ إنْ كانَ مِنَ الكاذبينَ ؛ أيْ فيما رَمى بِهِ زَوْجَتَهُ ، وَتَتْبَعُهُ المَرْأَةُ فتقولُ أَرْبَعَ مَرّاتٍ : أَشْهَدُ باللهِ إنَّهُ لَمِنَ الكاذِبينَ ، وَتقولُ في الخامِسَةِ : إنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْها إنْ كانَ مِنَ الصّادِقينَ فيما رَماها بِهِ . فإذا قالا ذلِكَ سَقطَ عَنْهُما الحَدُّ ، وَفَرَّقَ القاضي بَيْنَهُما فِراقاً أَبَدِيّاً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ تَقريرُ مَشروعِيَّةِ اللِّعانِ وَكَيْفِيَّتِهِ ، وَأنَّهُ السَّبيلُ الأَمْثَلُ لِمَنْ رَمى زَوجتَهُ بِالزِّنا .

٢ـ إيجادُ البديلِ عَنِ الشُّهودِ الأَرْبَعَةِ بالشَّهادات الأَرْبَعِ ، إذْ مِنَ الصُّعوبَةِ النَّفْسِيَّةِ والواقِعِيَّةِ على الزَّوْجِ أَنْ يَأْتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ يَشْهدونَ على زِنى زَوْجَتِهِ .

٣ـ إفْرادُ الشَّهادَةِ الخامِسَةِ بالذِّكْرِ لِأَهمِيَّتِها وَحَسْمِها الأَمْرَ ، وَلِذا فإنَّ القاضيَ يُشَدِّدُ على الزَّوْجِ أَوِ الزَّوْجَةِ قَبْلَها ، وَيُذَكِّرُهُما بِأَنَّها مُوجِبَةٌ لِلَّعْنَةِ على الزَّوْجِ إنْ كانَ كاذباً ، وَموجِبَةٌ لِغَضَبِ اللهِ على الزَّوْجَةِ إنْ كانتْ كاذِبَةً .

٤ـ يُؤدِّي اللِّعان إلى التَّفْريقِ الأبديِّ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، إذْ لا يُتَوَقَّعُ رُجوعُ أَحَدِهِما إلى الآخَرِ بَعْدَ هذا المَوْقِفِ الدَّقيقِ ، وَلا يُنْسَبُ وَلَدُ المُلاعَنَةِ إلى الزَّوجِ .

٥ـ لا تُجيزُ الشَّريعةُ لِمَنْ وَجدَ زَوجَتَهُ تَزني قَتْلَها ، بَلْ يُرْفَعُ الأَمْرُ إلى القَضاء ، فإنِ اعتَرَفَتْ قُتِلَتْ ، وَإلاّ لوعِنَ بَينَهما .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ هذهِ الآياتِ .

٢ـ بيِّن كيفيَّةَ المُلاعَنَةِ بَيْنَ الزَّوجَيْنِ .

٣ـ ما سَبَبُ إفرادِ المَرَّةِ الخامِسَةِ بالذِّكْرِ ؟

٤ـ بيِّنْ كَيْفَ كانَ تَشْريعُ اللِّعانِ حلاًّ عَمَلِيّاً مثالِيّاً لِمُشْكِلَةِ الخِيانَةِ الزَّوْجِيَّةِ .

٥ـ بيِّنِ الحُكْمَ فيما يلي :

أـ تَلاعَنَ زوجانِ أمامَ القاضي .

ب ـ لاعَنَ رَجُلٌ زَوْجَتَهُ ، ورَفَضَتْ هِيَ مُلاعَنَتَهُ .

ج ـ اتَّهَمَ رَجُلٌ زَوْجَتَهُ بالزِّنى ، ورَفَضَ أنْ يُلاعِنَها .

د ـ بَدَأَتِ المَرْأةُ بالمُلاعَنَةِ قَبْلَ الرَّجُلِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مَعْنى اللَّعْنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **الإفكِ** : الكَذِبِ القَبيحِ الفاحِشِ .
- **عُصْبَةٌ** : جَماعةٌ .
- **كِبْرَهُ** : مُعْظَمَهُ .
- **أَفَضْتُمْ** : تَحَدَّثْتُم طَويلاً .
- **تَلَقَّوْنَهُ** : تَتَلَقَّوْنَهُ .
- **هَيِّناً** : سَهْلاً .
- **بُهتانٌ** : كَذِبٌ يُدْهِشُ مَنْ يَسْمَعُهُ .

سَبَبُ النُّزولِ :

نَزَلَتْ هذهِ الآياتُ بِسَبَبِ حادِثَةٍ حَصلَتْ عِندَ عَوْدَةِ المُسْلمينَ مِنْ غَزْوَةِ بني المُصْطَلِقِ في السَّنَةِ الخامسَةِ مِنَ الهِجرَةِ . ومُلَخَّصُ الحادثَةِ أنَّ الجَيْشَ في طَريقِ العَوْدَةِ مِنَ الغَزْوَةِ لَمّا قاربوا المَدينةَ المُنَوَّرَةَ أدْرَكَهُمُ اللَّيْلُ فنَزَلوا لِلرّاحَةِ ، وابْتَعَدَتْ عائِشَةُ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ عَنِ الجَيْشِ لِقضاءِ حاجَتِها ، وَلَمّا عادَتِ التَمَسَتْ عِقْداً لَها فلَمْ تَجِدْهُ ، فَرَجَعَتْ إلى المَكانِ الَّذي كانتْ فيه تَبْحَثُ عَنْ عِقْدِها ، وفي هذهِ الأَثْناءِ ارْتَحَلَ الجَيْشِ ، وَحَمَلوا هَوْدَجَ عائِشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْها ، وَأَثْبَتوهُ على البَعيرِ ، وَهُمْ يظنُّونَ أنَّها فيهِ ، فَقَدْ كانَتْ خَفيفَةَ الوَزْنِ ، حديثَةَ السِّنِّ ، فَلَمْ يَشُكُّوا في أنَّها لَيْسَتْ في الهَوْدَجِ ، وَسارَ الجَيْشُ ، وَعادَتْ عائِشَةُ بَعْدَ رَحيلِهِمْ . فَجَلَسَتْ في مكانِها تَنْتَظِرُ عَوْدَتَهُمْ إليْها حينَ يَفْقِدونَها ، وَنامَتْ في مَجْلِسِها ، وَكانَ صَفوانُ بنُ المُعَطّلِ مُكَلَّفاً بالتَّأَخُّرِ عَنِ الجَيْشِ لِتَفَقُّدِ ما يُمْكِنُ أنْ يَجِدَهُ مِنْ مَتاعٍ أَوْ مُتَأَخِّرينَ ، فَرأَى عائِشَةَ فأَقْبَلَ عَلَيْها وَهْوَ يقولُ : إنَّا للهِ وإنّا إلَيْهِ راجعونَ ، وَلَمْ يَقُلْ سِوى هذهِ الكَلِمَةِ ، وَأَدْنى إليْها بَعيرَهُ ، فَرَكِبَتْ ، وَسارَ أَمامَ البَعيرِ ، حتّى أَدْرَكا الجَيْشَ ، فَقالَ عَبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ بن سَلولٍ حينَ رآهما مُقْبِلَيْنِ : ما نَجَتْ مِنْهُ وَلا نَجا مِنْها ، فاتَّهَمَهُما بالزِّنى ، وَأَشاعَ ذَلكَ المُنافقونَ ، وَكادَتْ تَحْصُلُ فِتْنَةٌ بِسَبَبِ هذهِ المَقولةِ . واسْتَمَرَّتِ الحالُ على ذلكَ مُدَّةً حَتّى نَزَلَتِ الآياتُ الكريمَةُ تُبَرِّىءُ عائِشَةَ رَضيَ اللهُ عَنْها مِنْ هذا الإفْكِ[1] .

التَّفسيرُ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١ ﴾ .

أيْ إنَّ الَّذينَ قالوا ما قالوا مِنْ كَذِبٍ قَبيحٍ ، وافْتِراءٍ شَنيعٍ ، على السَّيِّدَةِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عَنْها ، جَماعةٌ يَنْتَسِبونَ إليْكُمْ ، أيُّها المُسْلِمونَ ، بَعْضُهُم قَدْ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ ، وَبَعْضُهُمْ يُظْهِرونَ الإسْلامَ ، وَيُبْطِنونَ الكُفْرَ . لا تَظُنُّوا ، أيُّها المُؤْمِنونَ ، هذا الحَديثَ شَرّاً لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ؛ لأنَّهُ كانَ سبباً في مَعْرِفَةِ الحُكمِ الشَّرْعيِّ في مِثْلِ هذهِ الواقعةِ ولأنَّهُ فَضَحَ المنافِقينَ ، وَأَظْهَرَ ما يُضْمِرونَهُ مِنْ سوءٍ ، وَلِكُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ عِقابُهُ بِقَدْرِ ما اشْتَرَكَ في الإفْكِ ، وَأَعْظَمُ الإثْمِ وَأَشَدُّهُ على

---

(١) الحادثَةُ مذكورةٌ بِطولِها في كُتُبِ التَّفْسيرِ والسِّيرةِ ، وفي صحيحِ البُخاريِّ ، كتاب المغازي ، رقم الحديث ٣٨٢٦ ، وفي صحيحِ مُسْلم ، كتاب التَّوْبَةِ ، باب حديث الإفْكِ ، رقم الحديث ٦٩٥١

مَنْ تَحَمَّلَ مُعْظَمَ هذا الكذِبِ ، وَتوَلّى إشاعَتَهُ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَسَعى لِنَشْرِهِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بن سَلولٍ زَعيمُ المُنافِقينَ ، وَفيهِ تَشْريفٌ عَظيمٌ بِنُزولِ الوَحْيِ بِبَراءَةِ أُمِّ المُؤْمِنينَ .

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾

هذا توبيخٌ لِلّذينَ خاضوا في حَديثِ الإفْكِ ، بِأَنَّهُ كانَ يَنْبَغي عَلَيْهِمْ أنْ يَظُنّوا بعائِشَةَ وَصَفوانَ ، رَضِيَ اللهُ عنْهما ، خَيْراً وَحُسْناً ، وَهُما مِنْ أصْدَقِ المُؤْمِنينَ إيماناً ، فلا يُصَدِّقوا ما سَمِعوهُ وَلا يُرَدِّدوهُ دونَ بَيِّنَةٍ ، وَأنْ يَتَثَبَّتوا مِنَ الخَبَرِ ، وَيَدْفعوا الشَّرَّ عَنْ إخوانِهِمْ المُؤْمِنينَ ، كَما يَدْفَعونَهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَيقولوا : هذا بُهْتانٌ ظاهِرٌ ، وَكَذِبٌ قَبيحٌ .

وَفي التَّعبيرِ عَنْ إخوانِهِمْ وَأَخَواتِهِم في الدِّين بِأَنْفُسِهِمْ ، غَرْسٌ لِروحِ الإخاءِ الصَّادِقِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ؛ حتَّى لَكَأنَّ الَّذي يَظُنُّ السُّوءَ بِغَيْرِهِ إنَّما ظَنَّهُ بِنَفْسِهِ .

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

هَلاَّ جاءَ هَؤُلاءِ الكاذِبونَ بِأَرْبَعَةِ شُهداءَ يَشْهَدونَ على ما قالوا ، فَإِن عَجزوا ، وَلَمْ يَأْتوا على دَعواهُمْ بِالشُّهودِ فَهُمُ الكاذِبونَ في حُكْمِ اللهِ وَشَرْعِهِ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

يُبيِّنُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هذهِ الآيةِ جانباً مِنْ مَظاهِرِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ بِالمُؤْمِنينَ ، فإنَّهُ لَوْلا تَفَضُّلُ اللهِ عَلى المُؤْمِنينَ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ في الدُّنيا بِإعْطائِهِمْ فُرْصَةَ التَّوْبَةِ ، وَفي الآخِرَةِ بِالعَفْوِ عَنْهُمْ ، لَنَزَلَ بِهِمْ ، بِسَبَبِ ما خاضوا فيهِ ، وَأَكْثَروا مِنَ الحديثِ في الإفْكِ ، عَذابٌ عَظيمٌ ، لا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلاّ اللهُ تعالى .

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ .

إذْ تَتَلَقَّوْنَ هذا البُهْتانَ ، وَتُذيعونَهُ ، وَتَسْأَلونَ عَنْهُ ، وَلَيْسَ لَهُ في الواقعِ حَقيقَةٌ وَلا وُجودٌ ، وتَظُنُّونَ هذا الأَمْرَ هَيِّناً سَهْلاً لا مَعْصيةَ فيهِ ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الكَبائِرِ ؛ لأَنَّهُ طَعْنٌ في زَوْجَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وإيذاءٌ لَهُ ولِزَوْجِهِ ، وَلِصاحِبِهِ أوّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَهُوَ أبو بَكْرٍ الصِّديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وهَذا تَوْبيخٌ شَديدٌ وَزَجْرٌ عَظيمٌ لِلّذينَ خاضوا في حَديثِ الإفْكِ دونَ تَدَبُّرٍ أَوْ تَعَقُّلٍ ، وَرَدَّدوهُ دونَ تَأَمُّلٍ أَوْ تَحَرُّجٍ .

ثُمَّ وَجَّهَهُمْ إلى ما كانَ يَنْبَغي عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ :

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾

هلاَّ قُلْتُم وَقْتَ أنْ سَمِعْتُمْ حَديثَ الإفْكِ مِمَّنِ افتراهُ وَزَعَمَهُ على سَبيلِ الزَّجْرِ : لا يَصِحُّ لنا أنْ نَتَكَلَّمَ بهذا الحَديثِ البالغِ أَقْصى دَرَجاتِ الكَذِبِ والافْتِراءِ ، وَأنْ تُسَبِّحوا اللهَ تعالى تَعَجُّباً مِنْ هذا الكلامِ ، واسْتِبعاداً لَهُ ، وَتَنزيهاً لَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنْ يُقالَ هذا الكَلامُ على زَوْجَةِ رَسولِ اللهِ الطّاهِرَةِ البَريئَةِ ، إنَّهُ كَذِبٌ وَزورٌ يَبْهَتُ مَنْ يَسْمَعُهُ وَيُدْهِشُهُ وَيُحَيِّرُهُ .

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يُحَذِّرُكُمُ اللهُ مِنَ العَوْدَةِ إلى الخَوْضِ في حَديثِ الإفْكِ ، أَوْ فيما يُشْبِهُهُ مِنْ أَحاديثَ باطِلَةٍ ، وَعَلَيْكُمْ أنْ تَمْتَثِلوا أَمْرَ رَبِّكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ إيماناً كامِلاً ، فَإِنَّ الإيمانَ يَمْنَعُ مِنَ المُنْكَرِ والباطِلِ ، وَفي التَّذْكيرِ بالإيمانِ حَثٌّ على الالْتِزامِ والاتِّعاظِ .

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

وَيُوَضِّحُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ الدّالَّةَ على الشَّرائِعِ وَمحاسِنِ الآدابِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ عالِمٌ بِما يُصْلِحُ العِبادَ ، حَكيمٌ في تَدْبيرِهِ وَتَشْريعِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الأمَّةُ الإسْلاميَّةُ أُمَّةُ القانونِ والتَّشريعِ يَحْكُمُها ما أُنْزِلَ إليها مِنْ رَبِّها ، لا الأَهْواءُ و لعواطِفُ ، فالرَّسولُ ﷺ لَمْ يَبْطِشْ بِمَنْ اتَّهَمَهُ في زَوجِهِ ، وَصَبَرَ حتّى حَكَمَ اللهُ فيهِ وَفيهِم .

٢ـ بَيانُ القُرْآنِ الحُكْمَ الشَّرْعِيَّ في مِثْلِ هَذِهِ الواقِعَةِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغي لِلمُسْلمين أَنْ يَتَصَرَّفوا تِجاهَها .

٣ـ آذى المُنافِقونَ الرَّسولَ ﷺ وَزوجَهُ وَصاحِبَهُ والمُسْلِمينَ ، وَلِكنَّ اللهَ أَكْرَمَهُمْ بِما أَنزلَ فيهم وَعَلَّمَهُمْ .

٤ـ وُجوبُ إقامَةِ الدَّليلِ عَلى الدَّعوى ، والتَّرَوِّي قَبْلَ نَقْلِ الأَخْبارِ .

٥ـ خَطَرُ الإشاعَةِ وَتَأْثيرُها العَظيمُ في المُجْتَمَعاتِ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ هذِهِ الآياتِ .

٢ـ مَنِ الَّذي تَولَّى كِبْرَ هذا الأَمْرِ ؟ وَما عِقابُهُ عِنْدَ اللهِ ؟

٣ـ ما المَوْقِفُ المَطلوبُ مِنَ المُؤْمِنينَ في مُواجَهَةِ مِثْلِ هذهِ الحادِثَةِ ؟

٤ـ ما حُكْمُ نَقْلِ الأَخْبارِ وَإِذاعَتِها دونَ عِلْمٍ بِحَقيقَتِها ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى الآياتِ والكَلِماتِ الكَريمةِ التَّاليةِ :

أـ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .

ب ـ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ .

ج ـ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فيما أَفَضْتُمْ فيهِ عَذابٌ عَظيمٌ .

د ـ وَتَحْسَبونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ .

هـ ـ يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعودوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ .

٦ـ ضَعْ دائرةً حَوْلَ رَمْزِ الإِجابةِ الصَّحيحةِ لِكُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ زَوجةُ رَسولِ اللهِ ﷺ التي اتُّهِمَتْ في حادِثَةِ الإِفْكِ هِي :

١ـ زَيْنَب .　　　٢ـ حَفْصَةُ .

٣ـ عائِشَةُ .　　　٤ـ رَمْلَةُ .

ب ـ الغَزْوَةُ التي حَدَثَتْ بَعْدَها حادِثَةُ الإِفْكِ هِي :

١ـ بَدْرٌ .　　　٢ـ حُنَينٌ .

٣ـ تَبوك .　　　٤ـ بَنو المُصْطَلِق .

ج ـ الصَّحابيُّ الذي اتُّهِمَ بِالفاحِشَةِ في حادِثَةِ الإِفْكِ هُو :

١ـ المُغيرةُ بنُ شُعْبَةَ .　　　٢ـ صَفوانُ بنُ المُعَطّلِ .

٣ـ زَيدُ بنُ ثابتٍ .　　　٤ـ زَيدُ بنُ حارِثَةَ .

٧ـ ما حُكْمُ مَنْ يَتَّهِمُ عائِشَةَ اليَوْمَ بِما بَرَّأَها اللهُ مِنْهُ عِنْدَما كانَ يَنْزِلُ القُرآنُ ؟ وَلِماذا ؟



تَعَلَّمْ :

لَمَّا ذاعَ حَديثُ الإفْكِ ، قالَ أبو أيّوبَ الأنْصاريُّ لِزَوْجَتِهِ أُمِّ أيّوبَ : ألا تَرَيْنَ ما يُقالُ ؟ فَقالَتْ لَهُ : لَوْ كُنْتَ بَدَلَ صَفْوانَ أكُنْتَ تَظُنُّ بِحُرْمَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ سُوءاً ؟ قالَ : لا . فَقالَتْ : وَلَوْ كُنْتُ أنا بَدَلَ ـ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ ما خُنْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ . فعائِشَةُ خَيْرٌ مِنّي ، وَصَفوانُ خَيْرٌ مِنْكَ .

وَفي هذا الخَبَرِ تَدَرُّجٌ لَطيفٌ في التَّوَصُّلِ إلى نَفْيِ التُّهْمَةِ ، فَقَدْ أَنْزَلا أنْفُسَهُما مَنْزِلَةَ المُتَّهَمَيْنِ أوَّلاً ، وَأثْبَتا لِنَفْسَيْهِما البَراءَةَ والأَمانَةَ ثانياً ، ثُمَّ أثْبَتاهُما لِصَفوانَ وَعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما بِالطَّريقِ الأَوْلى[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عُقوبَةَ مَنْ يَتَّهِمُ أَحَدَ المُسْلِمينَ بِالزِّنى ، وَلَمْ يُحْضِرْ أرْبَعَةَ شُهودٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الغيبَةِ والبُهْتانِ ، وَأيِّدْ قَولَكَ بِحَديثٍ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٣ـ اسْتَخْرِجْ عَدَدَ وُرودِ مَرّاتِ (لَوْلا) في الآياتِ ، وَبَيِّنْ مَعناها في كُلِّ مَوْضِعٍ مُسْتَعيناً بِكُتُبِ التَّفْسيرِ .

❊ ❊ ❊

(١) الزمخشريُّ ، الكَشّافُ ، مَعَ حاشِيَتِهِ : الانتصافُ ٣/٢١٨ .

الدَّرْسُ الثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خُطُواتِ الشَّيْطانِ : وَساوِسَهُ وَطُرُقَهُ .

زَكا : طَهُرَ مِنَ الذُّنوبِ .

يأتَلِ : يَحْلِفْ .

السَّعَةِ : الغِنى .

الغافِلاتِ : اللاَّتي لا تَخْطُرُ الفاحِشَةُ بِبالِهِنَّ .

دينَهُمُ الحَقَّ : جَزاءَهُمُ المُؤَكَّدَ .



التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ تتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ حادِثَةِ الإفْكِ ، وَتَبيينُ خُطورَةِ إشاعَةِ الفاحِشَةِ ، والدَّعْوةُ إلى الإحْسانِ حَتَّى مَعَ المُسيءِ ، وَبَيانُ جَزاءِ القَذْفِ في الآخِرَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

إنَّ الَّذينَ يُريدونَ وَيَقْصِدونَ أنْ تَنْتَشِرَ مَقالَةُ السُّوءِ بَيْنَ صُفوفِ المُؤْمِنينَ ، وفي شَأْنِهِم كَترويجِ الفاحِشَةِ ، واتِّهامِ المُؤْمِنينَ بِالزِّنى ، هؤلاءِ الَّذينَ يُحِبُّونَ ذلكَ لَهُمْ بِسَبَبِ نَواياهُمُ السَّيِّئَةِ وَأَقْوالِهِمُ الضَّالَةِ عَذابٌ أَليمٌ في الدُّنْيا بإقامَةِ الحَدِّ عَلَيْهِم ، وَعَذابٌ أَليمٌ في الآخِرَةِ ، وَهُوَ أشَدُّ وَأَعْظَمُ مِنْ عَذابِ الدُّنْيا ، واللهُ تعالى وَحْدَهُ ، يَعْلَمُ جَميعَ الأَحْوالِ ، وَبَواطِنَ الأُمورِ ، وَسَرائِرَ الصُّدورِ ، وَأَنْتُم أيُّها النَّاسُ لا تَعْلَمونَ ما يَعْلَمُهُ اللهُ .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

تَذكيرٌ آخرُ لِلمُؤْمِنينَ بِمَنِّ اللهِ ـ تعالى ـ عَلَيْهِم وَفَضْلِهِ ، فَإِنَّهُ لَوْلا أنَّ فَضْلَ اللهِ وَرَحْمَتَهُ مَوجودانِ وَمُحيطانِ بِكُمْ لَعاجَلَكُمْ بِالعُقوبَةِ وَلَوَقَعْتُمْ في المَهالِكِ ، وَلكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَظيمُ الرَّأْفةِ والرَّحْمَةِ بِعِبادِهِ .

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ خِطابٌ وَتَحْذيرٌ لِلْمُؤْمِنينَ ، وَنَهْيٌ لَهُمْ عَن اتِّباعِ طُرُقِ الشَّيْطانِ وَوَساوِسِهِ وَمَسالِكِهِ ، الَّتي مِنْها الإصْغاءُ إلى أَهْلِ النِّفاقِ ، والخَوْضُ مَعَهُمْ ، وَما يُشْبِهُ ذَلكَ مِنَ الأَقْوالِ الباطِلَةِ ، والأَفْعالِ القَبيحَةِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ وَساوِسَ الشَّيْطانِ يَقَعْ في الضَّلالِ والعِصيانِ ، فإنَّ وَظيفَةَ الشَّيْطانِ الأَمْرُ بِالمُنْكَرِ والسَّيِّءِ منَ القَوْلِ والفِعْلِ ، وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ ، أيُّها المُؤْمِنونَ وَرَحْمَتُهُ بِكُمْ ، ما طَهُرَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رِجْسِ الذنوبِ والمَعاصي وَدَنَسِها ، وَلكِنَّ اللهَ تعالى يُطَهِّرُ مَنْ يَشاءُ تَطْهيرَهُ مِنَ الأَرْجاسِ والمُنْكَراتِ ، فَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ ، وَيُوَفِّقُهُمْ للعَمَلِ الصَّالِحِ ، واللهُ سَميعٌ لِدُعاءِ عِبادِهِ وَأَقْوالِهِمْ ، عَليمٌ بِما يُسِرُّونَهُ وَيُعْلِنونَهُ .

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾ .

هذا حَضٌّ لأَصْحابِ النُّفوسِ التَّقيَّةِ المُحْسِنَةِ على المُواظَبَةِ على ماتَعَوَّدوهُ مِنْ سَخاءٍ وَسَماحَةٍ ، فلا يَنْبَغي أنْ يَحْلِفَ أَصْحابُ الزِّيادَةِ مِنْكُمْ في قُوَّةِ الدِّينِ وَسَعَةِ المالِ على أنْ لا يُعْطوا أقرباءَهُمْ والمَساكينَ والمُهاجرينَ شَيْئاً مِنْ أَمْوالِهِمْ ، وَلْيقابِلُوا الإساءَةَ بالإحْسانِ والسَّماحِ ، وَلْيتجاوزوا عَنْ خَطأِ المُخْطِىءِ ، أَلا تُحِبّونَ ، أيُّها المُؤْمِنونَ ، أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، بِسَبَبِ عَفْوِكُمْ وَصَفْحِكُمْ عَمَّنْ أساءَ إليْكُمْ ، واللهُ تعالى كَثيرُ المَغْفِرَةِ واسِعُ الرَّحْمَةِ بِعِبادِهِ .

وَقَدْ نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ في أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عِنْدَما أقْسَمَ ألاّ يُعْطِيَ ابنَ خالَتِهِ مِسْطَحَ بنَ أثاثَةَ شَيْئاً مِنَ النَّفَقَةِ أَوِ الصَّدَقَةِ ؛ لأَنَّهُ كانَ مِنَ الَّذين خاضوا في حَديثِ الإفْكِ ، وَطَعَنوا في السَّيِّدةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، فَلَمّا نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ قالَ أبو بَكْرٍ : بَلى واللهِ يا رَبَّنا إنّا لَنُحِبُّ أنْ تَغْفِرَ لَنا ، فَأَعادَ لِمِسْطَحٍ نَفَقَتَهُ ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمينِهِ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) ﴾ .

هذهِ الآيةُ فيها بَيانٌ لِسوءِ عاقبةِ المُفْسِدينَ الَّذينَ يُخَطِّطونَ لإشاعةِ الفاحِشَةِ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَمِنَ الفاحِشَةِ اتِّهامُ النَّاسِ بالزِّنى ، فالَّذينَ يَرْمونَ ، وَيَتَّهِمونَ النِّساءَ المُحْصَناتِ عَنْ كُلِّ سوءٍ وَريبَةٍ ، اللّاتي لا تَخْطُرُ الفاحِشَةُ بأذهانِهِنَّ ؛ لأَنَّهُنَّ مُتَحَلِّياتٌ بالأَخْلاقِ الكَريمةِ ، وَمؤمِناتٍ إيماناً صادقاً باللهِ تعالى ، هؤلاءِ المُشَكِّكونَ المُتَّهِمونَ مَطْرودونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ في الدُّنْيا وَفي الآخِرَةِ ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ فِعْلِهِمْ هذا لَعْنَةُ اللهِ ، وَلَهُمْ عَذابٌ عَظيمٌ هائِلٌ لا يَكادُ يُوصَفُ أَوْ يُتَصَوَّرُ في الآخِرَةِ .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾

وفي ذَلِكَ اليَوْمِ الرَّهيبِ يَوْمِ القِيامَةِ تَشْهَدُ عَلى الَّذين يَرْمون المُحصَناتِ أَعْضاؤُهُمْ ، فَتَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ وأَيديهِم وَأَرْجُلُهُمْ بما اقْتَرَفَتْ مِنْ أَعْمالٍ وارْتَكَبَتْ مِنْ قبائِحَ وَنَطَقَتْ مِنْ مُنْكَراتٍ ، ويَكونُ نُطْقُ الجَوارِحِ بِقُدْرَةِ اللهِ تعالى إدانةً لَهُمْ ، وَفَضْحاً لِحالِهِمْ واعْتِرافاً بما ارتَكَبوهُ مِنَ السَّيِّئاتِ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ (٢٥) ﴾

في ذلكَ اليوم يُجازي اللهُ تعالى هؤلاءِ الفاسِقينَ جَزاءَهُمُ العادِلَ الَّذي يَسْتَحِقّونَهُ على افترائِهِمْ وَكَذِبِهِمْ وَرَمْيِهِمُ المُحصناتِ ، وَفي ذلكَ اليوم يَعْلمونَ أَنَّ ما وُعِدوا بهِ مِنْ عَذابٍ حَقٌّ ثابتٌ لا مِرْيَةَ فيهِ ، وَأَنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ على ما تُخْفيهِ نُفوسُهُمْ ، وتَقولُهُ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَقادِرٌ على مُجازاتِهِمْ على أفعالِهِمُ القَبيحَةِ .

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

هذا بيانٌ لِسُنَّةٍ إلهيَّةٍ مَرْئِيَّةٍ في الكَوْنِ ، وَهِيَ أَنَّ الخَبيثاتِ مِنَ النِّساءِ لِلْخَبيثينَ مِنَ الرِّجالِ ، والخَبيثونَ مِنَ الرِّجالِ مُخْتَصُّونَ بالخَبيثاتِ مِنَ النِّساءِ ، والطيباتُ مِنَ النِّساءِ لِلطَّيِّبينَ مِنَ الرِّجالِ ، والطَّيِّبونَ مِنَ الرِّجالِ مُخْتَصُّونَ بِالطَّيِّباتِ مِنَ النِّساءِ . أُولئكَ الطَّيِّبونَ والطَّيِّباتُ مُبَرَّأونَ مِمَّا قالَهُ أَهْلُ الإفْكِ مِنَ الخبيثاتِ والخبيثينَ في شَأْنِهِمْ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ لِذُنوبِهِمْ ، وَرِزْقٌ كَريمٌ جَزاءَ إيمانِهِمْ ، وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحُ ، وَصَبْرِهِمْ على الأذى .

وَفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ مَدْحٌ لِلسَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، وَرَفْعٌ لِقَدْرِها ، وَشَهادَةٌ لَها بِالبَراءَةِ مِمَّا رُمِيَتْ بِهِ وَبِأَنَّها مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ عَظيمُ جُرْمِ مَنْ يُشيعُ الفاحِشَةَ بَيْنَ المُؤْمِنينَ ، وَمَنْ يُحِبُّ ذلكَ .

٢ـ حُرْمَةُ اتِّباعِ الشَّيْطانِ فيما يَأْمُرُ بِهِ مِنْ مُنْكَرٍ وَسوءٍ .

٣ـ التَّرغيبُ في العَفْوِ والصَّفْحِ عَمَّنْ أَساءَ إذا تابَ .

٤ـ فَضْلُ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وابنَتِهِ الصِّدِّيقةِ عائِشَةَ ، وَعَظيمُ مَنْزِلَتِهِما عِنْدَ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ مَنِ الَّذينَ يُحِبّونَ أَنْ تَشيعَ الفاحِشَةُ في الَّذينَ آمَنوا ؟ وما عُقوبَتُهُمْ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِخُطُواتِ الشَّيْطانِ ؟

٣ـ ما أَثَرُ فَضْلِ اللهِ تعالى وَرَحْمَتِهِ في المُؤْمِنينَ ؟

٤ـ ما حُكْمُ الحَلْفِ على عَدَمِ فِعْلِ الخَيْرِ ، أَوْ عَلى مَنْعِ الصَّدَقَةِ عَمَّنْ يَحْتاجُها ؟

٥ـ بِماذا تَشْهَدُ الأعْضاءُ يَوْمَ القِيامةِ ؟

٦ـ ما المُرادُ بالخَبيثاتِ والخَبيثينَ ؟ وَلِماذا يَميلونَ إلى بَعْضِهِمْ ؟

٧ـ اسْتَخرِجْ مِنَ الآياتِ الكريمةِ ما يَدُلُّ على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أ ـ مَنْزِلَةُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها وَفَضْلُها .

ب ـ الشَّيْطانُ يَأمُرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ .

ج ـ اسْتِحْبابُ العَفْوِ والصَّفْحِ .

د ـ العَذابُ العَظيمُ لِمَنْ يَقْذِفُ المُؤْمِناتِ المُحصَناتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ خَمْسَةَ أَفْعالٍ قَبيحةً مِنْ وَساوِسِ الشَّيْطانِ وَإغرائِهِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ماذا تَفْعَلُ إذا أقْسَمْتَ أنْ لا تُكَلِّمَ صَديقَكَ في المَدْرَسَةِ ؟

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورةِ (يس) الدَّالَّةَ عَلَى أنَّ الجَوارِحَ تَشْهَدُ على صاحِبِها يَوْمَ القيامَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والثلاثون

سُورَةُ النُّورِ - القِسْمُ الخامِسُ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٢٨) لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ (٢٩) ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَسْتَأْنِسوا : تَسْتأذِنوا .

أزْكى : أَطْيَبُ وأفْضَلُ .

جُناحٌ : إثمٌ .

مَتاعٌ لكُمْ : مَنْفَعَةٌ .

التفسيرُ :

حَرَّمَ اللهُ تعالى الزِّنى ، وَحَرَّمَ أسْبابَهُ وَدواعِيَهُ ؛ لِيكونَ المُجتَمَعُ المُسْلِمُ نَظيفاً طاهِراً ، وَفي هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لآدابِ الاسْتِئذانِ قَبْلَ الدُّخولِ إلى البُيوتِ لِحفْظِ عَوْراتِ المُسْلمينَ ، وَعَدَمِ كَشْفِ أسْرارِ بُيوتِهِمْ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٢٧) ﴾ .

تَبْدأُ الآيةُ الكَريمةُ بِتَوجيهِ النِّداءِ إلى المُؤْمِنينَ بِاللهِ تعالى ، لِتَذْكيرِهِمْ بِصِفَةِ الإيمانِ الَّتي تَقْتَضي

الطَّاعَةَ والالْتِزامَ ، أيُّها المُؤْمنونَ : لا تَدْخُلوا بُيوتاً غيرَ بُيوتِكُمْ ، يَسْكُنُها أُناسٌ غَيْرُكُمْ ، حَتّى تَعلَموا أنَّ صاحِبَ البَيْتِ أذِنَ لَكُمْ ، وَرَضِيَ لَكُمْ بِالدُّخولِ إلى بَيْتِهِ ، وَتُسَلِّموا على أَهْلِ هَذهِ البُيوتِ السّاكِنينَ فيها ، فَفي الاسْتِئْذانِ والتَّسْليمِ على أَصْحابِ البُيوتِ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الدُّخولِ إليْها فُجاءَةً دون إنْذارٍ ، وَهَذا التَّشْريعُ لَكُمْ لِتَعْملوا بِموجِبهِ ، وَتكونوا مُتَذكِّرينَ لَهُ دائِماً ؛ فَفيهِ الخَيْرُ لَكُمْ .

﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

فإنْ لَمْ تَجدوا في بيوتِ الآخرينَ أحداً مِمّنْ يَمْلِكُ الإذنَ بِدُخولِها ، فَلا تَدْخُلوها حتَّى يَأْذَنَ لَكُمْ بذلكَ صاحِبُ البَيْتِ ، فإنَّ لِلبُيوتِ حُرْمَةً ، وَهِيَ مَحلُّ السَّكَنِ الخاصِّ ، والرَّاحَةِ والطُّمأنينَةِ .

وَإنْ طَلَبَ مِنْكُمْ صاحِبُ البَيتِ الرُّجوعَ بَعْدَ الاسْتِئْذانِ فارْجِعوا ، وَلا تُلِحُّوا في طَلَبِ الدُّخولِ ، فإنَّ الرُّجوعَ أطْهَرُ لَكُمْ وَأَفْضَلُ ، واللهُ عَليمٌ بِأعْمالِكُمْ ، لا تَخْفى عَلَيْهِ خافيَةٌ مِنْها ، فَأَصلِحوها والتزموا أَمْرَ اللهِ لِتفوزوا بِرضوانِهِ .

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِحُكْمِ دُخولِ البُيوتِ والأَماكِنِ الَّتي لا تُسْتَعْمَلُ لِلسَّكَنِ الخاصِّ ، بَلْ هِيَ مُهَيَّأَةٌ لِيَنْتَفِعَ بها مَنْ يَحْتاجُ إلَيْها مِنْ دونِ أنْ يَتَّخِذَها مَسْكَناً لَهُ ، مِثْلِ الفنادقِ والدَّكاكينِ وَنَحوِها مِنَ الأَماكِنِ العامَّةِ ، فَيجوزُ دُخولُها دونَ اسْتِئذانٍ لِمَنْ كانَ لَهُ فيها مَصْلَحَةٌ وانتفاعٌ ، وَهذهِ الأَماكِنُ في الغالِبِ مَفتوحَةٌ لِلعُمومِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ شُمولَ عِلْمِهِ لِما يُظْهِرُهُ خَلْقُهُ ، وَما يَكْتُمونَهُ مِنْ أَقْوالٍ وَأَعْمالٍ ، وَمِنْها ما يَتَعَلَّقُ بالدُّخولِ إلى البُيوتِ دونَ إذنٍ ، أَوْ دُخولِها لاسْتِراقِ السَّمْعِ ، وَمَعْرِفَةِ الأَسْرارِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنَ النَّوايا والأَفْعالِ السَّيِّئَةِ .

وَمِنْ آدابِ الاسْتِئْذانِ التي يَنْبَغي عَلى المُسْلِمِ مُراعاتُها :

١ـ الاسْتِئْذانُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، يَفْصِلُ بَيْنَها زَمَنٌ مُناسِبٌ ، بِقَدْرِ ما يَفْرُغُ المَرْءُ مِنْ حاجَتِهِ .

٢ـ قَرْعُ الباب أوِ الجَرَسِ وَنَحوِهِما يَقومُ مَقامَ الاسْتِئْذانِ ، فَلا يُزادُ فيه عَلى ثَلاثِ مَرّاتٍ ، وَلا يَجْعَلُ اسْتِئْذانَهُ مُزْعِجاً لِأَهْلِ البَيْتِ بِإطالَةِ زَمَنِ قَرْعِ الجَرَسِ ، أَوْ بِقُوَّةِ الطَّرْقِ وَعُنْفِه .

٣ـ إذا سُئِلَ القادِمُ عَنِ اسْمِهِ فَلا يَقُلْ : أَنا ، فإنَّها لا تُفيدُ التَّعريفَ بِه ، وَلْيَقُلِ اسْمَهُ ؛ حتى يَعْرِفَهُ أَهْلَ البَيْتِ .

٤ـ أنْ لا يَقِفَ أَمامَ الباب في مُواجَهَتِهِ ، بَلْ يَقِفُ عَلى جانِبٍ مِنْهُ ، لِئلاَّ يَقَعَ بَصَرُهُ ، عِنْدَ فَتْح البابِ ، عَلى ما لا يُحِبُّ أَهْلُ البَيْتِ الاطِّلاعَ عَلَيهِ . وَفي الحَديثِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّما جُعِلَ الاسْتِئْذانُ مِنْ أجْلِ البَصَرِ »[١] .

٥ـ الاسْتِئذانُ حَتى عِنْدَ الدُّخولِ إلى بَيتِهِ ، فَقَدْ يَكونُ في البَيتِ ضُيوفٌ ، أو زُوّارٌ ، أو يَكونُ أَهْلُ البَيْتِ بِحالةٍ لا يُحِبُّ أن يَراهُمْ عَلَيْها أَحَدٌ .

٦ـ يُسَلِّمُ الدّاخِلُ إلى المَحلاّتِ العامَّةِ والفنادِقِ وَنَحوِها عَلى مَنْ يَجِدُهُ فيها ، فالَّذي سَقَطَ في حَقِّهِ الاسْتِئْذانُ لا السَّلامُ .

٧ـ الالْتِزامُ بصيغَةِ « السَّلامُ عَلَيْكُمْ » فإنَّها تَحِيَّةُ الإسْلامِ ، وَهِيَ مُناسِبَةٌ لِجَميعِ الأَوْقاتِ ، وَتَدُلُّ على المَحَبَّةِ والمُسالَمَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الاسْتِئْذانِ عَلى كُلِّ مَنْ أرادَ دُخولَ بيتٍ مَسْكونٍ سوى بَيْتِهِ .

٢ـ الالْتِزامُ بِآدابِ الاسْتِئْذانِ ؛ فَإنَّها تَدُلُّ عَلى خُلُقٍ عالٍ ، وَأدَبٍ رَفيعٍ .

٣ـ عَدَمُ الامْتِعاضِ أوِ التَّأثُّرِ إذا اعْتَذَرَ أحَدٌ عَنِ اسْتِقْبالِكَ في بَيْتِهِ ؛ فَلِلنّاسِ ظُروفٌ ، وَلِلبيُوتِ أَسْرارُها .

٤ـ سُقوطُ الاسْتِئْذانِ عِنْدَ إرادَةِ دُخولِ الأَماكِنِ العامَّةِ ؛ كالمَحلاّتِ التِّجاريّةِ ، والمدارِسِ ، والجامِعاتِ ، والفنادِقِ ، وَنَحوِها .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيَّنَتِ الآيةُ السّابِعَةُ والعِشرونَ أنَّهُ يُطْلَبُ مِمَّنْ أَرادَ دُخولَ بيتٍ غَيْرِ بَيْتِهِ أَمْران ، ما هُما ؟

٢ـ ماذا يَفْعَلُ مَنِ اعتُذِرَ لَهُ عَنِ الدُّخولِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الاستئذانِ ، رقم الحديثِ : ٥٧٧٢ ، ورواهُ مُسلِمٌ في كتابِ الآدابِ ، رقم الحديثِ : ٤٠١٣ .

٣ـ متى يَسْقُطُ الاسْتِئْذانُ عِنْدَ دُخولِ البُيوتِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثَةً مِنْ آدابِ الاسْتِئْذانِ ؟

٥ـ ما الصِّيغَةُ التي يَنْبَغي الالِتزامُ بِها عِنْدَ تَحِيَّةِ الآخَرينَ ؟ وَلِماذا كانتْ أفْضَلَ مِنْ غَيرِها ؟

نَشاطٌ :

ـ ناقِشْ مَعَ زُملائِكَ السُّلوكاتِ الخاطِئَةَ في الاسْتِئْذانِ ، وَوَسائِلَ حَلِّها وَعِلاجِها .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ النُّورِ - القِسْمُ السّادِسُ

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَغُضُّوا	: يَحْفَظوا وَيَكُفُّوا .
وَيَحْفَظوا فُروجَهُمْ	: يَصونوها عَنِ المُتْعَةِ الحَرامِ ، وَعَنْ كَشْفِها لِلنّاسِ .
وَلْيَضْرِبْنَ	: وَلْيُلْقينَ وَيُسْدِلْنَ .
بِخُمُرِهِنَّ	: أَغْطِيَةِ رُؤوسِهِنَّ .
جُيوبِهِنَّ	: فَتْحَةِ الثَّوبِ مِنْ جِهَةِ الصَّدْرِ .
بُعُولَتِهِنَّ	: أَزْواجِهِنَّ .
نِسائِهِنَّ	: المُسْلِماتِ مِنَ النِّساءِ .
ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ	: العَبيدِ .
التّابِعينَ غَيْرِ أُولي الإِرْبَةِ	: التّابِعينَ لأَهْلِ البَيْتِ يُطْعِمونَهُمْ وَيُسْكِنونَهُمْ مِمَّنْ لا حاجَةَ لَهُمْ إِلى النِّساءِ .
لَمْ يَظْهَروا على عَوْراتِ النِّساءِ	: لَمْ يَبْلُغوا سِنّاً تَدْعوهُم إِلى الاطِّلاعِ عَلى عَوْراتِ النِّساءِ .



التَّفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في مُحارَبَةِ أَسْبابِ الفاحِشَةِ والرَّذيلةِ ، وَفي هذهِ الآياتِ أَمْرٌ بِغَضِّ البَصَرِ ، وَحِفْظِ الفروجِ ، وَسَتْرِ العَوْراتِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

قُلْ ، أيُّها الرَّسولُ الكريمُ ، للمُؤْمنينَ أَنْ يَكُفُّوا أبْصارَهُمْ عَنِ النَّظَرِ إلى ما حَرَّمَ اللهُ ، فَإِنَّ النَّظَرَ مِنْ وَسائِلِ الفِتْنَةِ الّتي تقودُ إلى المَعْصيَةِ ، وَرُبَّما جَرَّتْ إلى الزِّنى ، وَقُلْ لَهُمْ أنْ يَحْفَظوا فُروجَهُمْ عمَّا لا يَحِلُّ لَهُمْ ، فَلا يَكْشفوها لأَحَدٍ ، وَيَحْفَظوها مِنَ الزِّنى والفاحِشَةِ ، ذلك أَزْكى لِقُلوبِهِمْ ، وَأَطْهَرُ لِنُفوسِهِمْ ، وَأَنْفعُ لَهُمْ في دُنْياهُمْ وَآخِرتِهِمْ ، فإِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ تَصَرُّفاتِهِمْ ، خَبيرٌ بِكُلِّ أَحْوالِهِمْ ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقوا اللهَ في السِّرِّ والعَلَنِ .

وَقَدَّمَ سُبْحانَهُ غَضَّ البَصَرِ عَلى حِفْظِ الفُروجِ لأَنَّهُ كالسَّبَبِ لَهُ ، إذْ إِنَّ عَدَمَ غَضِّ البَصَرِ كَثيراً ما يُؤَدِّي إلى الوُقوعِ في الفَواحِشِ ، وَذُكِرَتْ (مِنْ) مَعَ غَضِّ البَصَرِ ، وَلَمْ تُذْكَرْ مَعَ حِفْظِ الفَرْجِ ، لأَنَّ أَمْرَ النَّظَرِ أَوْسَعُ ، فَيَجوزُ النَّظَرُ إلى بَعْضِ أَعْضاءِ المَحارِمِ ، وَقَدْ يقع نَظَرُ الفَجْأَةِ ، وَهُوَ مَعْفُوٌّ عَنْهُ كَما في الحَديثِ عَنْ جَريرِ بنِ عَبدِ اللهِ قالَ : سَأَلتُ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأَةِ . فقالَ : « اصْرِفْ بَصَرَكَ »[1] ، وَقالَ ﷺ : « لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإنَّ لَكَ الأُولى ، وَلَيْسَتْ لَكَ الثّانِيَةُ »[2] ، أَمَّا حِفْظُ الفروجِ فَيَجِبُ أَنْ يكونَ كامِلاً وَمُسْتَمِرّاً دائِماً فَهُوَ أَمْرٌ مَقدورٌ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِيهِ مَشَقَّةٌ أَوْ حَرَجٌ .

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا

---

(١) رواهُ أبو داودَ في كتابِ النّكاحِ ، وَرَواهُ أحمدُ في المُسْنَدِ برقم ١٨٤٠١ ، وَرَواهُ التِّرْمِذِيُّ في كتابِ الأَدَبِ .

(٢) رواهُ أبو داودَ في كتابِ النّكاحِ ، ورواهُ التِّرمِذِيُّ في كتابِ الأدبِ .

﴿مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ .

وَقُلْ ، أيُّها الرَّسول ، لِلْمُؤْمِناتِ أنْ يَكْفُفْنَ أبْصارَهُنَّ عَنِ النَّظَرِ إلى ما لا يَحِلُّ لَهُنَّ ، وأنْ يَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ عَنْ كُلِّ ما نَهى اللهُ عَنْهُ .

وَفي تَخصيصِ النِّساءِ بِالخِطاب بَعْدَ الرِّجالِ تَأْكيدٌ لِلأَمْرِ بِغَضِّ البَصْرِ ، وَحِفْظ الفَرْج ؛ فالمَرْأَةُ مَأْمورَةٌ بِغَضِّ بَصَرِها ، وَكَما يُمْنَعُ الرِّجالُ مِنَ النَّظَرِ إلى المَرْأة تُمْنَعُ المَرْأةُ مِنَ النَّظَرِ إلى الرَّجُلِ ، خاصةً حينَ يَقْتَرِنُ النَّظَرُ بالشَّهْوَةِ أَوْ سوءِ القَصْدِ ، أَوْ يَكونُ نَظَراً لِلْعَوْرَةِ ، فإنَّ مَقْصِدَ المَرْأَةِ مِنَ الرَّجُلِ كَمَقْصِدِهِ مِنْها ، وَغَضُّ البَصَرِ أطْهَرُ للعِرْضِ وَأبرأُ لِلدّينِ وَأَسْلَمُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا يَجوزُ للمَرْأَةِ أنْ تُظْهِرَ مِنْ زينَتِها إلاَّ ما جَرَتِ العادةُ بِظُهورِهِ وَهُوَ : الثِّيابُ الظّاهِرَةُ والوَجْهُ والكَفّانِ ، وَإِنْ كانَ الأَوْلى سَتْرُ الوَجْهِ أَوْلى خاصَّةً إذا خُشيَتِ الفِتْنَةُ .

ثُمَّ أمَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ النِّساءَ بالاعْتِناءِ بِسَتْرِ العُنُقِ وَأَعْلى الصَّدْرِ ، وَذلكَ بِأنْ تُنْزِلَ المَرْأَةُ خِمارَها ، وَهُوَ غِطاءُ الرَّأسِ ، على فَتْحَةِ الثَّوْبِ الَّذي يَكونُ في أعْلى الصَّدْرِ ، فَتَسْتُرَ بِذلِكَ عُنُقَها وَصَدْرَها .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَنْ يَجوزُ لَهُمْ أنْ يَطَّلِعوا عَلى مَوْضِعِ الزِّينَةِ الخَفِيَّةِ مِنَ المَرْأةِ ؛ كَشَعْرِ الرَّأسِ والذِّراعينِ والسّاقينِ ، وَهُمْ :

١ـ الأزواجُ : بَدأَ بِهِمْ لأنَّهُمْ هُمُ المقصودونَ بِالزِّينَةِ ، وَلأنَّ كُلَّ بَدَنِ الزَّوْجَةِ حَلالٌ لِزَوْجِها أنْ يَنْظُرَ إليهِ .

٢ـ الآباءُ : وَيَدْخُلُ مَعَهُمْ آباءُ الآباءِ وَآباءُ الأمَّهاتِ (الأجدادُ) .

٣ـ آباءُ الأزْواج : لِأنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الآباءِ .

٤ـ الأَبْناءُ : وَيَدْخُلُ مَعَهُمْ أبناءُ الأبْناءِ وَأبناءُ البَناتِ (الأَحْفادُ) .

٥ـ أبناءُ الأَزْواجِ : فَإنَّهُمْ بِمَنزلَةِ الأبْناءِ .

٦ـ الإخْوَةُ : سَواءٌ أكانوا أشِقّاءَ أمْ إخوةً لأبٍ أو لأمٍّ .

٧ـ أبناءُ الإخوَةِ : وَيَلْحَقُ بِهِمُ الأعْمامُ .

٨ـ أَبْناءُ الأخَواتِ : وَيَلْحَقُ بِهِمْ الأَخْوالُ .

وَهؤلاءِ المَذكورونَ بَعْدَ الزَّوْجِ هُمُ الأرْحامُ ، والحُكْمُ يَشْمَلُ الأَرْحامَ مِنَ النَّسَبِ ، وَمِنَ الرَّضاعَةِ .

٩ـ النِّساءُ المُسْلماتُ الصَّالحاتُ ، كالصَّديقاتِ أو الخادماتِ .

١٠ـ العَبيدُ والإماءُ ، لِأنَّ أمْثالَهُمْ خدَمٌ لا مَطْمَعَ لَهُمْ في أسْيادِهِمْ .

١١ـ الَّذينَ يَتَّبعونَ النّاسَ لِيُصيبوا مِنْ فَضْلِ طَعامِهِمْ طالبينَ الإحْسانَ والانتفاعَ ، مِمَّنْ لا حاجةَ لَهُمْ في النِّساءِ إمَّا لِكِبَرِ سِنِّهِمْ ، أوْ لِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ شَيْئاً مِنْ أُمورِ النِّساءِ لِمَرَضٍ فيهِمْ ، أو لِقِلَّةِ عَقْلِهِمْ .

١٢ـ الأَطْفالُ الصِّغارُ الَّذينَ لَمْ يَبْلغوا السِّنَّ التي يَشْتَهونَ فيها النِّساءَ .

فَهولاءِ الأَصْنافُ لا حَرَجَ عَليهِمْ ، وَلا عَلى المَرْأةِ أنْ يَرَوْا مِنْها مَوْضِعَ الزِّينَةِ الخَفِيَّةِ ؛ كالرَّأسِ والذِّراعينِ والسَّاقينِ لانْتِفاءِ الفِتْنَةِ الَّتي مِنْ أجْلِها كانَ الأَمْرُ بالسَّتْرِ .

وَنَهى اللهُ تعالى النِّساءَ أنْ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ في الأَرْضِ لِيُسمِعْنَ غَيْرَهُنَّ مِنَ الرِّجالِ أَصْواتَ حُلِيِّهِنَّ الدّاخِليَّةِ كالخُلْخالِ في القَدَمِ ، بِقَصْدِ التَّطَلُّعِ إليهِنَّ ، والمَيْلِ نَحْوَهُنَّ بِالمُحادَثَةِ أَوْ غَيرِها ، وَيَشْمَلُ النَّهْيُ كُلَّ حَرَكَةٍ مِنْ شَأْنِها إثارَةُ الشَّهْوَةِ والفِتْنَةِ ، وَلَفْتُ النَّظَرِ إليها .

ثُمَّ خَتَمَ سُبْحانَهُ الآيَةَ بِدَعوَةِ المُؤْمنينَ إلى التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ لِينالوا الفَلاحَ في دُنْياهُمْ وَآخِرَتِهِمْ ، وَفي مُناداتِهِمْ باسْمِ الإيمانِ تذكيرٌ لَهُمْ بِهِ ، وَبِأنَّهُ مُوجِبٌ لِلامْتِثالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ غَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ يَسْتَوي فيه الرِّجالُ والنِّساءُ .

٢ـ وُجوبُ سَتْرِ المَرْأةِ زينَتَها عَمَّنْ لا يَحِلُّ لَهُ النظرُ إليها .

٣ـ سَتْرُ المَرْأةِ لِجَسَدِها عَلى النَّحوِ الَّذي شَرَعَهُ اللهُ حَضارَةٌ وَمَدَنِيَّةٌ ، والبُعْدُ عَنْهُ هَمَجِيَّةٌ وَتَأَخُّرٌ .

٤ـ بَيانُ المَحارِمِ الَّذينَ يَجوزُ لِلمَرْأةِ المُؤْمِنَةِ أنْ تُبْدِيَ زينَتَها عِنْدَهُمْ بِلا حَرَجٍ .

٥ـ عَلى المَرْأةِ اجْتنابُ أيِّ حَرَكَةٍ أَوْ إشارَةٍ تُؤَدّي إلى لَفْتِ الرِّجالِ إلَيْها .

٦ـ وُجوبُ التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ لِلْحُصولِ عَلى الفَلاحِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ مُخاطَبَةِ المُؤْمناتِ بِغَضِّ البَصَرِ وَحِفْظِ الفَرْجِ بَعْدَ خِطابِ المُؤْمنينَ بِذلِكَ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَتى يَجوزُ نظرُ الرَّجُلِ إلى المَرْأةِ ؟

٤ـ مَنِ الأصنافُ الَّذينَ يَجوزُ لِلمرأةِ إظْهارُ زينَتِها عِنْدَهُمْ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما يَلي :

أـ ذلكَ أزْكى لَهُمْ .

ب ـ وَلا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها .

ج ـ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيوبِهِنَّ .

دـ أوِ التَّابعينَ غَيْرِ أُولي الإرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ .

هـ ـ وَلا يَضْرِبْنَ بِأرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفينَ مِنْ زينَتِهِنَّ .

نَشاطٌ :

نَهى رَسولُ اللهِ ﷺ المَرأةَ عَنِ التَّعَطُّرِ عِنْدَ خُروجِها مِنْ بَيْتِها . بَيِّنْ حِكْمَةَ ذلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ النُّورِ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَـٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَنكِحوا** : زوِّجوا .
- **الأيامى** : مَنْ لا زوجَ لَهُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ ، جَمْعَ أيِّمٍ .
- **وَلْيَسْتَعْفِفْ** : ولْيَطْلُبْ عِفَّةَ نَفْسِهِ .
- **فَتَياتِكُمْ** : إمائِكُمْ اللّاتي تَمْلِكونَهُنَّ .
- **البِغاءِ** : الزِّنى .
- **تَحَصُّناً** : تَعَفُّفاً وَتَحَفُّظاً .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ بَعْضَ الأَساليبِ الوِقائِيَّةِ مِنَ الزِّنى كَغَضِّ البَصَرِ ، والاسْتِئْذانِ والحِجابِ ، تَدْعو هذهِ الآياتُ إلى ما يَحمي الإنْسانَ مِنَ الزِّنى بِتَيْسيرِ سُبُلِ الزَّواجِ وَبالاسْتِعْفافِ .

قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

يُخاطِبُ اللهُ تعالى المُؤْمنينَ أنْ زَوِّجوا ، أيُّها الأوْلِياءُ ، مَنْ لا زَوجَ لَهُ مِنَ الرِّجالِ المُسْلِمينَ والنِّساءِ المُسْلِماتِ ، وَيَسِّروا لَهُمْ أُمورَ الزَّواجِ ، وَزَوِّجوا ، أيُّها السَّادَةُ الصَّالحينَ للزَّواجِ مِنْ عَبيدِكُمْ وإمائِكُمْ المَمْلوكينَ لَكُمْ ، وَأَعينوهُمْ عَلَيهِ بِما تَمْلِكونَ مِنْ وَسائِلِ العَوْنِ والمُساعَدَةِ .

وَأَكْثَرُ العُلَماءِ عَلى أنَّ الأمْرَ في الآيةِ لِلنَّدْبِ لا لِلوُجوبِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ الفَقْرَ لا يَنْبَغي أنْ يَقِفَ عائِقاً أمامَ طَريقِ الزَّواجِ ، فإنْ كانَ الرَّاغِبونَ في الزَّواجِ فُقَراءَ فإنَّ اللهَ قادِرٌ عَلى إغنائِهِمْ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ ، وَفي الحَديثِ عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلى اللهِ عَوْنُهُمْ : النَّاكِحُ يُريدُ العَفافَ ، والمُكاتِبُ يُريدُ الأداءَ ، والغازي في سَبيلِ اللهِ »[1] واللهُ واسِعُ الفَضْلِ ، جَوادٌ كَريمٌ ، عَليمٌ بِمصالِحِ عِبادِهِ .

﴿ وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

هذا إرْشادٌ لِلعاجِزينَ عَنْ أَسْبابِ الزَّواجِ كالمَهْرِ والنَّفَقَةِ لِيَتَحَصَّنوا بالعَفافِ ، وَيقاوِموا الشَّهْوَةَ ، وَيَسْتعينوا عَلى ذلِكَ بِغَضِّ البَصَرِ وَبالصَّوْمِ ، وَأنْ يَسْتَمِرُّوا مُتَعَفِّفينَ حَتَّى يَرْزُقَهُمُ اللهُ تعالى مِنْ فَضْلِهِ رِزقاً يَسْتعينونَ بِهِ عَلى الزَّواجِ . ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ أنْ يُعينوا مَماليكَهُمْ عَلى التَّحَرُّرِ مِنَ الرِّقِّ حينَ يَرْغَبونَ بِذلِكَ عَنْ طَريقِ المُكاتَبَةِ . وَهُوَ : الاتِّفاقُ بينَ السَّيِّدِ وَعَبْدِهِ بِأنْ يَدْفَعَ العَبْدُ مَبْلغاً مِنَ المالِ إلى سَيِّدِهِ فَيُصْبِحَ حُرّاً ، فالسَّيِّدُ مَأْمورٌ بِمُكاتَبَةِ عَبْدِهِ إذا كانَتْ عِنْدَ العَبْدِ المَقْدِرَةُ عَلى الكَسْبِ ، والرَّغْبَةُ في التَّحَرُّرِ مِنْ قَيْدِ العُبودِيَّةِ ، وَيُسْتَحَبُّ لِلسَّيِّدِ أنْ يُعينَ عَبْدَهُ عَلى الأداءِ بِأنْ يُعْطِيَهُ شَيْئاً مِنَ المالِ ، أو يُخَفِّفَ لَهُ مِنَ المَبْلَغِ المَطْلوبِ مِنْهُ .

وَفي التَّعْبيرِ عَنِ المالِ بِأنَّهُ (مالُ اللهِ) وَبِأنَّهُ (الَّذي آتاكُم) حَثٌّ عَلى الإنْفاقِ ؛ فالمالُ للهِ يؤْتيهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ، وَهُمْ مُسْتَخْلَفونَ فيهِ ، يقومونَ بِرِعايتِهِ وَبَذْلِهِ .

قَوْلُهُ تعالى ﴿ولا تُكْرِهوا فتياتكم على البغاءِ . . . . . ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : كانَ لِعَبْدِ اللهِ بن أُبيِّ بن سَلولٍ جارِيَتانِ يُكْرِهُهُما عَلى الزِّنى ، فَشَكَتا إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فَنزَلَتِ الآيةُ الكَريمَةُ[2] .

---

(١) رواهُ التِّرمِذيُّ في كتابِ فضائلِ الجهادِ ، رقم الحديثِ : ١٥٧٩ ، ورواهُ النَّسائيُّ في كتابِ الجهاد ، رقم الحديثِ : ٣٠٦٩ .

(٢) رواهُ مُسْلِمٌ في كتابِ التَّفْسيرِ ، رقم الحديث : ٥٣٥٥ .

والمَعنى : لا تُكرهوا ، أيُّها السَّادَةُ ، إماءَكُمْ عَلى الزِّنى ، وَهُنَّ راغِباتٌ في العَفافِ والسَّتْرِ ، لِكي تَنالوا بذلِكَ بَعْضَ المالِ ، وَمَنْ يُجْبِرْ إماءَهُ عَلى الزِّنى فَإنَّ اللهَ تعالى غَفورٌ لَهُنَّ ، رَحيمٌ بِهِنَّ ، لا يُؤاخِذُهُنَّ عَلى ما أُجْبِرْنَ عَلَيْهِ ، أمَّا مَنْ أَجبَرَهُنّ عَلى الزِّنى فإنَّهُ سَيلْقى عَذاباً شَديداً عَلى ذلِكَ .

وَفي التَّعبيرِ عَنِ الإماءِ بـ(فتياتِكم) تَكْريمٌ لَهُنّ ، ورَفْعٌ لِمَنْزِلَتِهِنَّ ، وَفي قَولِهِ تعالى : (إنْ أرَدْنَ تَحَصُّناً) بيانٌ لِفَظاعَةِ الأَمْرِ وَشَناعَتِهِ ، فالأَصْلُ في السَّيِّدِ أنْ يُحْصِنَ أَمَتَهُ ، وَيُعينَها على العَفافِ والطُّهْرِ ، أمَّا أنْ يَأْمُرَها بِالزِّنى وَيُكْرِهَها عَلَيْهِ ، وَهِيَ تُريدُ العِفَّةَ ، وَتَمْتَنِعُ مِنَ الفاحِشَةِ ، فَذلِكَ مُنْتهى الخِسَّةِ والدَّناءَةِ .

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ في هذهِ الآيَةِ أنَّهُ أنْزَلَ لعبادِهِ المُؤْمنينَ في هذهِ السُّورَةِ وَغَيْرِها آياتٍ واضِحاتٍ في نَفْسِها وَمُوَضِّحاتٍ لِغَيْرِها ، وَأنَّهُ فَصَّلَ لِعبادِهِ في هذهِ الآياتِ قِصَصاً وَأمثالاً فيها العِبْرَةُ والهِدايَةُ ، وَفيها مَوْعِظَةٌ يَنْتَفِعُ بِها المُؤْمِنونَ المُتَّقونَ الَّذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَيلتَزِمونَ بِأَمْرِه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ أهَميَّةُ التَّعاوُنِ بَيْنَ المُسْلِمينَ لإعانَةِ بَعْضِهِمْ عَلى قَضاءِ المَصالِحِ ، وَمِنْها إعانَةُ الأيامى عَلى الزَّواجِ .

٢ـ وُجوبُ الاسْتِعْفافِ والصَّبْرِ عِنْدَ عَدَمِ القُدْرَةِ عَلى الزَّواجِ حتَّى يُيَسِّرَ اللهُ الأمْرَ .

٣ـ لا يَنْبَغي أنْ يَكونَ الفَقْرُ عائِقاً مِنَ الزَّواجِ ، فاللهُ تعالى يُعينُ الفَقيرَ الباحِثَ عَنِ العَفافِ بالزَّواجِ .

٤ـ عَلى المُسْلِمِ أنْ يَسْتَشْعِرَ دائِماً أنَّ المالَ للهِ ، فَيُنْفِقَ مِنْهُ فيما يُرضيهِ سُبْحانَهُ .

٥ـ فظاعَةُ إكْراهِ الآخَرينَ عَلى فِعْلِ ما لا يَرْغَبونَ فيهِ ، خاصَّةً إذا كانَ الأمْرُ المُكْرَهُ عَلَيْهِ هُوَ الزِّنى .

٦ـ إذا أُكْرِهَ أَحَدٌ عَلى فِعْلِ شَيْءٍ فَعَمِلَهُ ، وَهُوَ كارِهٌ لَهُ ، فَلا إثْمَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى المُفْرَداتِ التّاليَةِ :

الأيامى ، إمائِكم ، يَبْتَغونَ ، فَتياتِكُمْ ، تَحَصُّناً .

٢ـ بِماذا وَعَدَ اللهُ تعالى الفُقَراءَ الباحِثينَ عَنِ العَفافِ بالزَّواجِ ؟

٣ـ كَيفَ يَسْتَعْفِفُ الّذين لا يَسْتَطيعونَ الزَّواجَ ؟

٤ـ ماذا يَفْعَلُ السَّيِّدُ إذا طَلَبَ مِنْهُ العَبْدُ المُكاتَبَةَ ؟

٥ـ ما فائِدةُ التَّعْبيرِ عَنِ المالِ بأنَّهُ (مِنْ مالِ اللهِ الّذي آتاكُمْ) ؟

٦ـ ما حُكْمُ إكْراهِ الأمَةِ عَلى الزِّنى ؟ وَما حُكْمُ الرِّضى بزنى الأَمَةِ إنْ رَضيَتْ هِيَ بِهِ ؟

٧ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى الآياتِ الّتي أنْزَلَها عَلى رَسولِهِ ﷺ في الآية الرّابِعَة والثّلاثينَ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورَةِ التَّوْبَةِ التي تُبَيِّنُ قُدْرَةَ اللهِ عَلى إغْناءِ الفُقراءِ ، ثُمَّ بَيِّنِ الفَرْقَ بَيْنَها وَبَيْنَ الآيةِ (٣٢) .

❋ ❋ ❋

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ - القِسْمُ الثَّامِنُ

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- اللهُ نورُ السَّماواتِ والأرضِ : مُنَوِّرُهُما .
- مِشْكاةٍ : كُوَّةٍ غيرِ نافِذَةٍ ، وَهِيَ المَكانَ الذي تَكونُ فيهِ الشَّمْعَةُ أَوِ المِصباحُ .
- دُرِّيٌّ : مُضيءٌ متلأْلِىءٌ .
- تُرْفَعَ : تُبْنى وَتُعَظَّمَ .
- بالغُدُوِّ والآصالِ : أوَّلِ النهارِ وَآخِرِه .
- كَسَرابٍ : ما يَتَراءى للنَّاظِرِ أنَّهُ ماءٌ خاصَّةً في وسَطِ النَّهارِ في الصَّحراءِ .
- بِقيعَةٍ : ما انْبَسَطَ مِنَ الأَرْضِ .
- لُجِّيٍّ : كَثيرِ الماءِ .
- يَغْشاهُ : يَعلوهُ .

التَّفسيرُ :

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ المُباركةِ بيانٌ لِعظيمِ أمرِ اللهِ تعالى ، فَهُوَ نُورُ السَّماواتِ والأرْضِ ، وَمِنْ أَسْمائِهِ تعالى : النُّورُ ، وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ : « اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْتَ نورُ السَّماواتِ والأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ »[1] . وَهُوَ سُبْحانَهُ مُنَوِّرُ السَّماواتِ والأرْضِ ، أنارَ السَّماواتِ بالنُّجومِ والكواكِبِ المُضيئَةِ ، وَأَنارَ الأَرْضَ بالآياتِ والشَّرائِعِ والأَحْكامِ وَبَعَثَ الرُّسُلَ ، فَكُلُّ نورٍ حِسِّيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ في هذا الكَونِ اللهُ خالِقُهُ وَمُوهِبُهُ وَهادٍ إليهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ مَثَلَ نورِهِ في قَلْبِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ ، وَأَنَّهُ كَمِشْكاةٍ وَهِيَ الكُوَّةُ في الجِدارِ غَيْرُ النَّافِذَةِ ، فيها مِصْباحٌ ، وَوُجودُ المِصْباحِ في الكُوَّةِ أَجْمَعُ لِنورِهِ ، وَأَحْصَرُ لِضيائِهِ ، فَيَبدو قَوِيّاً مُتَأَلِّقاً ، والمِصْباحُ مَوْجودٌ في قِنْديلٍ مِنَ الزُّجاجِ الصَّافي النَّقِيِّ ، لِيَزيدَ مِنْ تَوَهُّجِ النُّورِ وَقُوَّتِهِ ، وَهذِهِ الزُّجاجَةُ مِنْ شِدَّةِ نَقائِها كأَنَّها كَوْكَبٌ مُضيءٌ مُتَلأْلِئٌ ، وَهذا المِصْباحُ يُوقَدُ مِنْ زَيْتِ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ كَثيرةِ المَنافِعِ ، هِيَ شَجَرَةُ الزَّيتونِ ، وَوُصِفَتِ الشَّجَرَةُ بِأَنَّها لا شَرْقِيَّةٌ وَلا غَرْبِيَّةٌ ، أي أنَّها تَقَعُ في أرْضٍ فَضاءٍ ، لا يَقَعُ حَوْلَها بُيوتٌ أوْ جِبالٌ يَجْعَلُها تَقَعُ في شَرْقِها أوْ غَرْبِها ، وَهذا يَعني أَنَّها تَتَعَرَّضُ لأَشِعَّةِ الشَّمْسِ طَوالَ النَّهارِ ، يَزيدُ في حُسْنِ ثِمارِها وَقُوَّتِها وَجَمالِها ، وَزَيْتُ هَذهِ الشَّجَرَةِ مِنْ شِدَّةِ حُسْنِهِ وَجَوْدَتِهِ يَكادُ يُضيءُ دونَ أنْ تَمَسَّهُ النَّارُ ، فَهُوَ في أَعْلى دَرَجاتِ الجَوْدَةِ ، وَأَقصى مَنازِلِ الحُسْنِ والصَّفاءِ ، فَهُوَ نُورٌ عَظيمٌ مُتَضاعِفٌ ، اجْتَمَعَ فيهِ ضَوْءُ المِصْباحِ والزُّجاجَةِ والزَّيْتِ ، واللهُ تَعالى يُوَفِّقُ مَنْ يشاءُ مِنْ عِبادِهِ لاتِّباعِ نُورِهِ ، وَيَضْرِبُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ تَقريباً لإِفْهامِهِمْ لِيَعْتَبِروا وَيَتَّعِظوا بما فيها مِنَ الحِكَمِ العَظيمَةِ ، وَهُوَ سُبْحانَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ ، لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الخَلْقِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أَكْثَرَ الأَماكِنِ والأَشْخاصِ انْتِفاعاً بنورِهِ فَقالَ :

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾

هؤلاءِ الَّذينَ يَذكرونَ اللهَ تَعالى وَيُسَبِّحونَهُ في المَساجِدِ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ تَعَرُّضاً لِنورِهِ وانْتِفاعاً بِهِ ،

---

(١) رواهُ البُخاريُّ في كتابِ الجُمْعَةِ ، رقم الحديثِ : ١٠٥٣ ، ورواه مُسْلِمٌ في كتاب صلاةِ المُسافرينَ ، رقم الحديثِ : ١٢٨٨ .

وَهُمْ يَتقرَّبونَ إلى اللهِ تَعالى بالصَّلاةِ والدُّعاءِ وَسائرِ أَنْواعِ الذِّكْرِ في تِلْكَ المَساجِدِ أوَّلَ النَّهارِ وَآخِرَهُ ، وَفي غيرِ ذلِكَ مِنَ الأَوْقاتِ الَّتي أمَرَ اللهُ تعالى بِعبادَتِهِ فيها .

وَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ أَمَرَ بِرَفْعِ شَأْنِ المَساجدِ وَتَعظيمِها وتَطهيرِها مِنَ الأَقْذارِ والنَّجاساتِ ، وَعَدَمِ فِعْلِ أيِّ أَمْرٍ قَبيحٍ فيها ، والاعتناءِ بها وَبِبنائِها والبَذْلِ والإنفاقِ في سَبيلِ اللهِ ، فإنَّهُ مِنْ أعْظَمِ أبوابِ الخَيْرِ .

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

هؤلاءِ الرِّجالُ لا تَشْغَلُهُمُ التِّجارَةُ مَهْما عَظُمَتْ ، وَلا يُلهيهِمُ البَيْعُ مَهْما اشتَدَّتْ حاجَتُهُمْ إليْهِ عَنْ ذكرِ اللهِ ، وَإقامِ الصَّلاةِ في مَواقيتِها ، وَأداءَ الزَّكاةِ لِمُستَحِقِّيها ، لأنَّهُمْ يَخافونَ يَوْماً شَديداً تَضطَرِبُ فيه القُلوبُ والأَبْصارُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ والفَزَعِ .

وَخَصَّ سُبْحانَهُ الرجالَ بالذِّكْرِ في الآيةِ لأنَّهُمْ في الغالِبِ أَهْلُ التِّجارَةِ والبَيْعِ ، وَلأنَّ النِّساءَ غَيْرُ مَأْموراتٍ بِصَلاةِ الجماعَةِ في المَساجِدِ ، وَخَصَّ سُبْحانَهُ البَيْعَ بالذِّكْرِ بَعْدَ التِّجارَةِ مَعَ انْدِراجِهِ فيها لأنَّهُ أَقْوى في الإلْهاءِ عَنِ الصَّلاةِ لِحِرْصِ التَّاجِرِ عَلَيْهِ طَلَباً لِلرِّبْحِ .

﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

هؤلاءِ الرِّجالُ يُكْثِرونَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تعالى وَتَسبيحِهِ دونَ أنْ يَشْغَلَهُمْ عَنْ ذلِكَ شاغِلٌ لأنَّهُمْ يَرْجونَ أنْ يُثيبَهُمُ اللهُ تعالى عَلى ذَلِكَ أعْظَمَ الثَّوابِ وَأَحْسَنَهُ ، وَأنْ يَزيدَهُمْ مِنْ كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ ، واللهُ سُبْحانَهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِلا حَدٍّ وَلا عَدٍّ وَلا حَصْرٍ ؛ لأنَّ خَزائِنَهُ لا تَنْفَدُ ، وَأَوْلى النّاسِ بِرِزْقِ اللهِ وَفَضْلِهِ عِبادُهُ الصّادِقونَ الَّذين لا يُلْهيهِم عَنْ عبادَتِهِ شَيْءٌ مَهْما كانَ حَبيباً لِلنَّفْسِ مَرْغوباً فيهِ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ حالَ المُؤْمِنينَ ، أَتْبَعَهُ بِبَيانِ حالِ الكافِرينَ ، فَقَدْ بَيَّنَ أنَّ أعمالَهُمُ الصَّالحَةَ التي يَعْملونَها في الدُّنيا كَصِلَةِ الرَّحِمِ والصَّدَقَةِ لا ثَوابَ لَهُمْ عليها ، وَهِيَ كَسَرابٍ بِأَرْضٍ مُنْبَسِطَةٍ ، يَظُنُّهُ العَطْشانُ ماءً وَما هُوَ بِماءٍ وَلكِنَّهُ سَرابٌ خادِعٌ لا حَقيقةَ لَهُ ، فَإذا جاءَهُ العَطْشانُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللهَ لَهُ بِالمِرصادِ فَوَفّاهُ جَزاءَ عَمَلِهِ واللهُ سَريعُ الحِسابِ ، يُحاسِبُ العِبادَ جَميعاً في لَحَظاتٍ يَسيرَةٍ ، فَلا ثَوابَ لِلْكافِرينَ عَلى أَعْمالِهِمُ الصَّالِحَةِ الَّتي يَظُنُّونَها نافِعةً لَهُمْ ، وَسيُخَيِّبُ أمَلَهُم في الآخِرَةِ ، وَتَشْتَدُّ حَسْرَتُهُمْ .

وَخَصَّ سُبْحانَهُ العَطْشانَ بِالذِّكْرِ في الآيَةِ ، مَعَ أَنَّ كُلَّ مَنْ يرى السَّرابَ يَظُنُّهُ ماءً ، لِأَنَّ الذي اشتَدَّ بِهِ العَطَشُ أشدُّ حِرْصاً عَلى طَلَبِ الماءِ مِنْ غيرِهِ .

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

هذا مَثَلٌ آخرُ لِأَعْمالِ الكافِرينَ ، وَمَثَلُها كَظُلُماتٍ في بَحْرٍ عَميقٍ كَثيرِ الماءِ ، يَعلوهُ مَوْجٌ عظيمٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ آخَرُ أَشَدُّ مِنْهُ ، وَفَوْقَ تِلْكَ الأَمْواجِ الهائِلَةِ الكَثيفَةِ سَحابٌ مُتراكِمٌ قاتِمٌ ، وَهِيَ ظُلُماتٌ مُتكاثِفَةٌ مُتراكِمَةٌ فَوقَ بَعْضٍ ، لِدَرَجَةِ أَنَّ الإِنْسانَ الواقِعَ في هَذِهِ الظُّلُماتِ إذا أَخْرَجَ يَدَهُ ، وَجَعَلَها قَريبَةً مِنْ عَيْنِهِ لِيَنْظُرَ إِليْها لَمْ يَكَدْ يَراها ، وَهِيَ أَقْرَبُ شَيْءٍ إِليْهِ لِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ ، وَمَنْ لَمْ يهدِهِ اللهُ للإيمانِ وَيُنَوِّرْ قَلْبَهُ بنورِ الإيمانِ لَمْ يَهْتَدِ أبَداً .

وَفي هذا المَثَلِ ثَلاثُ ظُلُماتٍ هِي : ظُلْمَةُ البَحْرِ ، وَظُلْمَةُ المَوْجِ ، وَظُلْمَةُ السَّحابِ ، في مُقابِلِ ظُلُماتِ الكافِرِ الثَّلاثِ وَهِيَ : ظُلْمَةُ الاعْتِقادِ ، وَظُلْمَةُ القَوْلِ وَظُلْمَةُ العَمَلِ .

والكافِرُ لا يَنْتَفِعُ مِنْ أعْمالِهِ الصَّالِحَةِ لِأَنَّها لا تَقومُ عَلى أَساسِ الإيمانِ الَّذي بِهِ تُقْبَلُ الأَعْمالُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ اللهُ مُنَوِّرُ السَّمواتِ والأرْضِ وَكُلُّ نورٍ فيهِما فَهُوَ مَصْدَرُهُ .

٢ـ في الآيةِ ضُرِبَ مَثَلٌ لِنورِ اللهِ في قَلْبِ العَبْدِ المُؤْمِنِ المُسْتَمَدِّ مِنْ كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ .

٣ـ أَفْضَلُ أَنْواعِ الزُّيوتِ ما كانَ مَصدَرُهُ زَيتونَةٌ لا يُوجَدُ ما يَحْجُبُ عَنْها ضَوْءَ الشَّمْسِ .

٤ـ اسْتِحْسانُ ضَرْبِ الأَمْثالِ لِتَقريبِ المَعنى .

٥ـ وُجُوبُ الاعْتِناءِ بِالمَساجِدِ وَبِنائِها وَتَعظيمِ شَأْنِها .

٦ـ المُؤْمِنُ الحَقُّ لا يُلْهيهِ عَنِ الصَّلاةِ وَذِكْرِ اللهِ أَيُّ أمْرٍ مَهْما عَظُمَ .

٧ـ لا ثوابَ لِلكافِرِ عَلى عَمَلِهِ الصَّالِحِ لِأَنَّهُ لا يَرْجو بِهِ وَجْهَ اللهِ تعالى ، وَلا يَسْتَنِدُ إلى الإيمانِ بِهِ .



أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعنى ما يَلي : المِشكاةِ ، دُرِّيّ ، سَرابِ ، قِيعَةٍ ، لُجِّيّ .

٢ـ بيِّنِ المَثَلَ الذي ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِنورِهِ .

٣ـ بِماذا امتَدَحَ اللهُ تعالى شَجَرَةَ الزَّيْتونِ ؟

٤ـ ما المُرادُ بِقولِهِ تعالى (أنْ تُرْفَعَ) ؟

٥ـ وَصَفَ اللهُ تعالى الرِّجالَ المَذكورينَ في الآيةِ بِأُمورٍ . ما هِيَ ؟

٦ـ ضَرَبَ اللهُ مَثَلَيْنِ لأَعْمالِ الكافِرينَ . بَيِّنْهُما .

نَشاطٌ :

١ـ عَدِّدْ مَعَ زُمَلائِكَ فَوائِدَ شَجَرَةِ الزَّيْتونِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ حَديثاً شَريفاً يَحُثُّ عَلى بِناءِ المَساجِدِ .

٣ـ ارْجِعْ إلى مَرْجِعٍ يَبْحَثُ في البِحارِ والمُحيطاتِ ، واكتبْ مَوْضوعاً في حُدودِ الصَّفْحَةِ عَنِ الأَمْواجِ في البِحارِ ، واقْرَأْهُ عَلى طَلَبَةِ مَدْرَسَتِكَ في طابورِ الصَّباحِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسُ والثَّلاثونَ

سورَةُ النُّورِ - القِسْمُ التّاسِعُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **صافَّاتٍ** : باسِطاتٍ أَجْنِحَتَها في الهواءِ .
- **يُزْجي** : يَسوقُ بِرِفْقٍ .
- **رُكاماً** : مُجْتَمِعاً بَعضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .
- **الوَدْقَ** : المَطَرَ .
- **خِلالِهِ** : أَجْزائِهِ وَمَخارِجِهِ .
- **جِبالٍ** : المُرادُ بِها هُنا قِطَعُ السُّحُبِ العَظيمَةِ .
- **سَنا بَرْقِهِ** : لَمَعانُ ضَوْءِ البَرْقِ .



التَّفسيرُ :

في آياتِ هذا الدَّرْسِ عَدَدٌ مِنَ الأدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، وَقُدْرَتِهِ المُطْلَقَةِ وَتَصرُّفِهِ في هذا الكَوْنِ بِما يَشاءُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

أيْ : لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسول ، عِلْماً يَقينِيّاً يُشْبِهُ المُشاهَدَةَ أنَّ اللهَ تعالى يُقَدِّسُهُ وَيُنَزِّهُهُ عَنْ كُلِّ سوءٍ جَميعُ المَخْلوقاتِ الّتي في السَّماوات ، وَجَميعُ المَخلوقاتِ الَّتي في الأرْضِ ، وَتُسَبِّحُ لَهُ ، وتُقَدِّسُهُ الطَّيْرُ ، حالَ كَوْنِها باسِطَةً أجنِحَتَها في الجَوِّ لا يُمْسِكُها وَيَحْفَظُها إلاَّ اللهُ . وَتَخْصيصُ ذِكْرِ الطَّيْرِ مَعَ اندِراجِها فيما سَبَقَ لِعَدَمِ استِقرارِها بِصِفَةٍ دائِمَةٍ عَلى الأَرْضِ ، وَتَخصيصُ ذِكرِها حالَ بَسْطِها أجْنِحَتَها لأنَّ هذِهِ الحالَةَ مِنْ أعْجَبِ حالاتِها ، حَيْثُ تَكونُ مُسْتَقِرَّةً في الجَوِّ مَعَ بَسْطِ أجْنِحَتِها دونَ تَحريكٍ لَها ، مِمَّا يَدُلُّ عَلى بَديعِ خَلْقِ اللهِ وَإحكامِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ كُلَّ صِنْفٍ مِنْ هذِهِ المَخلوقاتِ الَّتي تَذْكُرُ اللهَ وَتُسَبِّحُهُ قَدْ عَلِمَ طَريقَهُ وَمَسْلَكَهُ في عِبادَةِ اللهِ ، بِكَيفِيَّةٍ لا يَعْلَمُها ، وَلا يُحيطُ بِها إلاَّ اللهُ . فَهُوَ سُبْحانَهُ عالِمٌ بِكُلِّ ما يَفعَلْهُ خَلْقُهُ وَيَعْمَلونَهُ .

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

أيْ أنَّ اللهَ تعالى هُوَ المالِكُ والمُتَصَرِّفُ في هذا الكَونِ ، وَجَميعُ المَخلوقاتِ تَحْتَ مُلْكِهِ يَتَصَرَّفُ فيهِم تَصَرُّفَ المالِكِ القادِرِ كَما يَشاءُ ، وَإليْهِ وَحْدَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مَرْجِعُ الخلائِقِ وَمَصيرُها كُلِّها فَيُجازيهِم عَلى أَعْمالِهِمْ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

لَقَدْ عَلِمْتَ ، أيُّها الرَّسولُ ، وَرَأيْتَ مِنْ بَديعِ صُنْعِ اللهِ أنَّه ـ سُبْحانَهُ ـ يَسوقُ بِقُدْرَتِهِ السَّحابَ الَّذي في السَّماءِ سَوْقاً رَفيقاً إلى حَيْثُ يُريدُ ، ثُمَّ يَصِلُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَيَجْمَعُهُ ، فَيُصْبِحُ مُتَراكِماً فَإذا صارَ كَذلِكَ خَرَجَ المَطَرُ مِنْ بَيْنَ فُتوقِ هذا السَّحابِ وَأَجْزائِهِ ، كَما أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ يُنَزِّلُ مِنَ السُّحُبِ الَّتي تُشْبِهُ الجِبالَ في عَظَمَتِها البَرَدَ ، وَهُوَ قِطَعُ الماءِ المُتَجَمِّدِ بِما يُشْبِهُ صِغارَ الحَصى ، فَيُصيبُ اللهُ بِهذا البَرَدِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ ، وَيَمْنَعُهُ عَمَّنْ يَشاءُ حَسَبَما جَرَتْ بِهِ حِكْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ لَمعانَ البَرْقِ الصَّادِرِ مِنَ السُّحُبِ مِنْ شِدَّتِهِ يَكادُ يَخْطَفُ الأَبْصارَ مِنْ شِدَّةِ الإضاءَةِ والسُّرْعَةِ .

﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾

يُبَيِّنُ اللهُ تعالى قُدْرَتَهُ في تَصْريفِ اللَّيْلِ والنَّهارِ بِأنْ يَجْعَلَهُما مُتعاقِبَيْنِ ، وَيزيدُ في أحَدِهِما ما يُنْقِصُ مِنَ الآخَرِ ، ويُغَيِّرُ أحوالَهُما مِنْ بُرودَةٍ وَحَرارَةٍ ، وَذلكَ مِنْ أعْظَمِ العِبَرِ لأُولي البَصائِرِ والعُقولِ عَلى كَمالِ قُدْرَتِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بَيانٌ لأَصْلِ خَلْقِ الحَيواناتِ ؛ فَكُلُّ حَيوانٌ يَدِبُّ وَيَسْعى فَوْقَ سَطْحِ الأرْضِ ، أو في جَوْفِها ، أو في مائِها ، خَلَقَهُ اللهُ تعالى مِنْ ماءٍ ، وَهِيَ النُّطْفَةُ التي أوْجَدَها اللهُ تعالى في هذهِ المَخْلوقاتِ وَجَعَلَها أصْلاً لِلكائِناتِ الحَيَّةِ ، كما جَعَلَ ـ سُبْحانَهُ ـ تَكْوينَ مُعْظَمِ الأجْسادِ مِنْ ماءٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ نَوَّعَ في كَيْفِيَّةِ حَرَكَةِ هذهِ الدَّوابِّ ، فَمِنها ما يَزْحَفُ عَلى بَطْنِهِ كَّالأفاعي ، وَمِنْها ما يَمْشي عَلى رِجْلَيْنِ ، كالإنسانِ والطُّيورِ ، وَمِنْها ما يَمْشي عَلى أربَعٍ كالحيواناتِ مِنَ الإبلِ والبَقَرِ والغَنَمِ ، يَخْلُقُ اللهُ ما يشاءُ خَلْقَهُ مِنْ هَذِهِ الدَّوابِّ وَغَيْرِها ، وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قادِيرٌ .

﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أيْ : لَقَدْ أَنْزَلْنا في هذا القُرْآنِ آياتٍ مُوَضِّحاتٍ وَمُفَصِّلاتٍ لِكُلِّ ما فيها مِنْ أَحْكامٍ ، واللهُ يَهْدي ، وَيُوَفِّقُ مَنْ يشاءُ هِدايَتَهُ إلى ما يُوصِلُهُ إلى الحَقِّ والفَوْزِ بالجَنَّةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ كلُّ ما في الكَوْنِ يُسَبِّحُ اللهَ ، وَيُقَدِّسُهُ ، وَيَعْبُدُهُ ، وَفيهِ دَليلٌ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى .

٢ـ اللهُ مالِكُ السَّمواتِ والأرضِ فَلا مَعبودَ إلا هُوَ .

٣ـ بَيانُ الطَّريقَةِ التي يَتكوَّنُ فيها السَّحابُ وَيَتَنَزَّلُ فيها المَطَرُ .

٤ـ كُلُّ دوابِّ الأَرْضِ مَخلوقَةٌ مِنْ ماءٍ .

٥ـ مِنْ لُطْفِ اللهِ ـ تعالى ـ بِعِبادِهِ أنْ يَصْرِفَ عَنْهُمُ البَرَدَ لِئلاَّ يُؤْذِيَ زَرْعَهُمْ وَماشِيَتَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبيحَهُ﴾ ؟

٢ـ ما وَجْهُ تَخْصيصِ ذِكْرِ الطَّيْرِ حالَةَ كَوْنِها صافَّاتٍ أَجْنِحَتَها ؟

٣ـ اذكُر ، عَلى شَكْلِ نِقاطٍ ، مَراحِلَ تَكَوُّنِ السَّحابِ والمَطَرِ .

٤ـ أـ بِماذا وَصَفَ اللهُ تعالى السُّحُبَ التي تُنْزِلُ البَرَدَ ؟

ب ـ صِفِ البَرْقَ الذي يُصاحِبُ نُزولَ البَرَدِ .

٥ـ ما مَعنى ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ والنَّهارَ﴾ ؟

٦ـ اذكُرْ أَصْنافَ الدَّوابِّ الَّتي ذَكَرَتْها الآيَةُ الكَريمَةُ ، مَعَ مِثالٍ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْها .

٧ـ اذكُرْ ثَلاثاً مِنَ الحَقائِقِ العِلْمِيَّةِ التي ذَكَرَتْها آياتُ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ آيَةَ سورَةِ المُلْكِ الَّتي تَصِفُ الطَّيْرَ حالَ طَيَرانِها .

٢ـ صِفْ ما يُشاهِدُهُ راكِبُ الطائِرَةِ مِنْ مَشْهَدِ الغُيومِ المُتراكِمَةِ التي تُشْبِهُ الجِبالَ في عَظَمَتِها وارتِفاعِها وَشَكْلِها ، وَدَوِّنْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِثالاً لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هذهِ الدَّوابِّ :

أـ ما يَمْشي عَلى بَطْنِهِ .

ب ـ ما يَمْشي عَلى رِجْلَيْنِ .

ج ـ ما يَمْشي عَلى أَرْبَعٍ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ - القِسْمُ العاشِرُ

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُذعِنينَ : مُنقادِينَ مُطيعينَ .

ارْتابوا : شَكّوا .

يَحيفَ : يَجورَ وَيَظْلِمَ .

التَّفسيرُ :

في آياتِ الدَّرْسِ ذِكْرٌ لِبَعْضِ صفاتِ المُنافِقينَ ، وَفي مُقابِلِها بَعْضُ صِفاتِ المُؤْمنينَ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ جانِباً مِنْ حالِ المُنافقينَ ؛ فَهُمْ يقولونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ : آمَنّا باللهِ وبالرَّسولِ ،

وأطَعْنا اللهَ ورسولَهُ في كلِّ أمرٍ ، ثُمَّ يُعْرِضُ جماعَةٌ ، مِنْ بَعْدِ قولِهِمْ هذا ، مُتغافِلينَ عَمَّا يَتطَلَّبُهُ الإيمانُ منَ الالتزامِ بشريعةِ اللهِ وَأوامرِه ، إنَّ هؤلاءِ المُنافِقينَ لَيْسوا بِمُؤْمنينَ ؛ فما في قُلوبِهِمْ مُخالفٌ لِما تَقولُهُ ألسنَتُهُمْ ، والإيمانُ عِنْدَهُمْ مُجرَّدُ دَعوى لا حَقيقة لَها .

﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

إذا دُعِيَ هؤلاءِ المُنافِقونَ إلى كِتابِ اللهِ وَإِلى رَسولِ اللهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فيما يَعْرِضُ لَهُمْ مِنْ خُصوماتٍ وَقَضايا ، لا يُعْجِبُهُمْ ذلكَ الأمْرُ ، وَلا يَسْتجيبونَ لَهُ ، بَلْ يُعْرِضونَ عَنِ الاحتِكامِ إلى كتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ ، لأنَّ حُكْمَ اللهِ لا يُوصِلُهُمْ إلى أغْراضِهِمْ ، وَلأنَّهُ حُكْمٌ عادِلٌ يُنْصِفُ المَظلومَ ، ولَوْ كانَ كافِراً ، وَيَدينُ الظّالِمَ ، وَلَوْ لَبِسَ ثِيابَ المُؤْمِنينَ .

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

وإنْ يَكُنْ لِهؤلاءِ المُنافقينَ الحَقُّ في خُصوماتِهِمْ مَعَ غَيْرِهِمْ يُسرعونَ إلى الاحْتِكامِ إلى كِتابِ اللهِ ، وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ ، لأنَّهُمْ حينَئِذٍ يَعْلَمونَ أنَّهُمْ سَيَصِلونَ إلى حَقِّهِم ، فالرَّسُولُ ﷺ لا يَحْكُمُ إلا بالحَقِّ والعَدْلِ وَلَوْ لأبْعَدِ النّاسِ عَنْهُ . فَهُمْ ، والحالَةُ هذِهِ ، يَنْطَلِقونَ مِنْ مَصالِحِهِمْ وهوى أنفُسِهِمْ

﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

أي : ما بالُ هؤلاءِ المُنافِقينَ يُعْرِضونَ عنْ أحكامِ الإسلامِ ، وَلا يَقْبَلونَ بحُكْمِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلاَّ إذا كانَ الحَقُّ مَعَهُمْ ؟ أهذا لأنهم مرضى القلوبِ بالنِّفاقِ ؟ أمْ سَبَبُهُ أنَّهُمْ يَشُكّونَ في صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ؟ أمْ سَبَبُهُ أنَّهُمْ يخافونَ أنْ يَظلِمَهُمُ اللهُ تعالى في حُكْمِهِ ؟ أوْ أنْ يَظْلِمَهُمُ الرّسولُ ﷺ في قضائِهِ ؟ إنَّ السَّبَبَ الذي انْبَثَقَتْ مِنْهُ كُلُّ هذهِ الآفاتِ هُوَ كَوْنُهُمْ ظالِمينَ ، والظُّلْمُ وَضْعُ الأمورِ في غَيرِ مَوْضِعِها ، فَهُمْ ظالِمونَ لأنفسهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ ، وَلا يُحِبّونَ العَدْلَ بِسَبَبِ نِفاقِهِمْ وَفَسادِ قُلوبِهِمْ .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ هذه الآيَةُ مَوْقِفَ المُؤْمِنينَ في مُقابِلِ مَوْقِفِ المُنافِقينَ ، فَإنَّ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ أنَّهُم إذا دُعوا إلى الاحتكامِ إلى شرْعِ اللهِ وَكِتابِهِ ، وَإلى رَسولِهِ ﷺ فإنَّهُمْ يُسارِعونَ إلى الاسْتِجابَةِ ، ويقولونَ : سَمِعْنا وَأَطَعْنا ، وَيَلْتَزِمونَ بما يَسْمَعونَ وَيَعْلَمونَ مِنْ حُكْمِ اللهِ تعالى دونَ تَرَدُّدٍ أو تَباطُؤٍ . وتُخْتَمُ الآيَةُ بِمَدْحِ هؤلاءِ المُؤْمنينَ ، وَتُشيرُ إلى أنَّهُمْ هُمُ المُفلِحونَ في الدُّنيا والآخرَةِ .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَقريرُ مَضمونِ الآيةِ السَّابقَةِ ، وَفيها الإخْبارُ بأنَّ مَنْ يُطِعْ أَمْرَ اللهِ تَعالى وَأَمْرَ رَسولِهِ ﷺ في كُلِّ قَولٍ وَفِعْلٍ ، وَيَقبلْ بِحُكْمِ الرَّسولِ ﷺ ، وَيَرْضَ بهِ ، وَيَخَفِ اللهَ تعالى ، وَيَتَّقِهِ في أَعْمالِهِ فَأُولئكَ المَوصوفونَ بِهذهِ الصِّفاتِ هُمُ الفائِزونَ بِالأَجْرِ العَظيمِ في جَنَّاتِ النَّعيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ التَّحاكُمِ إلى كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ ﷺ .

٢ـ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ اللهِ تعالى ، وَلا بِحُكْمِ رَسولِهِ ﷺ فَهُوَ مُنافِقٌ ظاهِرُ النِّفاقِ .

٣ـ وُجوبُ المُسارَعَةِ إلى طاعَةِ اللهِ تعالى والتزام أَمْرِهِ .

٤ـ طاعةُ اللهِ تعالى سَبَبٌ لِلفلاحِ والفَوْزِ بِالجَنَّةِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ذمَّ اللهُ تعالى المُنافقينَ في هذهِ الآياتِ بِذِكْرِ عَدَدٍ مِنْ صفاتِهِمْ . اذْكُرْها .

٢ـ لِماذا يُعْرِضُ المُنافِقونَ حينَ يُدْعَوْنَ إلى حُكْمِ اللهِ تعالى ؟

٣ـ في أيِّ حالٍ يَستَجيبُ المُنافِقونَ لِحُكْمِ الحَقِّ وَيأْتونَ إليْهِ مُسْرِعينَ ؟

٤ـ وازِنْ بَيْنَ صِفاتِ المُؤْمِنينَ والمُنافِقينَ المَذكورَةِ في هذهِ الآياتِ .

٥ـ اسْتَخرِجْ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ ما يَدُلُّ عَلى المَعاني التَّاليةِ :

أـ المُنافقونَ لَيْسوا مِنَ المُؤْمِنينَ .

ب ـ إذا عَلِمَ المُنافِقُ أنَّ الحُكْمَ سَيَكونُ لِصالِحِهِ أَسْرَعَ إلى الاسْتِجابَةِ والرِّضا بِالحُكْمِ .

ج ـ مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ أَنَّهُمْ يَخافونَ أَنْ يَظْلِمَهُمُ اللهُ سُبْحانَهُ ، وَأَنْ يَظْلِمَهُمْ رَسولُهُ ﷺ .

دـ شِعارُ المُؤْمِنين قَوْلُهُمْ سَمِعْنا وَأَطَعْنا .

هـ ـ طاعَةُ اللهِ تعالى ، وَطاعَةُ رسولِهِ ﷺ تُؤَدِّيانِ إلى الفَوْزِ بِالجَنَّةِ .



١ـ اذكُرِ الآيَةَ في أوائِلِ سُورَةِ البَقَرَةِ الّتي تُشْبِهُ الآيَةَ (٤٧) في مَضْمونِها ، واكتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورَةِ الحَجِّ التي تُبَيِّنُ حالَ بَعْضِ النَّاسِ الَّذينَ يَعْبدونَ اللهَ عَلى حَرْفٍ .

٣ـ اكْتُبْ خَمْساً مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ التي لَمْ تُذكَرْ في الآياتِ (٤٧ـ٥٢) ، وَبَيِّنْ كَيفَ يُمْكِنُ لِلمُسْلِمِ أنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هذِهِ الصِّفاتِ السَّيِّئَةِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جَهْدَ أَيْمانِهِمْ : مُجْتَهِدينَ في الحَلْفِ ، مُقْسِمينَ الأَيْمانَ المُغَلَّظَةَ .

عَلَيْهِ ما حُمِّلَ : ما أُمِرَ بِهِ .

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ : يَجْعَلُهُمْ خُلفاءَ مُتَصَرِّفينَ في الأَرْضِ ، يَخلُفُ بَعْضُهم بَعْضاً .

مُعْجِزين : قادِرينَ عَلى الهَرَبِ مِنْ عَذابِ اللهِ .

التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ عَوْدٌ لاسْتِكْمالِ الحَديثِ عَنِ المُنافِقينَ ، وَبيانٌ لِوَعْدِ اللهِ الحَقِّ لِلمُؤْمِنينَ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُواْ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وَأَقْسَمَ هَؤلاءِ المُنافِقونَ أَوْثَقَ الأَيْمانِ ، واجْتَهَدوا في تَوْكيدِها ، بأَنَّهُم حينَ يَأْمُرُهُمْ الرَّسولُ ﷺ بالخُروجِ مَعَهُ إلى الجِهادِ سَيَخْرجونَ مَعَهُ مُسْرِعينَ تَلْبِيَةً لأَمْرِهِ ، وَلَمَّا كانَتْ مَقولَتُهُمْ هذِهِ كاذِبَةً ، أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقولَ لَهُمْ : لا تُقْسِموا ؛ فإِنَّ أَيْمانَكُمْ كاذِبَةٌ ، وَطاعَتَكُمْ مَعروفٌ أَمْرُها ، وَمَفروغٌ مِنْها ؛ فَهِيَ طاعَةٌ بِاللِّسانِ فَقَطْ ، وَأَفْعالُكُمْ تُكَذِّبُها . وَإِنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ عَلى جَميعِ أَعْمالِكُمْ فَلا يَحْتاجُ مِنْكُمْ إلى قَسَمٍ أَوْ تَوْكيدٍ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ كاذِبونَ في حَلِفِكُمْ ، كما يَعْلَمُ ما تُضمِرونَهُ مِنْ نِفاقٍ وَضَلالٍ . وَهذا غايَةٌ في تَهديدِهِمْ ، وَفَضْحِ خفاياهُمْ .

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

قُلْ ، أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ، لِهؤلاءِ المُنافِقينَ أَنْ يُطيعوا اللهَ تعالى ، وَأَنْ يُطيعوا رَسولَهُ ﷺ طاعَةً صادِقَةً فَإِنَّها هِيَ الَّتي تُقْبَلُ مِنْهُمْ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَلْتَزِموا بِطاعَةِ اللهِ وَرَسولِهِ ، فَقَدْ فَعَلْتَ ما أُمِرْتَ بِهِ مِنْ تَبليغِهِمْ ، وَإِنذارِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلوا ما أُمِروا بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ والانْقِيادِ ، وَهُوَ ﷺ فَعَلَ ما أُمِرَ بِهِ ، فافْعَلوا مِثْلَهُ ، والْتَزِموا بِأَمْرِهِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ أَطَعْتُموهُ ، فيما يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهاكُمْ عَنْهُ ، تَهتَدوا إلى الحَقِّ ، وَتَظْفَروا بالسَّعادَةِ . وَلَيْسَ عَلى رَسولِ اللهِ ﷺ إلاَّ التبليغُ الواضِحُ ، والنُّصْحُ الأَمينُ لَكُم ، وَلا ضَرَرَ عَلَيْهِ إِنْ خالَفْتُمْ وَعَصَيْتُمْ ؛ فَقَدْ قامَ بِواجِبِ التَّبْليغِ والإنذارِ خَيْرَ قِيامٍ .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : لَمَّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحابُهُ المَدينَةَ ، وَآواهُمُ الأَنْصارُ ، رَمَتْهُمُ العَرَبُ عَنْ قَوْسٍ واحِدَةٍ ، وَكانوا لا يَبيتونَ إلا بالسِّلاحِ ، وَلا يُصبِحونَ إلاَّ فيهِ ، فَقالوا : تَرَوْنَ أَنَّا نعيشُ حين نَبيت آمنينَ مُطْمَئِنِّينَ لا نَخافُ إلاَّ اللهَ ، فَنَزَلَتْ (وَعَدَ اللهُ . . . . . .)[1] .

هذِهِ بِشارَةٌ عَظيمَةٌ لِلمُؤْمنينَ ، وَوَعْدٌ مِنَ اللهِ تعالى لا يَتَخَلَّفُ وَلا يَتَأَخَّرُ ، فَإِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِفَضْلِهِ وَإِحسانِهِ وَعَدَ الذينَ صَدَقوا في إِيمانِهِمْ مِنْ عبادِهِ ، وَعَمِلوا العَمَلَ الصَّالِحَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ خُلَفاءَ في

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠١ .

الأَرْضِ ، يَتَصَرَّفُونَ فيها تَصَرُّفَ أَصْحابِ العِزَّةِ والسُّلْطانِ ، كما حَصَلَ مع الذين مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الأُمَمِ المُؤْمِنَةِ الَّذين مَكَّنَ اللهُ تعالى لَهُمْ في الأَرْضِ بَعْدَ إهْلاكِ الكافرين والمُكَذِّبين مِنْ أقوامِهِمْ .

وَوَعَدَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ أَنْ يَجْعَلَ دينَهُمُ الَّذي ارتضاهُ لَهُمْ ، وهُوَ الإسلامُ ، ثابتاً في القلوب ، وَراسِخاً في النُّفوسِ ، عَزيزاً مَكيناً عالياً عَلى كُلِّ الأَدْيان ، وَتَضَمَّنَ وَعْدُ الله تعالى للمُؤْمنينَ أنْ يَمْنَحَهُمُ الأَمْنَ بَعْدَ الخَوْفِ ، والاطْمِئْنانَ بَعْدَ الفَزَعِ ، وَتَحَقُّقُ هذ الوَعْدِ من اللهِ تعالى لِعبادِهِ يتطَلَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يَعْبُدوهُ ـ سُبحانَهُ ـ دونَ أَنْ يُشْرِكوا مَعَهُ في العِبادَةِ أحداً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ كُلِّ هذِهِ النِّعَمِ وهذا العَطاءِ الجَزيلِ ، فَأُولئك هُمُ الفاسقونَ الخارجونَ عَنْ طاعةِ اللهِ المُسْتوجبونَ لِعقابِهِ .

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

يَأْمُرُ اللهُ تعالى عِبادَهُ الَّذينَ مَكَّنَ لَهُمْ في الأَرْضِ أَنْ يُحافِظوا على الصَّلاةِ ، وَأَنْ يُؤَدُّوها على الوجْهِ المطلوبِ بِخُشوعٍ وَصِدْقِ تَوَجُّهٍ ، وَأَنْ يُؤتوا الزكاةَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّها مِنَ المُحْتاجينَ ، وَأَنْ يُطيعوا الرَّسولَ ﷺ طاعَةً تامَّةً في كُلِّ ما يَأْمُرُ بِهِ ، وَيَنْهى عَنْهُ ، لَعَلَّهُمْ بِسَبَبِ هذِهِ العِبادَةِ ، والطَّاعةِ يَنالونَ رَحْمَةَ اللهِ ورِضوانَهُ .

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

وَيُطَمْئِنُ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ ﷺ والمُؤْمِنينَ : فَلا تَظُنَّنَّ ، أيُّها الرسولُ الكريمُ ، أَنْتَ ومَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، أَنَّ الَّذينَ كَفَروا مَهْما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُمْ ، بإمكانِهم أَنْ يَهْرُبوا ويَنْجوا من إهلاكِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، وَمِمّا أرادَهُ بِهِمْ من خِزْيٍ وعِقابٍ ، فإِنَّ قُوَّةَ اللهِ غالبةٌ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يقفُ أمامَ قُدْرتِهِ شَيْءٌ مَهْما عَظُمَ ، وَمآلُ هؤلاءِ الكافرينَ إلى النَّارِ ، وَهِيَ بِئْسَ المصيرُ والمَسكَنُ لَهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ المُنافقونَ يُرَوِّجونَ كَذِبَهُمْ بالأيْمانِ المُغَلَّظَةِ دون مبالاةٍ وَلا خَوْفٍ مِنَ العِقابِ .

٢ـ مَشروعِيَّةُ مُواجَهَةِ الكاذِبِ بما يُظْهِرُ انكشافَ أَمْرِهِ ، والعِلْمَ بِكَذِبِهِ .

٣ـ تَحَقُّقُ وَعْدِ اللهِ تعالى لِلمُؤْمِنينَ بالتَّمكينِ في الأَرْضِ .

٤ـ الوَعيدُ الشَّديدُ لِمَنْ كَفَرَ نِعَمَ اللهِ تعالى عَلَيهِ ، وَلَمْ يَقُمْ بواجِبِ شُكْرِها .

٥ـ تأْكيدُ عَجْزِ الكافرينَ ، وَعَدَمِ قُدْرَتِهِمْ عَلى الإفْلاتِ مِنْ عَذابِ اللهِ تعالى .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ أـ عَلى ماذا أقْسَمَ المُنافِقونَ باللهِ جَهْدَ أيْمانِهِمْ ؟

ب ـ بِماذا أمَرَ اللهُ تعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ ؟

٢ـ ما مَعنى ﴿فإنَّما عَليْهِ ما حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ﴾ ؟

٣ـ تَضَمَّنَ وَعْدُ اللهِ تعالى لِلمُؤْمِنينَ ثَلاثَةَ أُمورٍ . ما هِيَ ؟

٤ـ ما الأَمْرُ المَطلوبُ مِنَ المُؤْمِنينَ لِيَتَحَقَّقَ فيهِم وَعْدُ اللهِ تعالى بالتَّمكينِ ؟

٥ـ ذَكَرَتِ الآيةُ السَّادِسَةُ والخَمسونَ أنَّ حُصولَ رَحْمَةِ اللهِ يَتَطَلَّبُ ثَلاثَةَ أشياءَ . اذكُرْها .

٦ـ لِماذا لا يَسْتَطيعُ الكافِرونَ الإفْلاتَ مِنْ عِقابِ اللهِ ؟ وَما مَصيرُهُمْ في الآخِرَةِ ؟

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لَمْ يَبْلُغوا الحُلُمَ : لَمْ يَصِلِ الصِّبيانُ سِنَّ البُلوغِ .

ثَلاثَ مَرّاتٍ : ثلاثَةَ أَوْقاتٍ .

تَضَعونَ ثِيابَكُمْ : تَخْلَعونَ ثِيابَكُمْ وَتَسْتَبْدِلونَها لِلرّاحَةِ .

جُناحٌ : إِثْمٌ وَحَرَجٌ .

طَوّافونَ عَلَيْكُمْ : يَدورونَ عَلَيْكُمْ لِقَضاءِ مَصالِحِكُمْ .

القَواعِدُ : النِّساءُ اللّاتي تَقَدَّمْنَ في السِّنِ (العَجائِزُ) .

مُتَبَرِّجاتٍ بِزينَةٍ : مُظْهِراتٍ لَها .



التفسيرُ :

تَعودُ آياتُ هذا الدَّرْسِ لِلحَديثِ عَنْ أَحْكامِ الاسْتِئْذانِ ، وَتَخُصُّ مِنْهُ ما يَتَعَلَّقُ باسْتِئْذانِ الأَبْناءِ والمَماليكِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

أيْ : يا مَنْ آمَنْتُمْ باللهِ تعالى حَقّ الإيمانِ ، عَلَيْكُمْ أنْ تَلْتَزموا بأمْرِ مَماليكِكُمْ وَصِبيانِكُمُ الَّذينَ لَمْ يَصِلوا سِنَّ البُلوغ ، أنْ يَستأذِنوا عِنْدَ الدُّخولِ عَلَيْكُمْ في ثَلاثَةِ أوقاتٍ ، خَشْيَةَ أنْ يَطَّلِعوا مِنْكُمْ عَلى ما لا تَرْغَبونَ في اطِّلاعَهُمْ عَلَيْهِ ، وَهَذِهِ الأَوقاتُ الثَّلاثَةُ هِيَ :

١ـ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الفَجْرِ ، لِأنَّ هذا الوَقْتَ يَقومُ فيهِ الإنسانُ عادَةً مِنَ النَّوْمِ ، وَيَسْتَعِدُّ لِأداءِ الصَّلاةِ ، وَيخْلَعُ مَلابِسَ النَّوْمِ ، وَيرْتدي ثِيابَ السَّعْيِ والعَمَلِ .

٢ـ وَقْتُ الظَّهيرَةِ ، حَيْثُ يَنْتَصِفُ النَهارُ ، وَهُوَ وَقْتُ القَيْلولَةِ والرَّاحَةِ مِنْ عَناءِ العَمَلِ ، وَتبديلِ المَلابِسِ .

٣ـ مِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ : لِأنَّهُ وَقْتُ خَلْعِ ثِيابِ العَمَلِ ، وارتِداءِ مَلابِسِ النَوْمِ والرَّاحَةِ .

فَعلى المُسْلِمينَ أنْ يُلزِموا مَماليكَهُمْ وَصِبيانَهُمْ بالاسْتِئْذانِ عِنْدَ الدُّخولِ عَلَيْهِمْ في هذِهِ الأَوْقاتِ ، أَمَّا الأوقاتُ الأُخْرى فَلا حَرَجَ عَلَيْهِمْ أنْ يَدْخُلوا دونَ اسْتِئْذانٍ ، حَيْثُ تَكْثُرُ حاجَتُهُمْ إلى التَّرَدُّدِ عَلَيْكُمْ . وَمِنْ مُعتادِ الحَياةِ اليَّوْمِيَةِ أنْ يَطوفَ أَهْلُ البيتِ الواحِدِ داخلَ البَيْتِ ، وَأنْ ينتَقِلوا بَيْنَ غُرَفِهِ لِقَضاءِ مَصالِحِهِمْ ، وَلَوْ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الاسْتِئْذانُ دائماً لَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ . وَإنَّ الالتزامَ بهذا الأمْرِ الإلهيّ يَجْعَلُ أَهْلَ البَيْتِ يَعيشونَ في راحةٍ تامَّةٍ ، عامِرَةٍ بالطُّهْرِ والحَياءِ والنَّقاءِ مِنْ كُلِّ ما يَجْرَحُ الشُّعورَ ، ويُثيرُ الفِتْنَةَ ، وَمِمَّا يُؤَدِّي إلى الاطِّلاعِ عَلى العَوْراتِ التي يَحْرِصُ المُؤْمِنونَ عَلى سَتْرِها وَعَدمِ إبْدائِها .

وَمِثْلُ هذا البيانِ الواضِحِ الذي بَيَّنَ اللهُ تعالى فيهِ حُكْمَ الاسْتِئْذانِ ، يُبَيِّنُ ـ سُبحانَهُ ـ لَكُمُ الآياتِ المُتَضَمِّنَةَ لِلشَّرائِعِ والأَحْكامِ والآدابِ ، فَلَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بِخَلْقِهِ ، وَبما يَحْتاجونَ إليهِ ، وَما يَصْلُحُ لَهُمْ مِنْ أحكامٍ ، حَكيمٌ فيما يُشَرِّعُ لَهُمْ ، وَيَفْرِضُ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وَإذا وَصلَ أطْفالُكُمْ إلى سِنِّ البُلوغ فَعَليْهِمْ أنْ يَسْتَأْذِنوا للدُّخولِ عَلَيْكُمْ في جَميعِ الأوقاتِ ، كَما أنَّ عَليْهِمُ الاسْتِئْذانَ عِنْدَ إرادَةِ الدُّخولِ إلى بُيُوتِ الآخَرينَ ، كَما اسْتَأذَنَ الَّذينَ هُمْ أكْبَرُ مِنْهُمْ في السِّنِ عِندَما بَلَغوا ، وانْتَقَلوا مِنْ مَرْحَلَةِ الطُّفولَةِ إلى مَرْحَلَةِ البُلوغ ، وَهكَذا يُبَيِّنُ اللهُ تَعالى لَكُمْ أَحْكامَهُ وَشَرائعَ دينِهِ . واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بِخَلْقِهِ ، حَكيمٌ في تَشريعِهِ .

وَلَمْ تَذْكُرْ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ المَماليكَ كَما ذَكَرَتْهُمُ الآيَةُ السَّابِقَةُ ، وَذلكَ لأَنَّ حُكْمَهُم لا يَخْتَلِفُ سَواءٌ أكانوا صِغاراً أمْ كِباراً ، فَهُمْ لا يَستأذِنونَ إلاَّ في الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ المُحَدَّدَةِ في الآيَةِ السَّابِقَةِ .

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ أنَّ النِّساءَ العَجائزَ اللّاتي قَعَدَ بِهِنَّ سِنُّهُنَّ ، حَتَّى أصبَحْنَ لا يُرْغَبُ في الزواجِ مِنْهُنَّ ، وانْقَطَعْنَ عَنِ الحَمْلِ والوِلادَةِ بِسَبَبِ كِبَرِ سِنِّهِنَّ ، لا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ أنْ يَتَخَفَّفْنَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِهِنَّ ، عَلى ألاَّ يَظْهَرَ مِنهُنَّ شَيْءٌ مِنَ الزِّينَةِ ، أَوْ مِمّا يَجِبُ سَتْرُهُ مِنْ أَجْسادِهِنَّ . وَمُحافَظَتُهُنَّ عَلى الحِجابِ التَّامِ دونَ تَخَفُّفٍ أفْضَلُ لَهُنَّ وَأَحْوَطُ ، وَأبْعَدُ عَن أيِّ ريبَةٍ أَوِ اتِّهامٍ ، أَوْ سوءِ ظَنٍّ بِهِنَّ .

وَما وَرَدَ في هذهِ الآيَةِ مَظْهَرٌ مِنْ مَظاهِرِ التَّيْسيرِ والرِّفْقِ بالمرأةِ العَجوزِ إذا رَغِبَتْ أنْ تَتَخَفَّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها بِما لا يُؤَدِّي إلى إبْداءِ زينَةٍ أو كَشْفِ عَوْرَةٍ ، واللهُ تَعالى سَميعٌ لأَقْوالِ عِبادِهِ ، عَليمٌ بِأعْمالِهِمْ وَأَحْوالِهِم وَنِيَّاتِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الاسْتِئْذانِ عَلى الأَطْفالِ والصِّبيانِ والخَدَمِ والرَّقيقِ عِنْدَ إرادَتِهِمُ الدُّخولَ على أَهْليهِم في الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ للعَوْراتِ وَتأدُّباً بِأَخْلاقِ الإسلامِ .

٢ـ عَلى المُسْلِمِ مُراعاةُ السَّتْرِ عِنْدَ تَبديلِ ثِيابِهِ والحِرْصُ على أنْ لا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ .

٣ـ عَظَمَةُ مَنْهَجِ الإسْلامِ في التَّرْبِيَةِ والاعْتِناءِ بِالأَطْفالِ وَتَدْريبِهِمْ عَلى آدابِ التَّعامُلِ والالْتِزامِ بِالأَخْلاقِ .

٤ـ على المَرْءِ أنْ يَتعلَّمَ الأَحْكامَ الشَّرْعِيَّة ، وَأنْ يَلْتزِمَ بما يَجبُ عَلَيْهِ الالْتِزامُ بِهِ حينَ يَبْلُغُ الحُلُمَ .

٥ـ يُباحُ لِلمَرأَةِ العَجوزِ أنْ تَتَخَفَّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ، كَأنْ تَتْرُكَ الغِطاءَ الَّذي فَوْقَ الخِمارِ ، أَوِ الرّداءَ الَّذي فَوْقَ الثِّيابِ .

٦ـ مِنْ مَظاهِرِ اليُسْرِ في هذا الدِّينِ مُراعاةُ أحْوالِ كِبارِ السِّنِّ وَنَحْوِهِمْ ، والتَّخفيفُ عَلَيْهِم بِما يَتَناسَبُ مَعَ حالِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الأَوْقاتُ التي يَجبُ فيها عَلى الصِّغارِ والمَماليكِ الاسْتِئْذانُ ؟

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ تَخصيصِ هذهِ الأَوْقاتِ الثَّلاثَةِ بالاسْتِئْذانِ دونَ غَيرِها مِنَ الأَوْقاتِ ؟

٣ـ ما الحَدُّ الفاصِلُ بيْنَ مَرْحَلَةِ الطُّفولَةِ وَمَرْحَلَةِ الرُّجولَةِ ؟

٤ـ مَنْ هُنَّ القَواعِدُ مِنَ النِّساءِ ؟

٥ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إباحَةِ تخفُّفِ المَرْأَةِ العَجوزِ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ؟

٦ـ أيُّهُما أفْضَلُ في حَقِّ المَرأةِ الكَبيرةِ : أنْ تُخَفِّفَ مِنْ بَعْضِ ثِيابِها ، أَوْ أنْ تُحافِظَ عَلى حجابِها كاملاً دونَ أيِّ نَقصٍ ؟

فائدةٌ :

سُئِلَ الشَّعْبِيُّ عَنِ الآيَةِ الثامِنَةِ والخَمسينَ مِنْ سورَةِ النُّورِ هَلْ نُسِخَتْ ؟ فَقال : لا واللهِ ما نُسِخَتْ . فَقالَ السَّائِلُ : إنَّ النَّاسَ لا يَعْمَلونَ بِها! فقالَ الشَّعْبِيُّ : اللهُ المُسْتَعانُ .

وَعَنْ سَعيدِ بنِ جُبيرٍ قالَ : « إنَّ ناساً يَقولونَ هِيَ مَنْسوخَةٌ ، لا واللهِ ما هِي مَنْسوخَةً وَلكنَّها مِمّا يَتَهاوَنُ بِهِ النَّاسُ » .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيفَ يَكُونُ الاسْتِئْذانُ عِنْدَ دُخولِ بُيوتِ الآخرينَ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سُورَةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حَرَجٌ	: إِثْمٌ وَضِيقٌ .
ما مَلَكْتُمْ مفاتِحَهُ	: ما كانَ تَحْتَ تَصرُّفِكُمْ .
أَشْتاتاً	: مُتَفَرِّقينَ .
فَسَلِّموا عَلى أَنْفُسِكِمْ	: لِيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ .
مُبارَكَةً	: مُضاعَفَةَ الثَّوابِ .
طَيِّبَةً	: تَطيبُ بِها نَفْسُ المُسْتَمِعِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالتْ : كانَ المُسْلِمونَ يَرْغَبونَ في النَّفْرِ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ فَيَدْفَعونَ مَفاتيحَهُمْ إلى زَمْناهُمْ ـ أَصْحابِ الأَمْراضِ المُزْمِنَةِ ـ وَيَقولونَ لَهُمْ : قد أَحْلَلْنا لَكُمْ أن تَأْكُلوا مِمّا

أَحْبَبْتُمْ ، فَكانوا يَقولونَ إِنَّهُ لا يَحِلُّ لَنا ، إِنَّهُمْ أَذِنوا لَنا عَنْ غَيْرِ طيبِ نَفْسٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ الآيَةَ[1] .

التَّفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآيَةُ الكَريمَةُ عَدَداً مِنَ الآدابِ الإسلامِيَّةِ الرَّفيعَةِ . قالَ تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

أَيْ : لَيْسَ على أَهْلِ الأَعْذارِ المَذكورينَ في الآيَةِ ، وَهُمْ : الأَعْمى ، والأَعْرَجُ ، والمَريضُ ، وَلا عَلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحابِ الأَعْذارِ الأخرى إِثْمٌ أَنْ يَأْكُلوا مِنَ البُيوتِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ . وَقَدْ كانوا قَبْلَ نُزولِ الآيَةِ يَتَحَرَّجونَ مِنَ الأَكْلِ مَعَ الأَصِحّاءِ ، حَذَراً مِنْ أَنْ يَسْتَقْذِروهُمْ ، أَوْ يَتَأَذَّوا مِنْ بَعْضِ ما يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ وَضْعٍ غَيْرِ مُناسِبٍ .

كَما أَنَّ الأَصِحّاءَ كانوا يَتَحَرَّجونَ مِنَ الأَكْلِ مَعَ ذوي العاهاتِ لِئَلاَّ يَظْلِموهُمْ ، بِأَنْ يَأْكُلوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ، أَوْ أَنْ يَخْتاروا الطَّعامَ الطَّيِّبَ لأَنْفُسِهِمْ .

فَبَيَّنَتِ الآيَةُ أَنَّهُ لا حَرَجَ مِنَ الأكلِ مَعَهُمْ ، كَما أَنَّهُ لا حَرَجَ عَلَيْكُمْ ، أَيُّها المؤمنونَ أَنْ تأكُلوا مِنْ هذِهِ البيوتِ المَذْكورَةِ في الآيَةِ . وَأَوَّلُ هذهِ البُيوتِ هِيَ (بيوتُكُمْ) ، وَذَكَرَها هُنا ، مَعَ أَنَّ المرءَ لا يَتَحَرَّجُ مِنَ الأَكْلِ في بَيْتِهِ ، للإشعارِ بِأَنَّ البُيوتَ المذكورةَ بَعْدَها مِثْلُها في نَفْيِ الحَرَجِ مِنَ الأَكْلِ فيها ، وَقَدْ يَكونُ المُرادُ بِبُيوتِكُمْ : بُيوتُ أَبْنائِكُمْ وَزوجاتِكُمْ . فلا حَرَجَ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَكْلِ فيها .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ البُيوتَ الأُخْرى التي لا حَرَجَ على المُؤْمِنينَ في الأَكْلِ مِنْها ، وَهِيَ : بُيوتُ آبائِكُمْ ، وَبُيوتُ أُمَّهاتِكُمْ ، وَبُيوت إخوانِكُمْ ، وَبُيوتُ أَخَواتِكُمْ ، وَبُيوتُ أعمامِكُمْ ، وَبُيوتُ عَمّاتِكُمْ . وَبُيوتُ أَخْوالِكُمْ ، وَبُيوتُ خالاتِكُمْ ، والبُيوتُ الَّتي تَمْلكونَ التَّصَرُّفَ فيها بإذنِ أَصْحابِها ، بِوَكالَةٍ أَوْ بإذنٍ ، أو بِتَسليمِ مَفاتيحِها لَكُمْ ، وَبُيوتُ أصدِقائِكُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ

---

(١) السَّيوطِيُّ ، لُبابُ النُّقولِ في أَسبابِ النُّزولِ (بحاشية تفسيرِ الجلالينِ) ص٣١٩ .

وَبَينَهُمْ قرابَةٌ أوْ نَسَبٌ ، فإنَّهُمْ يَرْضَوْنَ لِذلِكَ ويُسَرُّونَ بِهِ . وَلَفظُ (الصَّديقِ) يُطْلَقُ على الواحِدِ والْجَمْعِ .

فهذِهِ البيوتُ المَذْكورةُ في الآيةِ ، يُباحُ لِلمَرْءِ المُؤْمِنِ أنْ يَأكُلَ مِنْها ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فيها أَصْحابُها ، إنْ كانَ الآكِلُ يَعْلَمُ رِضا أصْحابِ البَيْتِ عَنْ ذلكَ ، وَإذنَهُمْ بِهِ ، وَسرورَهُمْ لَهُ .

وَبعْدَ أنْ بيَّنَ سُبْحانَهُ البُيوتَ التي يُباحُ الأَكْلُ مِنْها ، بيَّنَ الحالَةَ التي يُباحُ عَلَيها الأكْلُ ؛ فَبَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا حَرَجَ ، وَلا إثْمَ على المُؤْمِنينَ أنْ يأكُلوا مُجْتَمِعين أو مُتَفَرِّقينَ ، وَقَدْ كانَ مِنْ عادَةِ بَعْضِهِمْ أنْ لا يأكُلَ مُنْفَرِداً ، فإنْ لَمْ يَجِدْ مَنْ يأكُلُ مَعَهُ أخَرَ تَناوُلَ طعامِهِ ، فَرَفَعَ اللهُ تعالى عَنْهُم هذا الحَرَجَ ، وَرَدَّ الأمْرَ إلى ما تَقْتَضيهِ شريعةُ الإسلامِ مِنْ يُسْرٍ وَعَدَمِ تَكَلُّفٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أدَباً يَنْبَغي التزامُهُ عِنْدَ إرادَةِ دُخولِ بُيوتِ الآخَرينَ سَواءٌ أكانوا مِنْ أصحابِ البُيوتِ المذكورَةِ في الآيةِ أَمْ غيْرِها وَهُوَ إلقاءُ السَّلامِ على أَهْلِ تِلْكَ البُيوتِ ، وَتَحيَّتُهُمْ تَحِيَّةً فيها أَجْرٌ وَثَوابٌ مُضاعَفٌ ، وَتُؤَدِّي إلى زِيادَةِ المَحبَّةِ والمَوَدَّةِ بَيْنَ المُؤمنينَ .

وَفي التَّعْبيرِ عَنْ أَصْحابِ البُيوتِ المُرادِ دُخولُها بِقَولِهِ تعالى (أنفسِكُم) ما يُشْعِرُ بِعُمْقِ قُوّةِ الرّابطَةِ الإيمانيَّةِ ، وَأنَّ المُؤْمنينَ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الواحِدَةِ في توادِّهِمْ وَتراحُمِهِمْ وَتَعاطُفِهِمْ .

﴿كذلكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ﴾ أيْ مِثْلَ هذا البَيانِ الواضِحِ ، يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ سائرَ آياتِهِ لِكَيْ تَعْقِلوها ، وَتَفْهَموها ، وَتَحْرِصوا على العَمَلِ بِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ إباحةُ الأكْلِ مَعَ ذَوي العاهاتِ دونَ تَحَرُّجٍ مِنَ الطَّرَفَيْنِ .

٢ـ رَفْعُ الحَرَجِ والإثْمِ عَنْ ذَوي العاهاتِ في كلِّ ما يُقَصِّرونَ فيهِ بِسَبَبِ عاهَتِهِمْ .

٣ـ إباحةُ الأَكْلِ مِنَ البُيوتِ المَذْكورَةِ في الآيةِ دونَ تَحَرُّجٍ .

٤ـ إباحةُ تناوُلِ الطَّعامِ مَعَ آخرينَ أَوْ مُنْفَرِداً حَسَبَ الحالِ بِلا تَحَرُّجٍ .

٥ـ فَضْلُ تَحِيَّةِ الإسلامِ ، وَأنَّها مُبارَكَةٌ ، تَطيبُ بِها النُّفوسُ ، وَيَحْصُلُ بِها الأجْرُ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذكُرْ سَبَبَ نُزولِ الآيةِ الكَريمَةِ .

٢ـ لِماذا كانَ أهلُ الأعْذارِ يَتَحرَّجونَ مِنَ الأكْلِ مَعَ الأصِحّاءِ ؟

٣ـ ما سَبَبُ ذِكْرِ (بُيوتِكُمْ) ضِمْنَ البُيوتِ مَعَ أنَّ الإنسانَ لا يَتَحَرَّجُ مِنَ الأكْلِ في بَيْتِهِ ؟

٤ـ عَدِّدِ البُيوتَ التي ذُكِرَتْ في الآيَةِ مِمّا لا حَرَجَ مِنَ الأكْلِ مِنْها .

٥ـ بماذا وَصَفَتِ الآيَةُ الكريمةُ السَّلامَ والتَّحِيَّةَ التي يُلْقيها المَرْءُ على غَيْرِهِ ؟

٦ـ ما مَعنى (أشْتاتاً) ؟ وَما حُكْمُ أكْلِ المُنْفَرِدِ دونَ أنْ يَكونَ مَعَهُ أحَدٌ ؟

٧ـ ما سَبَبُ التَّعبيرِ عَنِ الآخَرينَ بـ(أنْفُسِكُمْ) ؟

فائدةٌ :

عَنْ عِمرانَ بنِ الحُصَينِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قالَ : جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فَقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ : عَشْرٌ ، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فجَلَسَ ، فقالَ : عِشْرونَ ، ثُمَّ جاءَ آخرُ فقالَ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَجَلَسَ ، فقالَ : ثَلاثونَ[1] .

نَشاطٌ :

ـ لَمْ تَذْكُرِ الآيةُ (٦١) بُيوتَ الأبْناءِ . اذْكُرِ الحِكْمَةَ مِنْ ذلكَ .

* * *

---

(١) رواهُ التِّرْمِذيُّ في كتابِ الاستئذانِ والآدابِ ، رقم الحديث : ٢٦١٣ .

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سُورةُ النُّورِ ـ القِسْمُ الرّابعَ عَشَرَ

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَمْرٍ جامِعٍ : حَدَثٍ مُهِمٍّ يَتَطَلَّبُ الاجْتِماعَ لِشَأْنِه .

يَتَسَلَّلونَ : يَخْرُجونَ بِخِفَّةٍ لِئَلاّ يَشْعُرَ بِهِمُ الحاضِرونَ .

لِواذاً : يَسْتُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عِنْدَ الخُروجِ .

التَّفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بَيانٌ لِما يَنْبَغي أَنْ يَكونَ عَلَيْهِ المُسْلِمونَ مِنْ آدابٍ مَعَ رَسولِهِمْ ﷺ ، قالَ تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن

شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

أيْ إنَّ المُؤْمِنينَ الصَّادقينَ هُمُ الّذينَ آمَنوا باللهِ وَرَسولِهِ حَقَّ الإيمانِ ، وَإذا كانوا مَعَ الرَّسولِ ﷺ في أمرٍ يَقْتَضي اجْتِماعَهُمْ ، لَمْ يَذْهَبوا مِنْ مَكانِ الاجتِماعِ حَتَّى يَطْلُبوا الإذْنَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ وَيأذَنَ لَهُمْ ، وَهذا الاسْتِئذانُ مِنْهُمْ دَليلٌ على قُوَّةِ إيمانِهِمْ ، وَعلى حُسْنِ أدَبِهِمْ مَعَ الرَّسولِ ﷺ ، فإذا اسْتَأذَنَكَ ، يا رَسولَ اللهِ ، هؤلاءِ المُؤْمِنونَ في الانْصِرافِ لِقَضاءِ شَيْءٍ مِنْ مصالِحِهِمْ ، فَأنْتَ مُخَيَّرٌ في الإذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَفي مَنْعِهِ عَنْ بَعْضِهِمْ ، حَسَبَ الحاجةِ العامَّةِ ، والمَصْلَحَةِ ، وَما تَراهُ مُناسِباً للأَمْرِ ، واستَغْفِرْ لِمَنْ أذِنْتَ لَهُ بالذَّهابِ مِنْهُمْ ؛ لأنَّ الأَوْلى بِمَنْ كانَ مَعَكَ في أمْرٍ مُهِمٍّ أنْ يَبْقى حتّى يَتِمَّ قضاءُ الأَمْرِ ، والفَصْلُ فيهِ ، وَلا يُغادِرَ إلاّ مَنْ كانَ لَهُ ظَرْفٌ قاهِرٌ جداً يَسْتَدْعي خُروجَهُ ، واللهُ تعالى واسِعُ المَغْفِرَةِ لِعبادِهِ ، عَظيمُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ .

وَوَصْفُ الأمْرِ في الآيةِ بِأنَّهُ (جامعٌ) للإشعارِ بأهميَّتِهِ ، وَأَهَميَّةِ حُضورِهِ لِما في ذلكَ مِنْ تأييدٍ وَمُظاهَرَةٍ ومَعُاوَنَةٍ للوصُولِ إلى أفْضَلِ الآراءِ وَأنسَبِها .

وَحُكْمُ هذِهِ الآيةِ يَشْمَلُ مجالِسَ العِلْمِ ، وَمَعارِكَ القِتالِ ، والمَسيرَ في الأسْفارِ ، وَنَحْوَها مِنْ كُلِّ مَجْلِسٍ يَحْتاجُ حاضِروهُ إلى الاسْتِئْذانِ لِمُغادَرَتِهِ فَيَحْسُنُ بِالمُسْلِمِ أنْ يَستَأذِنَ ، وَلا يَتَسَلَّلَ مِنَ المَجْلِسِ أوِ الاجْتِماعِ دونَ إذنٍ مِنَ القائِمِ بالأمْرِ .

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

وَمِنْ تَمامِ تَقديرِ النَّبيِّ ﷺ وَتوقيرِهِ أنْ لا تُنادوهُ باسْمِهِ المُجَرَّدِ إذا أَرَدْتُمْ نِداءَهُ ، وَأنْ لا تَرْفَعوا أصواتَكُمْ بِنِدائِهِ ، بَلْ عَلَيْكُمْ أنْ تُنادوهُ بِصِفَتِهِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَهِيَ النُّبُوَّةُ أوِ الرِّسالَةُ فَتَقولوا : يا رَسولَ اللهِ ، يا نَبيَّ اللهِ ، وَأنْ تَخْفِضوا أصواتَكُمْ عِنْدَ مُناداتِهِ تَوقيراً واحتِراماً لَهُ ﷺ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّهُ عَليمٌ بالَّذينَ كانوا يَتَسَلَّلونَ مِنْ مَجْلِسِ الرَّسولِ ﷺ ، وَيغادِرونَهُ في خَفاءٍ وَتَسَتُّرٍ دونَ أنْ يَطْلُبوا مِنْهُ ﷺ إذْناً بالمُغادَرَةِ ، وَيُبالِغونَ في مُحاوَلَةِ إخفاءِ أنْفُسِهِمْ حتّى يَلوذَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ ، أوْ يُحاوِلَ بَعْضُهُمُ الاخْتِباءَ خَلْفَ مَنْ يُؤذَنُ لَهُ ، فَيَنْطَلِقَ خَلْفَهُ كَأنَّهُ تابِعُهُ ، فَلْيَحْذَرْ هؤُلاءِ المُنافِقونَ الّذينَ يُخالِفونَ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ وَلا يُطيعونَهُ أنْ يُصيبَهُمْ بَلاءٌ يَفْضَحُ أمْرَهُمْ ، وَيَكْشِفُ سِرَّهُمْ ، أوْ يُصيبَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ في الآخِرَةِ إنِ استَمَرّوا على نِفاقِهِمْ ، وَعَدَمِ تَوقيرِهِمْ لِلرَّسولِ ﷺ .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

ألا إنَّ للهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَحْدَهُ دونَ غَيرِهِ جَميعَ ما في السَّماواتِ والأرْضِ مِنْ شيْءٍ خَلْقاً وَمُلْكاً

وَعِلْماً وتَدبيراً ؛ فَلا تَخفى عَلَيهِ أحْوالُ المُنافِقينَ وَإنِ اجْتَهدوا في إخفائِها وَسَتْرِها ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ جَميعَ أَحْوالِ الخَلْقِ ، وَسَيُخْبِرُ الجَميعُ يَوْمَ القِيامَةِ حينَ يَرْجِعونَ إلَيْهِ بِما كانوا يَعْمَلونَ في الدُّنْيا ، وَسَيُجازيهِم على عَمَلِهِمْ بِما يَسْتَحِقّونَ ، فَعِلْمُ اللهِ تعالى مُحيطٌ بِكُلّ شَيْءٍ ، لا تَخْفى عَلَيهِ خافِيَةٌ في السَّماءِ وَلا في الأَرْضِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ المُسلِمون مُنَظَّمون في أعْمالِهِمْ ، فَكُلُّ عَمَلٍ جامِعٍ لا بُدَّ لَهُمْ فيهِ مِنْ أميرٍ أو رَئيسٍ يَقودُهُ وَيُدَبِّرُهُ ، وَعَلى المنْضَوينَ تَحْتَهُ الاسْتِئْذانُ إذا أَرادوا الانْصِرافَ لِبَعْضِ شَأْنِهِم .

٢ـ الاسْتِئْذانُ مِنْ صاحِبِ الأَمْرِ عِنْدَ إرادَةِ مُغادَرَةِ المَكانِ في الاجْتِماعاتِ والمَجالِسِ الهامَّةِ .

٣ـ لِصاحِبِ الأَمْرِ أنْ يَأذَنَ لِمَنْ يَسْتَأذِنُهُ أو لا ، حَسَبَ المَصْلَحَةِ العامَّةِ .

٤ـ وُجوبُ تَعظيمِ رَسولِ اللهِ ﷺ حَيّاً وَمَيْتاً ، وُوُجوبُ طاعَتِهِ .

٥ـ بَيانُ شَيْءٍ مِنْ صِفاتِ المُنافِقينَ وَهِيَ : الجُبْنُ والاسْتِهانَةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَجْلِسِهِ ، واخْتِلاقُ الأَعْذارِ للاسْتِئْذانِ .

٦ـ مُخالَفَةُ أمْرِ الرَّسولِ ﷺ تُؤَدّي بِصاحِبِها إنْ لَمْ يَتُبْ إلى العَذابِ الأليمِ والبَلاءِ العَظيمِ .

٧ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى بِكُلِّ صَغيرٍ وَكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، فَلا تَخْفى عَلَيهِ خافِيَةٌ ، وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المُؤْمِنينَ في هذهِ الآياتِ ؟

٢ـ لِماذا أَمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ ﷺ بالاسْتِغفارِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ؟

٣ـ بِماذا أَمَرَ اللهُ تعالى المُؤْمِنينَ إذا أَرادوا مُناداةَ النَّبِيِّ ﷺ ؟

٤ـ مَنِ الَّذينَ كانوا يَتَسَلَّلونَ مِنَ مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ وَلِماذا كانوا يَفْعَلونَ ذلكَ ؟

٥ـ اذكُرْ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمّا يلي :

١ـ سِعَةِ عِلْمِ اللهِ تعالى وَإحاطَتِهِ بكُلِّ شَيْءٍ .

٢ـ النَّهي عَنْ مُناداةِ الرَّسولِ ﷺ باسمِهِ .

٣ـ لِصاحِبِ الأَمْرِ أنْ لا يَأْذَنَ لِمَنْ يَسْتَأذِنُ بِمُغادَرَةِ مَجْلِسِهِ .

٤ـ كانَ المُنافِقونَ يَستَتِرونَ بِغَيْرِهِمْ ، عِنْدَ تَسَلُّلِهِمْ مِنْ مَجْلِسِ النَّبيِّ ﷺ .

٥ـ المُخالِفُ لأمْرِ الرَّسولِ ﷺ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِلفِتْنَةِ والعذاب .

نَشاطٌ :

١ـ ارجِعْ إلى الآياتِ القُرآنِيَّةِ الكَريمةِ التي فيها نِداءٌ للنَّبيِّ ﷺ ، وَدَوِّنْ في دفْتَرِكَ الأَلْفاظَ التي نُودِيَ بِها ﷺ .

٢ـ ارجِعْ إلى أحَدِ كُتُبِ السِّيرَةِ واسْتَخرِجْ مِنْهُ ثَلاثَ حَوادِثَ كانَ المُنافِقونَ يَتَسَلَّلونَ فيها مِنْ مَجْلِسِ النَّبيِّ الكريمِ ﷺ ، بِخاصّةٍ في غَزْوَةِ الخَنْدَقِ .

❊ ❊ ❊

المَراجِعُ

١ـ أحمدُ بنُ حَنْبَلَ الشّيْبانِيُّ (ت٢٤١هـ) المُسْند ، دارُ المعارِفِ ، مصر .

٢ـ أيمن عبد العزيز جبر ، روائعُ البيانِ لمعاني القُرآنِ ، راجعه : د . أحمد نوفل ود . أحمد شكري ، دار الأرقم ، عمّان ، الطبعة الأولى .

٣ـ البخاريّ ، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) الجامعُ الصحيحُ ، ضبط وترقيم : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثيرٍ بدمشقَ ، ودار اليمامةِ بدمشقَ ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٤ـ أبو بكر جابر الجزائري ، أيسرُ التفاسيرِ لكلامِ العَلِيِّ الكبيرِ ، مطبعةُ السَّعادَةِ ، القاهرة ، الصبعةُ الثّانيةُ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٥ـ التِّرمذي ، محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ) السُّنَنُ ، دار إحياءِ التُّراثِ العَرَبِيّ ، بيروت .

٦ـ ابن الجَوْزِي ، عبد الرحمن بن علي البغدادي (ت٥٩٧هـ) زادُ المَسيرِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٧ـ الحاكم ، محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ) المُسْتَدْرَكُ على الصَّحيحينِ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م .

٨ـ حسنين محمد مخلوف ، كلماتُ القرآنِ ، تفسيرٌ وبيانٌ ، مكتبة الإحسان ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م .

٩ـ أبو داودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السّجِسْتانيّ (ت٢٧٥هـ) السُّنَنُ ، المكتبة العصرية ، بيروت .

١٠ـ الرَّازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ) التفسيرُ الكبيرُ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م .

١١ـ الزَّمَخْشَرِيُّ ، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) الكَشّافُ عَنْ حقائقِ التَّنْزيلِ وعيونِ الأقاويلِ في وجوهِ التَّأويلِ ، دار المعرفة ، بيروت .

١٢ـ سعيد حوى (ت١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) الأساسُ في التَّفْسيرِ ، دار السَّلام ، حَلَب ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

١٣ـ سيّد قطب (ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) في ظلالِ القرآنِ ، دار إحياءِ التُّراثِ العربيِّ ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٣٩١هـ ، ١٩٧١م .

١٤ـ السيوطي ، جلالُ الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) لُبابُ النُّقولِ في أسبابِ النُّزولِ ، بحاشيَةِ تفسيرِ الجلالينِ ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة التاسعة ، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م .

١٥ـ الشَّوْكانيُّ ، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ) فَتْحُ القديرِ الجامعُ بينَ فَنَّي الرِّوايةِ والدِّرايةِ مِنْ عِلْمِ التَّفْسيرِ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٤م .

١٦ـ الطَّبَرِيُّ ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) جامعُ البيانِ عَنْ تأويلِ آيِ القرآنِ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

١٧ـ عبدُ الرَّحمنِ بن ناصر السَّعدي (ت١٣٧٦هـ) تَيسيرُ الكريمِ الرحمنِ في تفسيرِ كلامِ المَنّانِ ، مؤسسةُ الرِّسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠م .

١٨ـ عفيف عبد الفتاح طبّارَة ، روح القرآنِ ، طُبِع منه تفسيرُ الأجزاءِ مِنَ الثالثَ عَشَرَ حتى الثلاثينَ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

١٩ـ القُرطُبِيُّ ، محمد بن أحمد الأنصاريُّ (ت٦٧١هـ) الجامعُ لأحكامِ القرآنِ ، دون ناشرٍ ، ولا تاريخِ طباعةٍ .

٢٠ـ ابنُ كثيرٍ ، اسماعيل بن كثير الدمشق (ت٧٧٤هـ) تفسيرُ القرآنِ العظيمِ ، تقديم : عبد القادر الارناؤوط ، دار الفيحاء بدمشق ودار السلام بالرياض ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

٢١ـ ابنُ ماجَة ، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) السُّنَنُ ، شركةُ الطِّباعَةِ العربيّة ، ١٩٨٤م .

٢٢ـ مجموعةٌ مِنَ العُلَماءِ بإشرافِ مَجْمَعِ البحوثِ الإسلامِيَّةِ بالأزْهرِ ، التفسيرُ الوَسيطُ للقرآنِ الكريمِ ، الطَّبْعَةُ الأولى ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨٠م .

٢٣ـ مُحَمّد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣) ، تفسيرُ التَّحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

٢٤ـ د . محمد عبد المنعم الجمال ، التَّفْسيرُ الفريدُ للقرآنِ المَجيدِ ، دون ناشرٍ ولا تاريخِ طباعةٍ .

٢٥ـ د . محمد محمود حجازي ، التَّفْسيرُ الواضِحْ ، دار الجيل ، بيروت ، الطَّبْعةُ العاشِرَةُ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٢٦ـ مُسْلِمُ بنَ الحجَّاجِ النَيْسابوريُّ (ت٢٦١هـ) الجامِعُ الصَّحيحْ ، مع شرح الإمام النووي ، تحقيق وترقيم : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

٢٧ـ مُصطفى الحصن المنصوريّ (ت١٣٩٠هـ) ، المُقْتَطَفْ مِنْ عيونِ التَّفاسير ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار القلم بدمشق ، والدار الشامية ببيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م .

٢٨ـ مُقْبِل بن هادي الوادعي ، الصَّحيحُ المسْندُ مِنْ أسبابِ النُّزولِ ، دار ابن حزم ببيروت ، ودار القدس باليمن ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

٢٩ـ النَّسائِيُّ ، أحمدُ بنْ شعيبٍ (ت٣٠٣هـ) السُّنَنْ ، دار البشائرِ الإسلاميَّةُ ، ١٩٨٦م .

٣٠ـ د . وهبة الزُّحَيْلِيّ ، التَّفسيرُ الوَسيط ، دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

* * *